مكتبة

إميكو جين
EMIKO JEAN

فراشة طوكيو

الحب أو السلطة؟

TOKYO EVER AFTER

مكتبة ٨٣٤

رواية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

فراشة طوكيو

الحب أو السلطة؟

TOKYO EVER AFTER

مكتبة | 834
سُر مَن قرأ

TOKYO EVER AFTER: Book1

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونيًا من الناشر

Alloy Entertainment, LLC, NewYork, NY10001,
c/o Rights People, London WC18 6XF, UK

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2021, Alloy Entertainment and Emiko Jean
All rights reserved
Arabic Copyright © 2021 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير 2021 م - 1442 هـ

ردمك 978-614-01-3184-2

مكتبة
t.me/t_pdf

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

إميكو جين
EMIKO JEAN

فراشة طوكيو
الحب أو السلطة؟
TOKYO EVER AFTER

مكتبة | 834
سُر مَن قرأ

ترجمة
نور العيون حامد

مراجعة وتحرير
مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

العائلة المالكة*

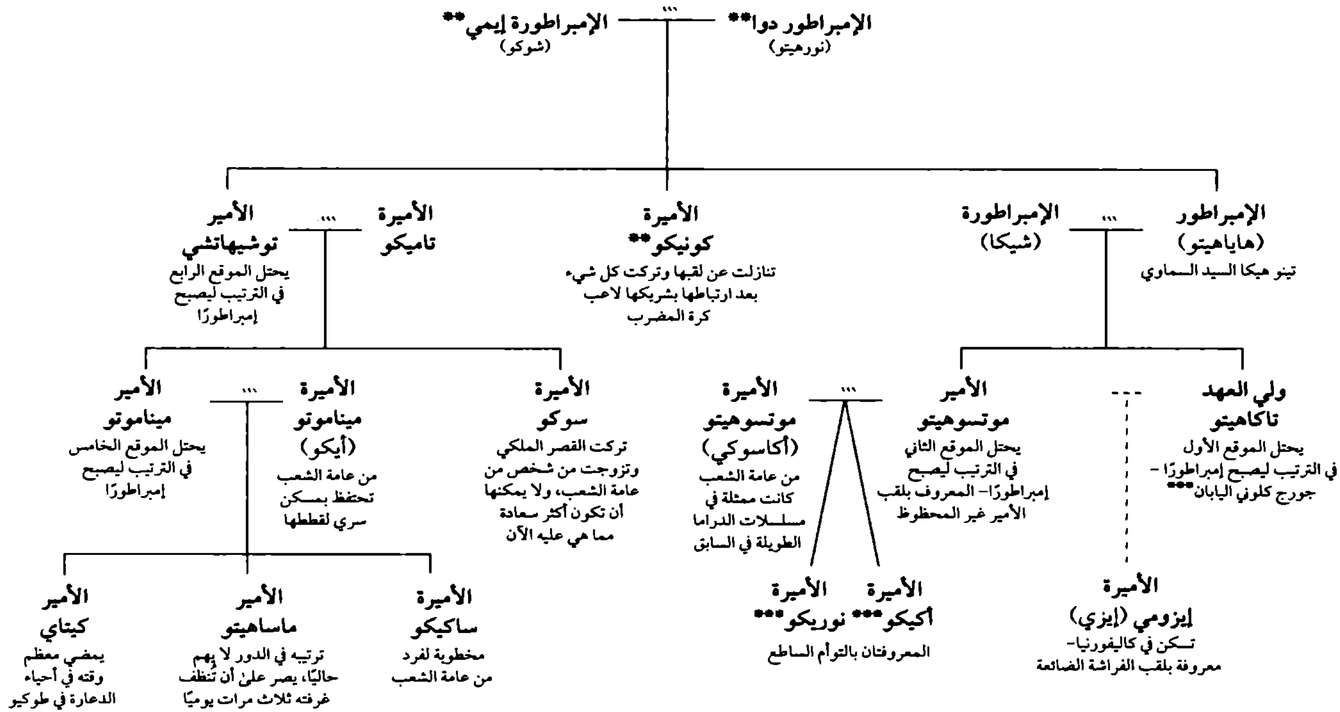

* سلالة الأنساب المفصلة غير الرسمية
** متوفٍّ
*** التوأم

مكتبة
t.me/t_pdf

ثرثرة طوكيو

الفراشة المفقودة تقصّ جناحيها

---

4 نيسان 2021

سيطرت الأناقة غير المسبوقة على حفل زفاف رئيس الوزراء أداتشي في فندق نيو أوتاني، وارتدى الرجال السترات الذيليّة، ورفلت النساء في أثوابها الحريريّة، وطفحت الكؤوس بالدوم بيريغنون، وسبح البجع الأسود والأبيض، المستورد من أستراليا، في برك الحدائق. وكانت الدعوة موجّهة إلى حضور وليمة يشارك فيها أفراد الطبقة العليا في اليابان، بمن فيهم أفراد العائلة الإمبراطوريّة، حتى إنّ سموّ وليّ العهد الأمير تاكاهيتو حضر بالرغم من خلافاته المستمرّة مع رئيس الوزراء.

لكنّ الحاضرين لم يكونوا مهتمّين بالخلاف بين الأمير ورئيس الوزراء، ولا حتّى بالعريس والعروس، بل كلّ الأنظار كانت شاخصة إلى صاحبة السموّ الإمبراطوريّ، والتي سيشكّل حفل الزفاف هذا أوّل ظهور علنيّ لها في المجتمع اليابانيّ وهي المعروفة باسم *الفراشة المفقودة*، لذا كان السؤال الذي طرحه الجميع، هل ستتمكّن هذه الفراشة من التحليق أم أنها ستسقط سقوطًا مدويًا؟

لقد ارتدت صاحبة السمو رداء حريريًّا، وتقلّدت شيئًا من اليشم، بالإضافة إلى لآلئ ميكيموتو التي أهدتها إيّاها الإمبراطورة، والتي كانت محفوظة في الخزائن الإمبراطوريّة، ولم يكن مسموحًا لوسائل الإعلام بتغطية الحفل الذي كان يفترض أن يكون منظّمًا على أعلى مستوى وخاليًا من العيوب.

هذا الصباح، رُصِدت *الفراشة الضائعة* على متن القطار متوجّهة إلى كيوتو، ولكنّ دوائر القصر الإمبراطوريّ، أشارت إلى أنّ هذه الرحلة كانت مقرّرة سلفًا، وكان الجميع يعلمون أنّ أفراد العائلة الإمبراطوريّة يقصدون قصر كيوتو الإمبراطوريّ عندما يُعاقبون. ففي العام الماضي، مكث الأمير كيتاي هناك في أثناء تمضيته عقوبة بعد أن سافر إلى السويد من دون أن يحصل على الإذن.

يبدو أن أجنحة هذه الفراشة قد قُصّت باكرًا، فما الذي يمكن أن تفعله صاحبة السموّ الأميرة إيزومي لتبرير إبعادها عن القصر الإمبراطوريّ في طوكيو؟ ولم يكن لدى أيّ شخص فكرة، لكن من المؤكّد أنّها في ورطة.

الفصل الأول

يقع على عاتق الأصدقاء المقرّبين أن يقنعوك بالقيام بما لا تقوم به عادة، وهذا ما لم تقله لها نورا: "لن تتمكّني من إنهاء العمل، لقد حاولت، ومنحت نفسك فرصة".

الفرصة التي تتحدّث عنها هي عبارة عن محاولة لم تتعدَّ مدّتها خمس دقائق، لكتابة مقال عن تطوير الشخصيّة في هكيلبيري فيين[1]، وكان يفترض بنورا أن تساعدني، فقد اتّصلت بها لتدعمني معنويًّا، ولكنّها عندما أتت وتمرّغت على سريري، ووضعت يديها على عينيها، قالت: "من الأفضل أن تستسلمي وتمضي قُدمًا".

لقد كانت مقنعة، فقد كان لديّ أربعة أسابيع لأعمل على المقال، واليوم هو الاثنين، ويجب أن أفرغ منه نهار الثلاثاء، في الحقيقة أنا لست ضليعة في الرياضيات لاحتساب نسبة احتمال إنجاز العمل في الوقت المحدّد، ولكنّني كنت واثقة من أنّه احتمال ضئيل، فرحّبت بتقبّل عواقب أفعالي، وها أنا مجدّدًا على موعد جديد مع صديقي القديم: الفشل.

رفعت نورا رأسها عن وسادتي وقالت بامتعاض: "يا إلهي، رائحة كلبك كريهة".

ضممت تماغوتشي إلى صدري وقلت لها: "هذا ليس خطأه، إنه يعاني من اعتلال نادر في الغدّة، ولا علاج له، كما أنّ وجهه في غاية القبح، ولكنّه في غاية

---

(1) رواية لمارك توين، نُشرت للمرّة الأولى في المملكة المتّحدة في كانون الأوّل عام 1884 وفي الولايات المتّحدة في شباط 1885. وهي من بين الأعمال الأولى في الأدب الأميركيّ التي كتبت باللغة الإنكليزيّة العاميّة. (المترجمة).

اللطافة، ولديه عادة مقرفة للغاية تتمثّل في مصّه أصابع قائمتيه، وأنا متأكّدة من أنّني وُجدت على هذه الأرض لأحبّ هذا المخلوق".

قلت وقد تفاجأت ممّا قلته: "لا يمكنني التخلّي عن كتابة المقال، فأنا بحاجة إليه لاجتياز هذا الفصل الدراسيّ"، نادرًا ما أكون صوت العقل، ولكن يجب أن أعترف هنا ومن خلال جملة معترضة إن جاز التعبير بأنّه لا يوجد صوت للعقل في صداقتنا، فعادة ما تكون محادثاتنا على هذا النحو.

نورا: تقترح فكرة سيّئة

أنا: *أتردّد*

نورا: *يبدو الإحباط على وجهها*

أنا: أقترح فكرة أسوأ

نورا: *يبدو السرور على وجهها*

فعليًّا، هي تحرّضني وأنا أضاعف جرعة التحريض، إنّها بمثابة تمبرليك إلى بايل[1]، ومثل إدوارد بالنسبة إلى بيلا[2]، وبولي دي[3] بالنسبة إلى جيرسي شور[4]. إنّها أختي من أب آخر، وهي من تستعدّ لدعمي عند مواجهة الخطر، إلى أن أتغلّب عليه وأتجاوزه. وقد كان الأمر هكذا منذ كنّا في الصفّ الثاني عندما جعلنا لون بشرتنا أفتح؛ لأنّ لونها كان أدكن من بشرة سائر الأولاد في مدرسة جبل شاستا،

---

(1) يقصد جيستين تمبرليك وجيسيكا بيل. (المترجمة)

(2) بيلا سوان- هي شخصيّة خياليّة مثّلت دورها الممثّلة كريستين ستيوارت في سلسلة أفلام الشفق للمؤلّفة ستيفاني ماير- وإدوارد كولين- هو شخصيّة خياليّة وبطل سلسلة الغسق. هو مصّاص دماء يقع في حبّ بيلا سوان ثم يتزوّجها وقد أدّى دوره الممثل روبرت باتينسون. (المترجمة)

(3) بول ديلفيكيو هو شخصيّة تلفزيونيّة أميركيّة ودي جي اشتهر عندما مثّل في مسلسل تلفاز الواقعيّ الأميركيّ جيرسي شور. (المترجمة).

(4) جيرسي شور هو مسلسل تلفاز واقعيّ أميركيّ عرض على قناة أم تي من كانون الأول 2009 حتّى كانون الأوّل 2012 في الولايات المتحّدة. يتتبّع المسلسل حياة ثمانية شركاء سكن في منزل للعطلات: في سيسايد هايتس، نيو جيرسي في المواسم الأوّل والثالث والخامس والسادس، وفي ساوث بيتش، فلوريدا في الموسم الثاني، وفلورنسا، إيطاليا في الموسم الرابع.

بالإضافة إلى أنّنا لم نكن قادرتين على تنفيذ الأمور البسيطة التي تُطلب منّا، فنحن لم نكن نقبل برسم زهرة، لأنّنا اعتبرنا الأمر تافهًا، وتساءلنا ماذا بشأن رسم المناظر الطبيعيّة للمحيطات بكلّ ما فيها من نجوم بحر ودلافين.

تنظر نورا إلى عينيّ: "حان وقت الاستسلام، تكيّفي مع الواقع وامضي قُدمًا، وتقبّلي فشلك. هيّا بنا نذهب إلى الإمبيريوم، أنا أتساءل عمّا إذا كان ذلك الشابّ الجميل يعمل خلف الكاونتر، هل تذكرين عندما ارتبكت غلوري وطلبت آيس كريم ريس بالأعضاء الذكريّة؟ هيا، زوم زوم." هكذا تسخر منّي عادة.

"أتمنّى لو أنّكِ لم تسمعي أمّي قطّ وهي تناديني بهذا اللقب"، تحرّكتُ من مكاني فاندفع تماغوشي هاربًا من بين ذراعيّ، إنّه ليس سرًّا: أنا أحبّه أكثر ممّا يحبّني، سار قليلًا واستلقى على الأرض، ودسّ ذقنه في مؤخّرته، إنّه تصرّف محبّب لديه.

هزّت نورا كتفيها بلا مبالاة وقالت: "ولكنّني سمعت، وهذا هو لقبك، ولا يسعني إلّا أن أناديك به".

"أنا أفضّل إيزي".

ردّت بصوت عالٍ: "أنتِ تفضّلين إيزومي".

صحيح، ولكنّني منذ أن كنت في الصفّ الثالث، سمعت هذه المقاطع الثلاثة مجزّأة بما يكفي لتبسيط اسمي، فهو أسهل بهذه الطريقة.

"إن كان في استطاعة البيض تعلّم لغة الكلينغون[1]، فيمكنهم تعلّم نطق اسمك".

عندما يكون شخصٌ ما على حقّ، فهو على حقّ: "هذا صحيح"، أنا أعترف بذلك.

نقرت صديقتي المفضّلة بأصابعها على معدتها، وهذه إشارة واضحة إلى الملل، وجلست وهي تبتسم ابتسامة القطط السرّيّة المتعجرفة، وهذا سببٌ آخر

---

(1) اللغة التي يتحدّث بها الكلينغون الخياليّون في عالم ستار تك. (المترجمة).

لكوني أحبّ الكلاب، فأنا لا أثق بالقطط، لأنّها ستأكل وجهك عندما تموت، (ليس لديّ دليلٌ على ذلك، إنّه مجرّد إحساس يعتريني)، وقالت: "انسي المتجر، فأنا أشعر بأنّني شاحبة وغير جذّابة".

الآن ابتسمت، فلقد سبق لنا أن مررنا بمثل هذا الموقف، ويسعدني أن أوافق على ذلك: "ربما ينبغي لنا تجديد نشاطنا والمحاولة مرّةً أخرى". في الحقيقة لم يسبق لي أن اقترحت شيئًا مساعدًا، ثمّ نبضت أذناي تماغوشي.

أومأت نورا إليّ برأسها مقلّدة الحكماء، وقالت: "العقول العظيمة تفكّر بالطريقة نفسها"، وابتسمت لي مجدّدًا، وعبرت الباب نحو حمّام أمّي الرئيسيّ، المعروف أيضًا باسم روديو درايف لمستحضرات التجميل، فمن الصعب التفكير في ما هو موجود على منضدة الفينيل اللامعة من دون أن يسيل لعابك، حقائب ظلال العيون اللامعة والمطليّة من شانيل، قناع الكافيار للنوم من لابرير، مكحّل العيون من إيف سان لورين، أوه وهل يرغب أحدٍ في منتجات العناية بالبشرة الكوريّة؟ نعم من فضلك، فكلّ أمرٍ صغير لإمتاع أنفسنا يحمل وعدًا بغدٍ أفضل، حيث إنّ الأمر كالتالي، الأمور سيّئة للغاية في الوقت الحاليّ، لكنّني أعتقد حقًّا أنّ جهاز تسمير لون البشرة الموجود في غولدين غوديس سيقلبها رأسًا على عقب.

والمفارقة الصارخة تكمن في كون مستحضرات التجميل التي تشتريها أمّي باهظة الثمن، وهي إشارة واضحة إلى التناقض في شخصيّتها، إذ لا تبالي بالمظاهر، فهي تقود سيّارة بريوس مستعملة، كما لا ترمي جوربيها الطويلين، بل تعيد استخدامهما، وتضع فيهما بقايا الصابون لتصنع منه في وقت لاحق صابونًا سائلًا لليدين، وعندما أشير إلى هذا التناقض في شخصيّة أمّي، كانت ترفض تمامًا اتّهاماتي وتقول: "مهما يكن، إنّ كل هذا يعدّ جزءًا من السحر الأنثويّ". أنا لا أختلف معها بخصوص هذا الأمر، فنحن الإناث لدينا مواهب عديدة، ففي نهاية الأمر إنّ الأغراض اللامعة وأقلام التجميل هي متعة أمّي المدانة، وبالطبع من دواعي سروري أنا ونورا أن نزيّن وجهينا، بينما أمّي تدرّس في كلية المجتمع المحلّي.

وضعت نورا ملمّع شفاه من ديور وهي تنظر خلسةً عبر الستائر: "عاد جونز إلى فناء منزلك مرّةً أخرى".

عندما سمعت ذلك نهضت من مكاني وانضممت إلى نورا لألقي نظرة من النافذة، نعم، هذا هو، جارنا في المنزل المجاور يعتمر قبّعة ورديّة اللون ويرتدي قميصًا أبيض وينتعل حذاء باللونين الأصفر والورديّ، تبدو ألوانه متنافرة، أقصد، من صنع مثل هذا الشيء الكريه؟

حمل عبوتين فيهما سائلٌ داكن ووضعهما عند الشرفة الخلفيّة، ربما تحتويان شاي الكومبوتشا، إنّ هذه المعجزة الملتحية تثير إعجاب والدتي، فهو يحضّر الشاي بنفسه، ويربّي النحل، وقميصه المفضّل مكتوبٌ عليه: *الحبّ لا يرى لونًا*، إنّ هذا بالطبع كذبة، فالحبّ بالتأكيد يرى اللون، فعلى سبيل المثال: عندما استجمعت شجاعتي، وأخبرت صبيًّا في الصفّ السابع بأنّني أحببته، أجابني: "أنا آسف، إنّني لا أجد الفتيات الآسيويّات جذّابات".

منذ ذلك الحين، اتّبعت حياتي العاطفيّة المسار الملعون نفسه، فقد انتهت علاقتي الأخيرة بالخيانة، وكان اسمه فوريست وقد خانني عندما غبت عن البلاد لزيارة أرض الوطن، وانفصلنا بشكلٍ حضاريّ، وأنا الآن أفرك جانبي حيث أشعر بألم حاد مفاجئ، ربما هي غازات، فمن المؤكّد أنّ الذكريات لا تُشعر بالألم.

"إنّه مخيف بعض الشيء أن يَجلب أشياءً لأمّك طوال الوقت، فهو نوعًا ما مثل القطّ الوحشيّ الذي يترك الفئران الميتة على شرفتك"، أعادت نورا وضع أحمر شفاه على شفتيها، فكان اللون الأحمر القاني يناسب شخصيّتها.

رفعتُ ذراعيّ وقلت: "قبل أسبوعين أحضر لها كتابًا عن الزهور المجفّفة"، قد تكون أمّي أستاذة علم الأحياء، لكن علم النبات هو متعة حياتها الحقيقيّة، وبالتالي إنّ ما يفتقر إليه جونز هو مواكبة الموضة، ولكنّه يعوّض ذلك بعلاقاته الاجتماعيّة، وأنا أعترف بمهارته في ذلك.

ابتعدت نورا عن النافذة، وألقت بملمّع الشفاه على لحاف أمّي الذي أحضرته من سوق السلع المستعملة، فأمّي من محبّي الأشياء القديمة ذات الأصول التاريخيّة: "هل هذا هو الكتاب الذي جلبه لها؟ بساتين الفاكهة النادرة في أميركا الشمالية؟"، إنّها تقف الآن بجانب منضدة أمّي، وتبحث بين أغراضها، فيا لها من متطفّلة!

أجبتها: "لا، هذا مختلف"، لم أهتمّ كثيرًا بالكتاب، كون اسمه بساتين الفاكهة النادرة.

فتحت نورا الغلاف: "راه راه، سكوبي دو، ما هذا؟"، نقرت بإصبعها على صفحة العنوان وبدأت تقرأ: "محبوبتي هاناكو...".

استغرقني الأمر لحظة لأستوعب ما قالته، محبوبتي؟ هاناكو؟ اندفعت، وانتزعت الكتاب من بين يديها.

"فظّة"، تمتمت نورا ووضعت ذقنها على كتفي.

إنّ خط اليد أنيق ولكنّه مائل، وكأنّ قلم الرصاص شبه ذائب تقريبًا.

محبوبتي هاناكو،

من فضلك دعي هذه الكلمات تقول ما لا أستطيع أن أنطقه،

كنت أتمنّى لو كنت قريبًا منك

مثل التّنورة المبلّلة على جسد فتاة.

أنا أفكّر فيكِ دائمًا.

- يومبي نو أكاهيتو.

تقبّلي فائق الاحترام والتقدير،

هيرو، 2003.

مكتبة
t.me/t_pdf

صفّرت نورا بصوتٍ منخفض: "أظنّ أنّ جونز ليس المعجب الوحيد بوالدتك".

جلست على السرير وقلت: "لم يسبق لأمّي أن ذكرت شيئًا عن هيرو"، لا أعرف كيف أشعر حيال هذه الحقيقة، فمن الغريب أن تفكّر في حياة والديك قبل

ولادتك، يمكنكم وصفي بالنرجسيّة، لكن من حقّ المراهق أن يصدّق أنّ كل شيءٍ بدأ منذ لحظة ولادته، مثل: *إيزي هنا الآن، أيّتها الأرض، يمكنك البدء بالدوران*، لا أعرف، ربما يكون الأمر متعلقًا بكوني طفلةً وحيدة، أو ربما كانت أمّي تحبّني كثيرًا لدرجة أنّها جعلت الأمر يبدو على هذا النحو.

كنت أحاول استيعاب هذا عندما قالت نورا بعناية: "حسنًا، لقد ولدتِ عام 2003".

"نعم". ازدردت لعابي، وأنا أحدّق إلى الصفحة، لقد ذهبت أفكارنا في الاتّجاه نفسه غير المحتمل، ولكنّ الأكيد أنّه قائم على الحدس، فقد حملت أمي بي في سنتها الأخيرة في الكلية، وكان والداي في السنة الأخيرة نفسها، هارفارد، 2003، وقالت أمّي إنّ والدي كان طالبًا زائرًا من اليابان، وكانت علاقتهما لليلة واحدة، لكنّها لم تكن خطيئة، فقد أصرّت دائمًا على أنّها لم تكن على خطأ على الإطلاق.

حدّقت إلى الاسم، هيرو، ما هي احتمالات أن تكون لأمّي علاقتان منفصلتان مع رجلين يابانيّين مختلفين في العام الذي وُلدت فيه؟ نظرت إلى نورا: "قد يكون هذا والدي"، إنّ قول هذه الجملة بصوت عالٍ يبدو غريبًا، وثقيلًا، ومحرّمًا.

لطالما كان موضوع والدي هامشيًّا في سيرتي الذاتية: لقد تشكّلت إيزي في العام 2003 من هاناكو تاناكا ورجلٍ يابانيٍّ غير معروف، وليست الرغبة في معرفة أصولي هي التي تجعلني أشعر بالسوء، فأنا ابنة القرن الحادي والعشرين، ولن أشعر بأيّ شكل من الأشكال بالخجل، لأنّ والدتي متحرّرة جنسيًّا، وأنا أحترم قراراتها، بالرغم من أنّ كلمة أمّي وأيّ شيء يبدأ بأحرف ج-ن-س يجعلني أرغب في إحراق شيءٍ ما.

إنّ عدم معرفتي هو الذي يجعل روحي تتألّم، أمشي في الشارع، أتفحّص الناس، وأتساءل: هل أنت أبي؟ هل يمكن أن تكون قد قابلت والدي؟ هل يمكن أن تعرف شيئًا عنّي لا أعرفه؟

تفرّستني نورا وقالت: "أنا أعرف هذه النظرة، أنت ترفعين آمالك".

ضممت الكتاب إلى صدري، فأحيانًا يكون من الصعب ألّا أشعر بالغيرة من صديقتي المفضّلة، فقد حصلت هي على الكثير ممّا لم أحصل عليه، كوالدين محبّين، وعائلة كبيرة.

لقد حضرتُ مناسبة عيد الشكر في منزلها، إنّها لوحة حقيقيّة لنورمان روكويل باستثناء وجود عمّ مخمور، واللغة الفارسيّة التي تحوم حولها، وصلصة الرمان، وفطائر البرسيمون بدلًا من فطيرة التفاح. إنّها تعرف بالضبط من هي، ومن الدها، وإلى من تنتمي.

أخيرًا قلت: "حقًّا".

جلست نورا وهي تشجّعني: "حقًّا، قد يكون هذا والدك، وقد لا يكون، لا داعي للقفز إلى الاستنتاجات". لكن كلّ ما قالته لم يعد يُجدي نفعًا، فقد فات الأوان.

عندما كنت طفلة، كثيرًا ما فكّرت في والدي، وأحيانًا تخيّلته طبيب أسنان أو رائد فضاء، وذات مرّة وبالرغم من أنّني لن أعترف بذلك، تمنّيت أن يكون أبيض البشرة، في الواقع، تمنّيت لو كان والداي أبيضي البشرة، لأنّ اللون الأبيض كان جميلًا، مثل لون الدمى، والعارضات، والعائلات التي رأيتها على شاشة التلفاز، إنّ لون البشرة الشاحب، وشكل العين المستدير مثل اختصار اسمي، لن يجعل من حياتي أسهل، ولن يسّهل عليّ إقامة العلاقات الحميمة.

ألقيت نظرة على الصفحة وقلت: "يجب أن يكون لدى جامعة هارفارد سجلّات لمن التحق بها". لقد خرج ذلك منّي على نحوٍ متذبذب، لم أجرؤ مطلقًا على البحث عن والدي، حتى إنّني لا أتحدّث عنه حقًّا، فلم تشجّع أمي ذلك. وفي الواقع، لقد أُحبطت من عدم رغبة والدتي في التحدّث عنه، لذلك التزمت الصمت مرغمة، فلم أرغب في هزّ قارب الأمّ وابنتها، ولا أزال غير راغبة في ذلك، لكن لا يجب أن أسلك هذا الطريق بمفردي أيضًا، أليس هذا هو سبب وجود الأصدقاء المقرّبين؟ أليس دورهم تقاسم الأعباء؟

سمعت صوت نقر، ثم أومض الفلاش، لقد التقطت نورا صورة للصفحة بهاتفها، قالت وهي تعدني: "سنصل إلى نهاية هذا الأمر"، يا إلهي، كم أتمنّى لو أستطيع أن أحصل على مثل ثقتها بنفسها، لم أمتلك سوى نصف ما لديها، ثمّ وكزتني بيدها: "هل أنتِ بخير؟".

ارتعشت شفتاي، وجاشت المشاعر في صدري، قد يكون هذا كبيرًا، كبيرًا حقًّا: "نعم، لكنّ يصعب استيعابه".

طوّقتني نورا بذراعيها، وضغطت عليّ بقوة، وتعانقنا، ووعدتني قائلة: "لا تقلقي، سنجده".

"أتعتقدين هذا حقًّا؟"، واشتعل الأمل في عينيّ.

وعادت الابتسامة الشبيهة بابتسامة القطط: "هل السينابون[1] هو سبب انهياري؟".

"بناءً على الاستهلاك السابق، سأقول نعم".

كانت إيماءتها سريعة وواثقة: "سنجده".

انظري سنخوض الأمر معًا في السرّاء والضرّاء.

(1) مطعم مخبز سينابون يشتهر بلفائف القرفة ومنتجات القرفة والقهوة والمشروبات المجمّدة.

الفصل الثاني

ظهيرة يوم الثلاثاء، كنت في المدرسة، أتجوّل في ممرّات ثانوية جبل شاستا، لقد مرّت ثماني عشرة ساعة منذ أن قلبت تلك القصيدة الواردة في كتاب "بساتين الفاكهة النادرة" حياتي رأسًا على عقب.

كان نهاري شاقًّا، وكثيرة هي الأسئلة التي دارت في خلدي، هل كذبت أمّي بشأن عدم معرفة والدي؟ وإذا كان الأمر بالفعل كذلك، فلماذا؟ أيمكن أن يكون والدي على علم بأمري؟ إذًا، لماذا لا يريدني؟ أشعر بصراع داخليّ، فقد كنت حريصةً على احتواء آمالي ومراوغة والدتي في الوقت نفسه، إنّه لأمرٌ جيّد أنّني ماهرة في الخداع، إذ يوجد تحت سريري نصف زجاجة من شراب الخوخ المخمّر الكحوليّ، وحفنة من الروايات الرومانسيّة (دوقٌ فقير، وريثة من الطبقة الدنيا، حبّ حقيقي إلى الأبد)، وأمّي لا تعرف بشأنها، واعتياد التمثيل هو مفتاح الحلّ، فأنا مجرّد فتاة تمارس عملها، ولا شيء مريب هنا.

كان مدخل المكتبة أمامنا، فتمالكت نفسي وأنا أتجاوز اثنين من رعاة البقر، وفتاتين تُدعيان هارموني، وبعد ذلك رددتُ دفتي الباب خلفي.

آه، وأخيرًا حظيت ببعض الهدوء، تمنّيت لو كان من السهل أن أكفّ عن التفكير، وبين رفوف المكتبة، كانت نورا تنتظرني على أحرّ من الجمر، وكنت كذلك أيضًا، ففي الساعة الفائتة، تمّ تبادل مجموعة من الرسائل بين عصابة الفتيات الآسيويّات.

نورا: *يا إلهي، يا إلهي، يا إلهي.*

نورا: *أخبارٌ عظيمة، اجتماعٌ طارئ لعصابة الفتيات الآسيويّات في المكتبة أثناء الغداء.*

غلوري: نحن نأكل هناك كلّ يوم.

أنا:؟

نورا: *فلتكنّ هناك في الموعد، لن ترغبنَ في تفويت ذلك.*

غلوري: إذا كان هذا يتعلّق بالحلمة الثالثة لديني ماسترسون مرّةً أخرى...

نورا: *لا تحلمي بذلك!.*

هانساني: ماذا عن القليل من التلميح؟

أنا:؟

نورا: *حقًّا! وأفسد متعة إفشاء الخبر الكبير؟ لا أقصد الإهانة، لكن عليكِ الانتظار.*

الآن، أنا أدفع البالون المليء بالأمل عن صدري، فمن المحتمل أنّ تكون أخبار نورا الطارئة لا تتعلّق بوالدي المزعوم، وعلى أيّ حال إنها تعيش من أجل إخبارنا باجتماعات الطوارئ.

"أخيرًا"، أمسكت نورا بيدي، وسحبتني من أمام رفوف المكتبة خلفها، ثم خرجنا وتوجّهنا إلى الزاوية الشماليّة الشرقيّة.

كانت هانساني، فتاةً سريلانكية أنيقة، أمّا غلوري، فهي نصف فلبّينيّة لها حاجبان أموت من أجل الحصول على مثلهما. كانتا تنتظران بالفعل عند طاولتنا المعتادة، هاتان الفتاتان هما أقرب صديقتين، ولدينا جميعًا قدرة فريدة على التحديق إلى بعضنا ومعرفة بالضبط ما الذي تشعر به كلّ واحدة منّا، ولقد ولدت علاقتنا في المدرسة الابتدائيّة، حيث أدركنا أن أكبر عيبٍ لدينا هو مظهرنا.

بالنسبة إليّ، كانت إميلي بيلينغز، قد حاصرتني في حافلة المدرسة، وشدّت عينيها إلى الأعلى بطريقة مبتذلة للغاية، كنت أعرف أنّني مختلفة، ولكنّي لم أكن أعرف أنّ الاختلاف سيّئ حتى أشار إليه أحدهم، بالطبع ضحكت مع الأطفال الآخرين، وبعد كلّ شيء، الفكاهة هي دائمًا أفضل دفاع، فتظاهرت بأنّ الأمر لم يؤثّر فيّ أبدًا، تمامًا كما تظاهرت بأنّه لم يؤثّر في نفسي عندما سألني أحد الأطفال

عمّا إذا كانت عائلتي احتفلت بذكرى قصف بيرل هاربور وكأنّه عيد الميلاد، أو عندما طلب الطلّاب مساعدتي في واجباتهم المدرسيّة في الرياضيات، وكانت النكتة تضحكهم، لأنّني فاشلة فيما يخصّ الأرقام، ومع ذلك، في كلّ مرّة يذبل شيءٌ في داخلي، خجلًا وإحراجًا.

أيًّا يكن الأمر، فقد فهمناه، ونعلم جميعًا كيف يبدو الأمر مع اللكمات الثقافيّة، حيث تُستجوب نورا حول سبب عدم ارتدائها الحجاب، ويتساءل الناس إذا كانت غلوري فتاة متبنّاة وذلك عندما تكون مع والدها الأبيض، وهانساني تتحمّل تعليقات السيّد أبو اللاذعة، فهو غالبًا ما يقول لها إنكِ في البلد الخطإ، يا صاح، في البلد الخطإ، وبالطبع هناك تعميم، لا، ولكن من أين أنتِ حقًّا؟

لقد بدأت الفتيات بالفعل تناول طعام الغداء، المكوّن من خبز عربيّ وحمّص لهانساني، وسلطة البيض لغلوري، وعلى الرغم من وجود علامة "ممنوع الأكل" فوق طاولتنا، إلّا أنّ القواعد قد وُضعت لكي تُكسر، وتبًّا لها.

ألقيت حقيبتي وزجاجة الماء على المنضدة وابتسمت لغلوري وهانساني، وجلست نورا على الكرسيّ بجانبي، وهي تنقر بأصابعها على كتب غلوري: "حاسبٌ محمول".

كانت غلوري تنظر إلى نورا وقد ضاقت عيناها: "من فضلك"، حتّى وهي تسحب الكروم بوك اللامع، وخزت نورا غلوري بقلم رصاص، وقالت: "أنتِ تعرفين أنّني أعشقك، حتى لو أنّ اسمك لا يناسبك"، هذا صحيح، رغم أنّني لن أقول ذلك أبدًا، غلوري هي فتاة حالمة جنونيّة ومهووسة حقيقيّة، هي من نوع الأشخاص الذين يضعون أصابعهم في فم شخصٍ ما في أثناء تثاؤبه لإثبات هيمنتها، أمّا نورا، فلا تخشى قول أيّ شيءٍ لأيّ أحد، وأفضل وصف لعلاقتهما هو الحبّ والكراهية، إنّهما متشابهتان للغاية ولا تعرفان ذلك.

قالت غلوري: "خزيني مجدّدًا بقلم الرصاص، وسأوجّه لكمة إلى حلقك".

في هذا اليوم يبدو أن مستوى الكراهية يفوق مستوى الحبّ.

قلت مقاطعة حديثهما: "هل يمكننا متابعة الأمر؟".

بعد وقت طويل قالت نورا: "نعم، نعم نستطيع"، ثم توقّفت، وجمعت يديها معًا وطقطقت أصابعها.

"فلتقرعْنَ الطبول رجاءً!".

تململت هانساني ومدّت يديها على الطاولة.

أخرجت غلوري مبرد أظافرها، وبدأت تبردها على شكل مخالب.

أما أنا فأغمضت عينيّ، واستعددت، وسمحت لشعلة الأمل في صدري أن تلتهب، أتمنّى أن يكون الأمر بشأنه، وإذا كان كذلك، فعسى ألا يكون قاتلًا متسلسلًا.

صرخت نورا: "لقد وجدته! لقد وجدت هيرو، والدك!".

فتحتُ عينيّ ورمشتهما، بعد أن حفرت نورا في صدري، وغرست كلماتها فنمت لها أغصان وأوراق، وتفتّحت أزهار، وقد رافق ذلك مشاعر متضاربة، فعلى الرغم ممّا تقدّم، شعرت بعدم الراحة، لذلك قمت بأفضل ما أجيده، وأطلقت دعابة، فانحرف الحديث عن هدفه: "إذًا هذا ليس عن حلمة ديني الثالثة؟".

نقرت نورا بيدها: "يا إلهي، لا، هذا كان قبل شهرين ونصف، الآن، قبل أن أريكنّ ما وجدته، أحتاج إلى أن أخبركنّ بشيء"، بدت جادّة، ولكنّها غير متأكّدة من كلامها.

لقد شعرت هانساني باندفاع الدم إلى وجهي وأذنيّ، فمدّت يدها عبر الطاولة ووضعتها فوق يدي، فهي لديها حاسّة سادسة من نوعٍ ما، حيث يمكنها اكتشاف التردّدات العاطفيّة، إنّها قوّتها الخارقة.

ألقيت نظرة على غلوري وهانساني، فهل تعرفان ما الذي وجدته نورا؟ وهزّتا برأسيهما، إنّه أحد الأشياء لدينا، التواصل من خلال النظرات وحدها، فنحن نعمل على الموجة نفسها، لذلك، نحن جميعًا في الظلام.

قلت وأنا أتنفّس بعمق: "حسنًا، أخبريني ما الذي وجدته". استعددتُ للأسوأ، وكنت أتمنّى الأفضل.

استنشقت الهواء وبدت منتشية وقالت: "أنا منجذبةٌ جدًّا إلى والدك".

قهقهت هانساني.

وقلبت غلوري عينيها.

لقد هبّت الريح على أشرعتي المضطربة، وقلت: "يا للمهزلة! لا نعرف حتّى ما إذا كان والدي".

"أوه، إنّه والدك".

أبي، لقد أشرت إليه دائمًا على أنّه والدي، وليس أبي، فالأوّل هو لقبٌ يُعطى عند الولادة، أمّا الأخير فيُكتسب مع مرور الوقت، من خلال الليالي الطويلة والتواجد الدائم... وليس لديّ أب، لكن يمكنني أن أجده، الأمل في ذلك يدفعني إلى حافّة مقعدي.

قالت نورا: "أنتِ تشبهينه للغاية، تحقّقي من الأمر"، ووجّهت شاشة الحاسوب نحو المجموعة، فكانت الصور تملأ الشاشة.

رمت غلوري مبرد أظافرها على الطاولة، وقالت: "يا إلهي!".

شهقت هانساني بصوتٍ منخفض: "لا أُصدّق!".

صرخت نورا: "قابلن هيرونوميا تاكاهيتو، إنّه والدك، يا زوم زوم؟"، حرّكت المؤشّر ونقرت، لتكبير الصورة.

كان الأمر أكثر غرابةً عن قرب، فهو يقف أمام مبنى من الطوب، إنّها جامعة هارفارد، كما أفترض.

يبدو شابًّا في الصورة، وابتسامته مليئة بالوعود الواهية والآمال الحمقاء، وهي تشبه الابتسامات التي تظهر على المرء قبل أن ترهقه الحياة، ومن المستحيل تجاهل الشبه، أمر غريبٌ للغاية، ها أنا أماثله في شفتيه الممتلئتين، وفي أنفه المستقيم، وحتّى في الفراغات بين أسنانه.

فغرتُ فاهي ثمّ أطبقته، قبل أن أعيد فغره من جديد.

قالت غلوري: "نورا على حقّ، يا له من أب!".

شددتُ قبضة يدي على الطاولة، وتسارعت نبضات قلبي، وبدأت أذكّر نفسي بأنّ النوبات القلبيّة نادرة في سنّ الثامنة عشرة، "كيف استطعتِ...؟"، ثم توقّفتُ، لأتمالك نفسي، وأجمّع أفكاري، "كيف استطعتِ إيجاده؟".

"لم يكن لدى جامعة هارفارد سجلّات طلّاب متاحة عبر الإنترنت، لكن لديها نماذج الطلبات إلى جانب أرقام الهواتف، لذلك اتّصلت هذا الصباح، وتحدّثت إلى فتاةٍ خدومة للغاية تدعى أوليفيا، إنّها قصّة مضحكة، لقد نشأت في آشلاند، وهي تقع بالقرب من جبل شاستا، وقد تفاهمنا للغاية، وأصبحنا صديقتين، ومن المحتمل أن تسمّي طفلها الأول باسمي".

صرخت غلوري: "آه، ادخلي في صلب الموضوع".

بالنسبة إليّ، لا أستطيع التوقّف عن التحديق إليه، إلى هيرو، والدي، فكثيرة هي أوجه الشبه بيننا، لدينا نفس الحاجبين، لكنّني حاولت أن أتمالك نفسي، فمرّرت أصابعي على الشاشة ثم سحبتها، لا داعي للتعلّق عاطفيًّا.

"على أيّ حال، لدى أوليفيا عددٌ غير قليلٍ من الأصدقاء اليابانيّين، وعندما أخبرتها عمّن نبحث، ذكرت أنّ اسم هيرو أحيانًا هو اسمٌ مستعار لاسم هيرونوميا، ثم أجرت نوعًا من سحر الفودو على حاسوبها، وأعطتني في الحال قائمة بطلّاب هارفارد الذين كانوا في السنة الأخيرة في العام 2003، فتفحّصتهم جيّدًا، وكان الأمر سهلًا للغاية إذ بحثت فقط عن اليابانيّين"، ولوّحت نورا بيدها أمام وجهي: "حسنًا؟".

تتشكّل الكلمات ثمّ تموت في حلقي: "نعم، لا، ربما؟".

"سأعتبر أنّك موافقة لأنّ هناك المزيد".

المزيد؟ كيف يمكن أن يكون هناك المزيد؟!

"فلتبقي معي".

صمتت نورا لحظة، وسعلت "احم احم" بينما كنتُ منجذبةً إلى الشاشة.

"إنّه ملكيّ"، وتوقّفت، وزادت ابتسامتها إشراقًا، "أمير"، توقّفت مرّة أخرى، وأصبحت ابتسامتها أكثر إشراقًا، ولا تزال: "لأكون دقيقة أكثر، هو وليّ عهد اليابان".

سمعتُ صوت تكتكة الثواني التي كانت فوق رؤوسنا، كانت ابتسامة نورا عريضة، فاستنشقت الهواء، وشعرت بأنّني أقف في نفقٍ طويلٍ ومظلم للغاية.

همست هانساني بقلق: "لا أعتقد أنّها بخير، ربما يجب علينا الاتّصال بالممرّضة".

قالت غلوري: "لم يعد لدينا ممرّضة بعد الآن، بسبب تخفيضات الميزانيّة".

شعرت بالاحتقان في حلقي، فلا يوجد مكانٌ أذهب إليه سوى صعود وهبوط، وفقدتُ السيطرة على نفسي وقهقهت، ذلك النوع من الضحك الذي قد تسمعه في ملجأ ما، نعم، أنا أفقد صوابي.

قالت نورا: "حقًّا يا زومرز، هذا ليس مضحكًا، أنت ثمرة حبّ الأمير، أنت فلذة كبده".

قالت غلوري وفمها ممتلئ بسلطة البيض: "لا ينبغي أن تجتمع كلمتا فلذة وكبد معًا".

تتحوّل ابتسامة نورا إلى تكشيرة: "أنتِ لا تصدّقينني، لا أحد منكنّ يصدّقني، فلا بأس، هل تردن برهانًا، انظرن إلى هذا"، تصغّر الصورة وتُخرج مقالًا من إحدى الصحف.

ثرثرة طوكيو

أكبر وريثٍ غير متزوّج في تاريخ عرش الأقحوان، وليس لديه أيّ نيّة للزواج

---

23 أيار 2018

في التاسعة والثلاثين من عمره، ظلّ صاحب السمو الإمبراطوريّ وليّ العهد الأمير تاكاهيتو عازبًا وليس لديه أيّ خططٍ للزواج، ووفقًا لما ذكره أحد المطّلعين على أمور القصر: "على الرغم من وجود الكثيرات من المرشّحات المؤهّلات للزواج منه، يرفض ولي العهد الاستقرار، وإنّ بلاط الإمبراطورية في غاية الأسى، رغم أنّه لم يُصرِّح بذلك علنًا...".

يستمرّ المقال في التكهّن بشأن عرائس ولي العهد المرشّحات: قريبة ملكيّة بعيدة، ابنة أخت مسؤولٍ في ضريح إيسه الكبير، حفيدة رئيس وزراء اليابان السابق، ابنة رجلٍ صناعي ثريّ.. وقد أرفق المقال بصور النساء، وقد التصقن بذراع والدي، وتظهر المهور الجميلة وهي تتمايل تحت دائرة الضوء من أجل إثارة اهتمامه، في حين يبدو ذا رزانة، عكس ما ظهر عليه في صورة هارفارد، وهناك انتقاداتٌ للنساء أيضًا؛ ليست القبعة المناسبة لحفلة الحديقة، وليست القفّازات المناسبة لعشاءٍ رسميّ، أو لا تملك هذه العائلة أموالًا كافية، أو ما هو أسوأ، إنّها تطمع بأموال الأسرة المالكة.

تجمّعت الفتيات ورائي، وهنّ يحدّقن إلى شاشة الحاسوب المحمول.

قالت هانساني: "إنّه مثل جورج كلوني آسيويّ".

صحّحت لها غلوري: "جورج كلوني قبل أمل والتوأم".

أغلقت المقال وأمضيت الدقائق الخمس التالية في النقر على المزيد من الصور، ظهرت صورة وهو يتقاسم صندوق كوفنت جاردن الملكيّ مع الأمير تشارلز وكاميلا لأداء لا ترافياتا، وصورةٍ أخرى، وهو يتناول وجبة الغداء مع دوق لوكسمبورغ الأكبر في قلعة بيتزدورف، وأخرى، يبحر في البحر الأبيض المتوسّط مع ملك إسبانيا، وفيما يلي: يتزلّج في ليشتنشتاين مع الأمير هانز، ويحضر عشاءً رسميًّا مع حاكم الإمارات الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان... وإلى جانب كلّ هذه الصور، هناك صورة حقيقيّة له مع جورج كلوني!!! فأغلقت الحاسوب المحمول وأبعدته عن الطاولة، وكنت بحاجة إلى مساحة أكبر.

نورا، غلوري، وهانساني تردّدن في الابتسام، وبدَوْنَ وكأنّهنّ يُشعِرْنَ قلقًا: "والدي هو وليّ عهد اليابان"، ولعلّ التحدّث بصوتٍ عالٍ سيجعل الأمر أكثر واقعيّة، ولكن لا.

أشعر وكأنّ روحي انفصلت عن جسدي، من الصعب تصديق ذلك، لكنّ الصور لا تكذب، أنا صورةٌ طبق الأصل عنه، "فلذة كبده" لا، فأنا لا أزال لا أحبّ هذا المصطلح.

قالت نورا: "يا إلهي، أحلام الطفولة تتحقّق! أنتِ أميرة".

أنا أميرة، ومعظم الفتيات الصغيرات يحلمن بهذا اللقب، أمّا أنا فلا، فقد اشترت لي أمّي يومًا مكعّبات بناء، وكانت صور روث بدر غينسبيرغ وهيلاري كلينتون تظهرعليها، وقد حلمت حينها أن يكون لديّ أب فقط، وأعرف من أين أتيت، لأكون قادرةً على التحدّث بفخرٍ عن هويّتي.

تابعت نورا: "إذا كنتِ من أفراد العائلة المالكة، فعندئذ يجب أن أكون شيئًا ما أنا أيضًا، سأدفع ثمن ذلك الاختبار لمعرفة النسب عندما أعود إلى المنزل، وأتمنّى أن يبيّن أنّني أنتمي بنسبة عشرين بالمئة إلى هوغورتس، وخمسين بالمئة إلى تارغارين، وثلاثين بالمئة إلى العائلة المالكة البريطانية، وأن أكون مئة بالمئة أخت أوبرا المفقودة منذ زمنٍ طويل".

قالت هانساني وهي ترفع يديها أمام عينيّ نورا: "أنا متأكّدة من أنّ الأمر ليس كذلك، وهذا ما أقوله".

صرفت نورا نظرها عن هانساني وهي تقول: "هذا أعظم شيءٍ حدث لي على الإطلاق، أقرب صديقةٍ إليّ هي من العائلة الملكيّة!"، وتضغط بقبضتيها المشدودتين تحت ذقنها وتحدّق إليّ: "سأتمسّك بكِ بشدّة".

أشعر بالدوار، هذا أكثر ممّا كنت أريده في أيّ وقت مضى، أكثر ممّا يمكن أن أحلم به، ما كنت أنتظره منذ ثمانية عشر عامًا، ومع ذلك... أشعر بشيء عالق في حلقي، إنّه لا مفرّ منه، غير مستساغ، مرّ المذاق.

"حياتي كلّها كذبة، لماذا أخفت أمي هذا عني؟".

طقطقت غلوري بأصابعها وهي تقول: "هذا السؤال المهمّ يا صديقتي".

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الثالث

الرسائل، الساعة 5.26 بعد الظهر.

أنا: هذا صحيح، إنّ فكرة مواجهة والدتي هي أفضل مهدّئٍ على الإطلاق.

نورا: يمكنك فعل ذلك.

نورا: ادخلي وواجهيها، لقد حان الوقت لتدفع ثمن غلطتها، وكوني المحامي الشجاع الذي يقدّمها إلى العدالة.

أنا: أفضّل أن أكون ماريسكا هارغيتاي، إنّها قاسية بالإضافة إلى أن آيس تي هو شريكها.

أنا: يجب أن أذهب، أمّي في المنزل الآن.

نورا: تذكّري مطرقة العدالة!.

تنهدّت، وحوّلت هاتفي إلى الوضع الصامت، وأنا أشعر بكتفيّ متشنّجتين، وقلبي يخفق بسرعة، وثقل يضغط على معدتي، فتوجّهت من الردهة إلى المطبخ، وكانت أمّي بالفعل تضجّ هناك، وتفتح وتغلق الخزائن، وتصبّ الزيت في مقلاةٍ عملاقة، فهي ليلة المقالي. أثنيت يدي بسبب الرجفة، وأنا أقول لنفسي إنّ عليّ التصرّف بهدوء وبشكل طبيعيّ، ولا ينبغي أن يكون هذا صعبًا، ففي العادة أتجوّل منذ السادسة في المطبخ، وأسأل أمّي كلّ عشر دقائق متى ستنتهي من تحضير العشاء.

جلستُ على أحد الكراسي، وقد تدلّت الأكواب من الخطّافات أسفل الخزانة أمام عينيّ، إذ تُحبّ أمّي جمع الأكواب، والمفضّلة لديها هي التي كتب عليها عبارات غريبة، ثمّ وضعت أمامي لوح تقطيع وسكّينًا وفلفلًا حلوًا متعدّد الألوان وهي تقول: "قطّعي، قطّعي".

نفّذت ما طلبته منّي، وبدأت بتقطيع الفلفل البرتقاليّ، وأنا أقول لها بنبرة استفهام: "أمّي؟".

"نعم؟"، لفّت التوفو بقطعة قماش، وخلعت سترتها، لكنّها لا تزال ترتدي زيّ العمل، وهو عبارة عن قميص مزرّر (لفّت كمّيه حتى بلغا مرفقيها) وتنّورة مستقيمة.

"أخبريني مرّةً أخرى عن والدي الذي تبرّع بالحيوانات المنويّة".

كانت علاقتنا في السابق واضحةً جدًّا، ويمكنني أن أختصرها بجملة واحدة، وهي أننّا عائلة مكوّنة من أمّ عزباء وابنتها في مواجهة العالم، والآن يبدو كلّ شيءٍ معقّدًا للغاية، لقد تغيّر كلّ شيء، لكنّها لم تدرك ذلك بعد، كان الأمر مشابهًا لانفصال والدي غلوري، ووقوع والدتها في الحبّ، بعد أن بدأت بمواعدة طبيب الأسنان بينما كان والدها يخطّط لذكرى زواجهما العشرين، فالأكاذيب تلوّث كلّ شيء.

أغمضت أمّي عينيها، آه، إنّها تمرّ بإحدى حالاتها المعتادة، وتستعدّ لتقول التعابير نفسها، لقد أمضيتُ يومًا طويلًا وشاقًّا، ولا أملك وقتًا لهذه الحالة المزاجيّة.

"لقد طلبت منك عدم استخدام هذا المصطلح".

"آسفة، ولكنّني أذهب إلى مدرسةٍ عامّة، ولدينا مادّة تربية جنسيّة، لذلك أنا أعرف الكثير".

أخرجت التوفو من القماش، وقطّعته إلى مكعّبات، وألقت بها في المقلاة، فأزّ الزيت، وكان الصوت مريحًا بشكلٍ غريب، كما هي مريحة العودة إلى المنزل: "هل يمكن لهذا الحديث الانتظار؟ فأنا أعدّ العشاء الآن".

أمسكت بالسكين بقوّة أكبر، وبدا ذلك تعبيرًا عمّا أشعر به من مشاعر غاضبة، ولكنّ جوابها لم يحبطني إطلاقًا: "لا يمكنني الانتظار، فقط أريد أن تشرحي لي ذلك مجدّدًا".

توقّفت وحدّقت إليّ من فوق كتفها، وبدا أنّ عينيها تومضان بشكل غريب: "ما الأمر؟ هل تشعرين بحاجة إلى أب؟".

كانت تعابير وجهها مريعة، فتحوّل إصراري إلى دفاع، ماذا يمكنني أن أقول؟ نعم أشعر أنّني بحاجة إلى أب، بل أكثر من ذلك، أفتقد وجود ماضٍ يخصّني، فليس لأمّي عائلة، إنّها سانسي، الجيل الثالث من اليابانيّين، فقد هاجر أجدادها في الثلاثينيّات، ولم يتكلّموا اللغة مطلقًا، ولم يصبوا سوى إلى حياة أفضل عندما صعدوا على متن سفينةٍ متّجهةٍ إلى أميركا، وبعد الحرب العالميّة الثانية أخفوا الكيمونو الموروث تحت السرير، ووضعوا أشجار عيد الميلاد في ديسمبر، وتحدّثوا الإنجليزيّة فقط.

لكنّ بعض التقاليد ترفض الزوال، إنّها تتسرّب من الشقوق وتتشبّث بالجدران مثل خلع الحذاء قبل دخول المنزل، ودفع فاتورة المطعم بالكامل، والاحتفال بالعام الجديد بتناول توشيكوشي سوبا وموتشي، أريد أن أفهم نفسي، أريد أن أغرز يديّ في الأرض وأقتلع الجذور.

ولكن لا يمكنني إخبار والدتي بأيٍّ من هذا، ولا يمكنني إخبارها عندما يسألني الناس عن قصّتي، من أنا، ومن أين أتيتِ، فأقولها بنبرة أسف: لا أتحدّث اليابانية، لا، لم أزرْ اليابان أبدًا، لا، أنا لا أحبّ السوشي. إنّ الأمر واضحٌ دائمًا من نظراتهم المحبطة، فأنا لست أصليّة.

كلّ هذا سيؤذيها.

لذا بدلًا من ذلك، تركت صمتي يتكلّم.

كانت تنهيدتها طويلة وعكست معاناتها، فنظرت إلى السقف؛ يا ربّ امنحها الصبر: "التقيت به في السنة الأخيرة من دراستي الجامعيّة في إحدى الحفلات، فأقمنا علاقة، واكتشفت أنّني حاملٌ بكِ بعد تخرّجي، وبحلول ذلك الوقت كان قد فات الأوان للعثور عليه".

"ألم تعرفي اسمه؟".

قالت من دون أن تنظر إلى عينيّ: "لا".

"ألم تعرفي أين كان يعيش؟".

"لا".

"ماذا عن أصدقائه، هل حاولت تعقبّه من خلالهم؟".

"لم يكن لدينا أيّ أصدقاء مشتركين".

"هاه".

"هل انتهينا من هذا الآن؟ هل أنهيت مشروعك باللغة الإنجليزيّة، لمجلة هكيلبيري فين؟".

اعتبرت سؤالها إهانة شخصيّة: "بالطبع أنهيته"، في الحقيقة لم أنهِه، لكنّني حصلت على تمديد لمدّة أسبوع، كلّ التحيّة لعذر الدورة الشهريّة، وما لا تعرفه أمي لن يؤذيها: "أما بالنسبة إلى الحديث فلم أنهِه".

مكعّبات التوفو في المقلاة، وقد أضافت أمّي إليها البصل: "إيزومي"، أحبّ الطريقة التي تلفظ بها أمّي اسمي، عبر إطالة حرف الياء، وتليين حول زومي، مقدار كبير من الحبّ وراء كلّ ذلك، ولكنّ اليوم هناك منغصّات إضافيّة.

"حسنًا، لم يخبركِ أبدًا أنّ اسمه هيرونوميا تاكاهيتو؟"، كنت أقول اسمه بهدوء لكنّه سقط مثل صخرة على أرضيتنا الشمعيّة، هذه هي اللحظة التي عرفت فيها أنّ أمي كذبت بشأن كلّ شيء، إنّها تزدرد لعابها، وتضغط على شفتيها، وتحدّق إليّ بعينيها الداكنتين. مذنبة، مذنبة، مذنبة.

سألتني بنبرة لطيفة: "من أين عرفت هذا الاسم؟".

وضعت السكّين والفلفل: "رأيت اسمه في ذلك الكتاب على منضدة سريركِ، حسنًا، جزء منه وهو اسم هيرو، ثمّ اكتشفت ونورا الباقي".

"هل عبثتِ بأغراضي؟". وحين هزّت برأسها بقوّة انسابت خصلات من شعرها الذي تربطه على شكل ذيل حصان على وجهها.

"لا"، فعليًّا، نورا هي من عبثت بأغراضها، "لم أكن أتطفّل، وجدت ذلك صدفة".

من خلال تقوّس حاجبيها أدركت أنّها غاضبة ولا تصدّقني، ولكنّ المشكلة ليست هنا، المشكلة هي...: "لقد كذبتِ عليّ، أخبرتني أنّكِ لا تعرفين اسمه، لقد أخبرتني أنّه لم يكن أحدًا، وأنّه شخص عابر"، لقد ظهر خداعها، ويبدو الأمر كما لو أنّ الأرض تهتزّ تحت قدميها، ينتشر التوتّر بيننا، وأقف، وأترك قطعتين من الفلفل غير مقطّعتين، اللعنة على الخضار والعشاء.

كشّرت أمّي، واستدارت، وكنت أراقب تعابير وجهها: "حسنًا، لقد كنت أعرف من هو"، قالت وهي تضغط على التوفو والبصل بملعقة خشبيّة: "لقد كان الوضع خياليًّا للغاية، فأنا فتاةٌ فقيرة تقع في حبّ أمير، وأشياء من هذا القبيل لا تحدث في الحياة الواقعيّة، وإذا حدث ذلك، فلن تنتهي بسعادة دائمة".

"أمّي؟"، كانت حركاتها كما لو أنّها آلة، تحرّك، تعصر، ترمي، "أمّي!"، لفت ذلك انتباهها، فاستدارت واكتفينا بالتحديق إلى بعضنا، والكثير من الأشياء التي لم نقلها تغلغلت في داخلنا: "لماذا كذبتِ عليّ؟".

هزّت كتفيها وغسلت البروكولي ووضعته تحت السكّين: "كانت حياته كلّها مخطّطة، وكانت حياتي بالكاد تبدأ، وعندما علمت أنّني حامل، أسرعت إلى صديقتي، وأنا على درايةٍ إلى حدٍّ ما بحياة البلاط الملكيّ، لكنّها أخبرتني المزيد، وكان من الممكن أن يكون الأمر أكثر تعقيدًا، فلو رأيته في هارفارد: كان هناك دائمًا شخصٌ ما برفقته: حاجب، خادم، حارس إمبراطوريّ، أو عنصر من الشرطة، لقد سرقنا القبلات في الممرّات، وتسلّلنا بعيدًا إلى الفنادق، لقد عاش مقيّدًا كما لو أنّه سمكة في حوض"، توقّفت، وجفّفت يديها بمنشفة، ثم عاودت التركيز عليّ: "تخضع النساء في العائلة المالكة للمراقبة بدقّة بشكلٍ خاصّ، ويحصل كلّ شيء تحت المجهر، يُنظر إليهنّ بالاستناد إلى القضايا اللواتي يدعمنها، والفساتين التي يرتدينها، وإذا كنتِ تحملين طفلًا ذكرًا أو أنثى، لقد شاهدت والدك وهو يُمنح العديد من الخيارات كما لو كان طفلًا صغيرًا، فقد قيل له: يمكنك الحصول على هذا أو ذاك، ولكن ليس على كل الأشياء، فقد تمّ تحديد مجرى حياته من قبل

العائلة التي وُلِد في كنفها، ولم أرد لك ذلك، كما لم أرده لنا".

"ووافق على كلّ ذلك؟".

لم تعد تنظر إليّ: "أنا لم أخبره".

شددت قبضتيّ، أنا في الثامنة عشرة من عمري ولا يعرف والدي أنّني موجودة: "كان يجب أن تخبريه... ربما كان سيبقى في الولايات المتّحدة".

حملت ابتسامتها كلّ حزن العالم: "قال أكثر من مرّة إنّه إذا بقي في أميركا سيكون مثل شجرةٍ محرومة من ضوء الشمس، فكيف لي أن أطلب ذلك منه؟".

"كان ينبغي أن تخبريني، كنت أستحقّ معرفة الحقيقة".

"أنتِ محقّة"، ضغطت على الموقد، ورفعت المقلاة عن النار، ومالت نحو المنضدة ووضعت يدها على خدي، فكانت أصابعها باردة: "لقد عشنا حياةً جيّدة معًا، أليس كذلك؟ أعتقد أنّ كلّ ما يمكنني قوله إنّني كنت أهتمّ بمصلحتك".

أفترض أنّها غريزة الأمّ التي تدفعها إلى أن تحمي أطفالها، لكنّ غضبي وخيانتها طغيا على نواياها الحسنة، إنّه مزيجٌ خطير، لذا صرخت: "ومصلحتك".

ابتعدت وقالت: "ماذا؟".

"كنتِ تهتمّين بمصلحتك أيضًا"، أشرتُ بذلك إلى أنانيّتها، ولم يكن لديّ أيّ عذرٍ لسلوكي الفظيع، لكن أحيانًا عندما تكون محبطًا، لا يمكنك إلّا محاولة جذب الآخرين معك إلى الهاوية.

وبما أنّني كنت الوحيدة في الهاوية، قلت: "أنتِ لم تريدي ربط حياتك بوالدي، لذا اخترتِ شيئًا آخر، لكنّني لم أختر أبدًا".

شهقت أمّي بحدّة، فقد ضربت على الوتر الأشدّ إيلامًا: "إيزومي...".

انزلقتُ عن المقعد، وأخذت وضعيّة دفاعيّة، إنّه خطأ فادح، لم أتخيّل يومًا أن تؤذيني، إنّ العالم مكانٌ قاسٍ وغير ودّي، والأمور على وشك أن تصبح قبيحة، وكان هناك انهيارٌ عاطفيّ هائل يلوح في الأفق.

مشيت ببطءٍ شديدٍ إلى غرفتي، وأنا أضمّد جراحي وحدي.

منحتني أمّي مساحةً للانفراد بنفسي، وبينما كنت أبكي، استلقى تماغوتشي في زاوية الغرفة، فهذا الحيوان لا يقدّم الكثير من الدعم العاطفيّ، ومن الواضح أنّ علاقتنا قائمة على اهتمام من جانبٍ واحد، فأنا أطعمه الحلويات وهو يتجشّأ في وجهي، هذه هي الحياة.

أرسلت نورا صورة متحرّكة لحيوان شيواوا يرقص على قدمين اثنتين.

نورا: أكاد أموت لأعرف ما قالته أمّك؟

قلبت الهاتف، فأنا لا أزال أحاول السيطرة على غضبي، والتخفيف من قلقي، وتضميد جروحي..

هناك طرقٌ على الباب: "زوم زوم؟"، دخلت أمّي حاملة وعاء أرزٍّ وبعض المقالي، ووضعت صينيّة العشاء على خزانة الملابس الخاصّة بي، وجلست على السرير بجواري، وبما أنّني كنت متضايقة، نظرت من النافذة، وأمسكت يدها بيدي، فكانت دافئة وجافّة، وجلبت لي الراحة والسكينة، بالرغم من كلّ شيء.

قالت بصوت هادئ، رصين: "هذا ما كان عليّ القيام به منذ سنوات"، فالكذبة لم تعد تثقلها، وتابعت: "اسم والدك هو هيرونوميا تاكاهيتو، إنّه وليّ عهد اليابان، يومًا ما سيكون إمبراطورًا، انحنى الناس له، لكنّه لم يطلب منّي ذلك مطلقًا، ناديته هيرو، ولموسمٍ واحد كان ملكي".

تتحرّك الشمس وتبدأ بالمغيب، ويتأرجح العشب الطويل في الفناء الخلفيّ.

سرعان ما عرفت كلّ شيء، التقى والداي في حفلة، ولم يكن حبًّا من النظرة الأولى، ولكن كان هناك رابط قويّ يجمعهما، أدّى الرابط إلى مكالمات هاتفيّة، ثمّ إلى لقاءات نهاريّة، فلقاءاتٍ ليليّة، وقد اتّفقا على إبقاء علاقتهما سرّيّة، فلم ترغب أمي في جذب الانتباه، وشرحت قائلةً: "لقد عملت بجدّ للوصول إلى ما كنت عليه، ولم أستطع المخاطرة من أجل رجل، لقد احترم رغباتي، واستمتعنا، لكن كلًّا منا عرف أنّه لم يكن لعلاقتنا أن تدوم، إذ كان عالمانا مختلفين للغاية"، ضحكت: "هو لم يكن يعرف كيف يكوي قميصًا أو يغسل الملابس أو يصنع الحساء، كان يشرب

مثل السمكة، وأحبّ الجعة الصغيرة، وكان مضحكًا، ويتمتّع بروح الدعابة الجافّة، ولديه ذكاء شرير، فلن تعرفي أنكِ تلقّيت سهامه حتّى تنزفي، ويكون قد فات الأوان وغادر".

زممت عيني قبل أن أسألها: "ماذا عن احتفاظكِ بالكتاب الذي أعطاك إيّاه كلّ هذه السنوات؟".

نظرت إلى الأسفل وقالت: "إنّها نسخة نادرة، وقد نسيت أنّ القصيدة هناك"، كلانا تعرفان أنّها تكذب، لا تزال أمّي تحمل شمعة لوالدي، ولكن هذا السرّ خاصٌّ بها ويمكنها أن تحتفظ به.

وقفت أمّي وسحبت قصاصة من جيبها: "ليس لديّ أدنى فكرة عن كيفيّة الوصول إليه الآن، لكن لدينا أصدقاء مشتركون، ديفيد ماير أستاذ كيمياء في جامعة ستوكهولم، كان هو ووالدك مقرّبين، وربما لا يزالان على تواصل"، وضعت القصاصة بجانبي، ولمست كتفي ثم خدّي: "حاولي أن تأكلي شيئًا".

وفي أثناء توجّهها إلى إغلاق الباب قلت لها: "أنا آسفة... عمّا قلته من قبل".

فقالت بدورها: "وأنا أيضًا آسفة، على ما لم أقله أبدًا"، بدأت الفجوة بيننا تُجسّر، وإن كان الجسر متهالكًا، لكن يمكن اجتيازه، وأظنّ أن كلّ شيء سيكون على ما يرام.

أخذت الورقة بلهفة وقلت: "شيءٌ آخر، ألا تمانعين حقًّا إذا حاولت الاتّصال به؟"، إذا تواصلنا، فستنقلب حياتنا رأسًا على عقب، ولن تعود كما كانت.

تردّدت، وبدا التوتّر واضحًا على ملامح وجهها وحركة كتفيها، فهزّت برأسها هزّةً خفيفة واستقامت في وقفتها، إنّها حركة أمّي المميّزة، عندما تستعدّ لمواجهة المواقف الصعبة، لقد سبق لي أن رأيتها، في يومي الأول في روضة الأطفال عندما تشبّثت بكاحليها وبكيت وهي تبتعد عني، أو عندما جرحت يدها جرحًا بالغًا وهي تحضّر لي شطيرة، وكان الدم ينتشر في كلّ مكان، فلفّت الجرح بمنشفة، وذهبنا إلى قسم الطوارئ، لكن ليس قبل أن تضع غدائي في حقيبتي، وبعض الكتب، فهي دائمًا كانت تعطيني الأولويّة في حياتها.

"لا، لا أمانع"، كان صوتها رقيقًا جدًّا، لذا تفهم أنّني أريد أن أنفجر تلقائيًّا من البكاء مرّةً أخرى: "لقد أنجزت ما أردت وأكثر، حياتنا بسيطة مقارنةً به، لكنّني سعيدة".

عندما غادرت التقطت الورقة، إنّه عنوان بريدٍ إلكتروني، davidmeier@stockholm.uni أضغط على أيقونة الظرف على هاتفيّ.

عزيزي السيد ماير،

اسمي إيزومي تاناكا، والدتي هانكو، تخرّجت من جامعة هارفارد في العام 2003 وهي تعتقد أنّك لا تزال على اتّصالٍ بوالدي، هيرونوميا تاكاهيتو، آمل أن تتمكّن من أن تصلني به. أدناه، قمت بإدراج ملاحظة يمكنك إرسالها إليه.

شكرًا. إيزومي

تنفّست بعمق وبدأت بكتابة رسالة إلى والدي.

عزيزي وليّ العهد الأمير تاكاهيتو،

أنت لا تعرفني، ولكنّني أعرفك.

آه، هذا مريع للغاية.

عزيزي وليّ العهد الأمير تاكاهيتو،

أعتقد أنّني ابنتك..

الفصل الرابع

سألتني غلوري وهي تكوّر منديلًا: "لا شيء؟".

أسند ظهري إلى طاولة الفينيل الأحمر، وأفرك معدتي الممتلئة، وأنا جالسة في بلاك بير دينر، وهي مؤسّسة تابعة لجبل شاستا، تشتهر بقوائم الصحف، وبديكور الحطّاب والدبّ الأسود، والبسكويت ذي حجم صحن العشاء، ونحن نتردّد إليها بشكلٍ منتظم، لنأكل، ونمضي بعض الوقت، فهذا هو المكان الذي نعيش فيه أفضل أيّام حياتنا: "لا".

ربتت هانساني على يدي، وهي تبتسم ابتسامة لطيفة، وتقول: "امنحي الأمر بعض الوقت، فلم يمضِ أكثر من أسبوع".

في الواقع، لقد مرّ ثلاثة عشر يومًا وساعتان وخمس دقائق منذ أن أرسلت البريد الإلكترونيّ إلى ديفيدماير، ولا يعني ذلك أنّني أقوم بالعدّ أو بأيّ شيء آخر، فقد توقّفت عن التحقّق من بريدي الإلكترونيّ بشكل متواصل كلّ خمس دقائق أمس، والآن أتحقّق منه كلّ ساعة فقط، وهذا يُعدّ تقدّمًا.

أسحب يدي إلى الخلف وألقي على هانساني صاحبة الوجه السعيد والمريح والحيويّ نظرة تقدير، فهي تخلّف انطباعًا لدى الجميع بأنّها محبوبة أمريكا، وهي تحتلّ مكانة خاصّة في قلبي، وإن اختلفت أحيانًا آراؤنا. واللافت للنظر أنّها بحجم السنجاب، وإذا سمحت لي، فسأحملها في جيبي.

تقول نورا: "ربما ذهب بريده الإلكترونيّ إلى البريد غير المرغوب فيه؟".

همست هانساني بصوتٍ منخفض مشيرة إلى موافقتها على رأي نورا.

"لقد تفحّصته بالفعل، ولا يوجد أيّ شيء".

حتّى الآن، لم أفكّر في احتمال أنّ أبي لا يريد معرفتي، أوه، التفكير في الأمر مؤلم، وأنا أهتمّ أكثر ممّا ينبغي بذلك، فبعد كلّ شيء هو ليس سوى شخص غريب بيولوجيًّا.

ربما إذا قلت ذلك لعدّة مرّات، قد أصدّقه.

وصلت فاتورتنا فنقبّنا في جيوبنا وحقائبنا عن النقود، ودفعنا أخيرًا باستخدام أوراقٍ نقديّة مجعّدة، أمّا البقشيش فكان عبارة عن قطعٍ نقديّة معدنيّة، فابتسمت للنادلة في أثناء مغادرتنا تعبيرًا عن الأسف، وقلت لها: "آسفة على تسديد العشرين بالمئة بنسات.

ركبنا سيّارة نورا ذات الأبواب الخلفيّة التي تقشّر معظم طلائها، وانكسر زجاج إحدى نوافذها بعد أن ألقى أحدهم حجرًا عليها، واتّجهنا إلى شارع ليك حيث منزل غلوري، فلاح في الأفق جبل شاستا، الهرميّ الأبيض وحيدًا، وخلفنا كان الشارع الرئيسيّ حيث توجد إشارة توقّف واحدة، ونصف دزينة من السفن الكريستاليّة، ومكتبة هنديّة ومتجر كولي. نظرت نورا عبر مرآة الرؤية الخلفيّة إلى غلوري، وقالت: "سنوصلك أوّلًا"، وحين مررنا بأسرة تمتطي الخيل، وجّهت نورًا إلى غلوري انتقادًا قائلة: "وأريد منكِ ألّا ترتدي هذه السراويل مرّةً أخرى".

كانت سراويل غلوري أرجوانيّة زاهية مغطّاة بعيونٍ في كلّ مكان، فأجابت: "لا أمانع، ولكن شرط أن تتوقّفي عن وضع خصيتين فوق رأسك"، حيث كان شعر نورا على شكل كعكتين متماثلتين.

كنتُ أجلس في المقعد الأماميّ إلى جانب نورا، فنظرت إلى الخلف وتشاركت ابتسامة مع هانساني، وطوال الطريق ظلّتا تتجادلان.

بعد خمس عشرة دقيقة، وصلنا إلى منزل غلوري ذي السقف المصنوع من خشب الأرز.

"آه"، تراجعت غلوري في مقعدها، وعانقت حقيبتها، نعلم جميعًا ما الأمر، مازدا مياتا متوقّفة أمام المنزل، إنّه صديق والدة غلوري الجديد، طبيب الأسنان.

إنّه يضع سلسلة ذهبية سميكة حول رقبته ويستخدم مصطلح "كول بينز" كثيرًا، تحتقره غلوري كثيرًا وتفضّل أن تتقيّأ بيديها العاريتين على التحدّث إليه، لا عجب حقًّا، فهو مخرّب بيوت ولديه حمّى صفراء، بالإضافة إلى أنّهما تعرّفا إلى بعضهما عبر الفيسبوك في صفحة ماركتبليس، وهي محقّة في حكمها عليه، فقالت: "سأضطرّ إلى التحدّث إليه"، إنّه يلوّح إليها بالفعل.

"فهمتُ ما تريدينه"، وأخرجت نورا هاتفها واتّصلت بغلوري، وشغّلت مكبّر الصوت.

أجابت وهي تخرج من السيّارة: "مرحبًا، هل لديكِ شيءٌ مهمٌّ لتخبريني به؟"، إنّها تتخطّى طبيب الأسنان من دون أن تضطرّ إلى أن تكلّمه كلمة واحدة، أو حتّى تتواصل معه بعينيها، ونورا تجيبها بهدوءٍ شديد.

قالت نورا: "نعم لديّ، إنّه أمرٌ مهمٌّ جدًّا"، كانت غلوري في منتصف الطريق، وكان طبيب الأسنان في سيّارته: "إنّ هذا البنطال يبدو أسوأ من الخلف".

فتحت غلوري باب المنزل، وقالت: "تبًّا"، لكن من دون انفعال.

عندما أغلقت غلوري الباب سألتها نورا: "بخير وسلام؟".

"بخير وسلام، أحبّكِ".

"وأنا أيضًا أحبّك"، وأنهتا المكالمة.

منزل هانساني هو التالي، وهو جميل وتحيط به شرفة، قالت هانساني وهي تفتح باب السيّارة: "لديكِ روح طيّبة ورائعة، يا نورا".

تستعرض نورا وهي تفحص أظافرها: "لن أحاول أن أخبر أحدًا، سأنكر ذلك، والجميع سيصفكِ بالكاذبة، وسأكون متأسّفة للغاية لأجلك".

ضحكت هانساني وتخطّت الممرّ أمام منزلها.

انطلقت نورا في طريقها عبر شوارع جبل شاستا، إنّ قيادتها مزيجٍ بين ماريو كارت وغراند ثفت أوتو، ففي يوم الأحد هذا حيث لا ازدحام سير، استخدمت عبارة (يا للقرف) ثلاث مرّات بالفعل، وهي تربّت على ركبتي: "لم أركِ بهذا الهدوء

منذ أن انفصلتما أنتِ والشخص الذي لا يُذكر اسمه".

إنّها تتحدّث عن فوريست، فبعد أن اكتشفتُ أنّه خائن، وصفني بغير المتوفّرة عاطفيًّا، وأنا بدوري وصفته بأنّه مجموعة من الفئران المتنكّرة في زيّ إنسان، وعلى أيّ حال لا أشعر بالمرارة، لأنّ علاقتنا ما كانت ستنجح على المدى الطويل، فهو يحبّ اللواتي لا يضعن المكياج، وأنا أحبّ الرجال الذين لا يخبرون الفتيات بما يجب أن يفعلنه بأجسادهنّ.

بالطبع فوريست ليس سبب كآبتي، فأنا أحاول إقناع نفسي بأنّ الرسالة لم تصل إلى والدي، إنّها ليست المرّة الأولى التي أختلق فيها الأعذار له، فترنيمتي على مدى ثمانية عشر عامًا الماضية كانت: إذا عرف بوجودكِ، فسيحبّك، ويمكنني إخبار نورا بكلّ هذا، لكن بدلًا من ذلك قلت: "أنا فقط مهتمّة بالنجاة من قيادتك"، وابتسمت لها ابتسامة مخادعة: "بلا إهانة".

أشرق وجهها، ومدّت إصبعها الوسطى بشكلٍ عرضيّ نحوي: "بعض الإهانة، لكن سأكون غاضبة أكثر إذا عرفت أنكِ تتهرّبين".

وبما أن البؤس يحبّ الرفقة، تركت الحقيقة تنكشف: "لم يردّ على رسالتي يا نورا"، وصرخت مرتبكة: "لقد ارتكبت خطأً فادحًا، هذا شعورٌ أسوأ من عدم معرفة والدي على الإطلاق، كان ينبغي لي أن أترك الأمور وشأنها"، قاعدة جديدة: لا تجازفي أبدًا، فالمجازفة للشجعان، قساة القلب، وأنا أقصد، ما الذي كنت أفكّر فيه؟ فأنا حرفيًّا أتناول الطبق نفسه على الغداء كلّ يوم، يا إلهي، أنا أموت، أموت.

غيّرت نورا اتّجاهها فجأة ومالت إلى جانبي، وعلى الرغم من تفوّقها في المدرسة، فأنا أعرف حقيقة أنّها بالكاد اجتازت اختبار القيادة.

رنّ هاتفي رنّة الرسائل النصّية.

أمّي: أين أنتِ؟

أنا: برفقة نورا، وأكاد أصل إلى المنزل.

هناكَ عددٌ قليل من المكالمات الفائتة من أمّي أيضًا، نحن نتوجّه إلى شارعي، ونورا تبطئ السيّارة، الحمد لله، كانت السيّارات متوقّفة على العشب، همم.

أقول على نحوٍ غير مألوف: "لا بدّ أنّ جونز يستقبل الناس مرّة أخرى"، يستضيف جونز مجموعة من الأحداث، من عشاء المزرعة إلى عشاء المائدة إلى حفلة باكستانيّة سنويّة مع جامعيّ قوس قزح، وهي مجموعة موسميّة تتجمّع في جبل شاستا وتروّج للسلام والحرّيّة والاحترام وما إلى ذلك، إنّهم يستمتعون بالرقص، والبونغو موسلي، والعُري، ولقد رأيت ما يكفي من الكعك المترهّل لجعلِ عينيّ تُذهلان.

أوقفت نورا السيّارة على الحصى خلف سيّارة أمّي البريوس الحمراء، ووصلت رسالة نصّيّة أخرى.

الأم: لا تخرجي من السيّارة.

وبعد فوات الأوان، طقطقت الحصوات تحت قدميّ، وما إن أغلقت باب السيّارة حتّى ظهر وميض، وسمعت اسمي.

"الأميرة إيزومي، هنا".

ومثل البلهاء، استدرت، وإذ بوميض التصوير الساطع يصيبني بالعمى المؤقّت، فرمِشتْ عيناي، وبدأت الرؤية تتّضح، فقد ظهر أمامي عدد من المراسلين، ومعظمهم من الآسيويّين، والقليل منهم من البيض، فلفتت نظري إحدى شارات الصحفيّين التي كتب عليها: ثرثرة طوكيو.

"يا إلهي"، صرخت نورا، وبدت مثلي مذهولة، وقد تدلّت المفاتيح من يديها، وفغرت فاها، ولم يسبق لي أن رأيتها على هذه الحال، إنّه مشهد رائع، لكن ليس هناك وقت لأقدّر هذا الحدث، وأنا محاصرة.

"هل ستسافرين إلى اليابان؟".

"كيف كان الأمر وأنتِ تكبرين من دون والدك؟".

"هل كنت طيلة حياتك تعرفين من هو والدك؟".

التفّت ذراع أمّي حولي وهي تقول: "إيزومي"، فخرجت نورا من السيّارة لتساند أمّي، ومعًا دفعتا جسدي المتصلّب إلى الاستدارة، وقادتاني إلى الشرفة، وكان هناك مزيدٌ من الومضات، ووابلٌ من الأسئلة التي لا تنتهي، مصحوبة بذكر اسمي مرارًا وتكرارًا، باستثناء أنّهم دعوني "أميرة"، الأميرة إيزومي، الأميرة إيزومي، الأميرة إيزومي.

نحن في الداخل الآن، وبعد أن أغلقت أمّي الباب خفّت الضوضاء في الخارج، ولكنّني ما زلت أسمع الصدى، فأنا أصبحت صمّاء للحظات، كما يحدث بعد أن تذهب إلى حفلة موسيقيّة وتتخدّر طبلة الأذن، وتصبح جميع نقاط التشابك العصبيّ تطلق النيران في مختلف الاتجاهات، وبتُّ أجد صعوبة في تكوين الكلمات والأفكار، وما زاد الوضع سوءًا في تلك اللحظات الحرجة استمرار تماغوتشي بالنباح، فكان الوقتُ رائعًا ليدعمني كلبي المتعفّن المستلقي دائمًا، فرفعته عن الأرض وأسكتّه.

قالت أمي: "قلت لكِ ألّا تخرجي من السيّارة".

هل تعرفين ما لا يعجبني؟ هو عندما تخبرني أمّي: "لقد أخبرتك بذلك"، لقد وجّهت إليها أشدّ نظرة سخطٍ.

وقفت نورا على كرسيٍّ بالقرب من النافذة: "كان ذلك صعبًا"، إنّ الستائر مغلقة ولكنّي رأيت الظلال خلفها، إنّهم لا يزالون في الخارج.

أنا لا أشتمّ عادة في المواقف الصعبة، ولكن يبدو الآن أنّه الوقت المناسب لقول: "يا له من موقفٍ كريه!".

أتنحنح قليلًا لإزالة ما علق في حنجرتي.

أوه، لسنا وحدنا، وقفت أمّي جانبًا، وإذ بمجموعة من الرجال اليابانيّين يجلسون إلى طاولة مطبخنا، إنّهم ثلاثة رجال يرتدون بذلات البحريّة، وكما هو معلوم أنّه الزيّ القياسيّ لخمسين سياسيًّا أو أكثر، وقفوا وانحنوا، وكانت أحذيتهم الجلديّة تلمع جدًّا، أوه، لم ألاحظ حتّى الآن كيف تبدو أرضيّة المشمّع صفراء

والخزانات قديمة ومتآكلة، فتقدّم أحد الرجال إلى الأمام، وهو نحيفٌ ويضع نظّارة دائرية: "كونيتيوا، أوهيمي ساما"، وانحنى مرّةً أخرى.

كانت ابتسامة أمّي وهي تمدّ يدها لتعرّفني إليه تشبه ابتسامة من يسير على حبل مشدود: "إيزومي، إنّه سعادة السفير سايتو من سفارة اليابان، ولقد تكبّد عناء السفر من واشنطن إلى هنا".

لقد فات الأوان، لكنّني أتذكّر الآن رؤية سيّارةٍ سوداء في البلدة متوقّفة في الخارج وعليها أعلام صغيرة، ولم أعرها الاهتمام، بعد أن قلت لنفسي، توقّفي عن كونكِ مهووسةً.

قالت أمي: "حاولت الاتّصال بكِ".

"أنت تعرفين أنّ طريقة الاتّصال المفضّلة لديّ هي الرسائل النصّيّة"، أجبت وأنا مطبقة أسناني، إنّها الرسائل النصّية، الرسائل النصّية لا غير.

بدت أمي مرتبكة للغاية، ربما لأنّها جالست شخصيّة أجنبيّة بارزة وهي تنتعل خفّي المنزل وترتدي قميصًا كتب عليه عبارة: فلتحيا المرأة"، أمّا أنا فلم تكن ملابسي أفضل من ملابسها بكثير، فقد وضعت أحزمة الخصر المرنة من بلاك بير دينر، وارتديت قميصًا واسعًا، وبالكاد تمكّنت من تصفيف شعري هذا الصباح.

تصفّحت نورا هاتفها بسرعة، وقالت: "كلّ الصحافة الأجنبيّة تتحدّث عنك".

قال السفير سايتو: "نعتذر لما بدر من وسائل الإعلام، كنا نتمنّى الوصول إلى هنا أوّلًا، لكنّ رحلتنا تأخّرت".

"كيف علموا بالأمر؟ وكيف حصلوا على عنواننا؟".

تقدّم السفير سايتو: "تحوّلٌ مؤسف للأحداث، ولكنّه ليس غير متوقّع تمامًا، إنّ الصحافة في اليابان شبيهة بأميركا، ولديها طرق للحصول على المعلومات، ويأسف وليّ العهد أنّ هذا الوضع لا يمكن التعامل معه بحذر... لقد كلّفني أن أنقل لكما أسفه لأنّه لم يستطع أن يكون هنا بنفسه، بالإضافة إلى أنّه يعتذر عن أيّ ضغوط لم يكن من داعٍ لها تعرّضت لها أنت أو والدتك، وهو يتمنّى لو كانت

الظروف مختلفة"، حسنًا، إذن أنا سرٌّ صغير قذر، وتابع: "كما يتمنّى أن تنضمي إليه في اليابان".

أخرج أحد الرجال الجالسين إلى الطاولة مغلّفًا كبيرًا من داخل سترته ومرّره إلى السفير سايتو، فكانت حركته رائعة وسلسة جدًّا، وأنا متأكّدة من أنّني رأيت مشهدًا مشابهًا لذلك في أفلام التجسّس عندما يتبادل العملاء معلوماتٍ سرّيّةً.

قدّم لي السفير ساتو المغلّف وهو ينحني، فراقبتني أمّي ونورا وأنا آخذ المغلّف، إنّه ثقيل وأبيض اللون وناصع، وكان اسمي مكتوبًا على المغلّف بخطٍّ أنيق.

صاحبة السموّ الإمبراطوريّ الأميرة إيزومي

بدت هذه اللحظة كبيرة جدًّا بالنسبة إلى منزلنا المتواضع المكوّن من ثلاث غرف نوم، حيث تنظر نورا وأمّي من فوق كتفي، وأنفاسهما تلامس رقبتي، حيث إنّ المساحة الشخصيّة ليست أمرًا ممكنًا بين أفضل الأصدقاء والأمّهات، مررت بإصبعي تحت ختم الشمع، الذي على شكل أقحوانة ذهبيّة، فكان هناك بطاقةٌ واحدة داخل المغلّف، فكان الخطّ حلقيًّا أسود، ومحبّرًا يدويًّا بوضوح، وهناك ختم آخر على شكل أقحوانة ذهبيّة أعلى البطاقة.

بالنيابة عن إمبراطوريّة اليابان، يطلب صاحب السموّ الإمبراطوريّ وليّ العهد توكاهيتو شرف زيارة ابنته الأميرة إيزومي مكان إقامته الخاصّ، في قصر توغو.

قال السفير: "يودّ وليّ العهد أن يوضح أنّ هذه الدعوة مفتوحة، ويسعده أن يستقبلكِ في الوقت الذي يناسبك".

تبادلت وأمّي النظرات، فكانت عيناها مظلمتين، ويستحيل فكّ شيفرة ما تفكّر فيه، فهل تتذكّر ليالي هارفارد برفقة هذا الرجل الرزين، الذي يُدعى أبي؟ أم أنّها قلقة بشأن انتشار الصحافيّين في حديقتنا؟ لقد انتُزع حجاب الخصوصيّة عن حياتنا؟ ولا يمكن العودة إلى الوراء الآن، بل علينا المضي قُدمًا إلى الأمام، واكتفت بالقول: "ماذا عن المدرسة؟".

ازدردت لعابي.

ابتسمت نورا التي كانت أفكارها أكثر شفافية، وتقول بوضوح اذهبي، اذهبي، اذهبي: "إجازة الربيع قريبة، يمكن لزوم زوم أن تذهب بعد ذلك حتّى الأسبوع الذي يليه"، لقد تدخّلت بالحوار على نحوٍ مساعد، ثمّ أضافت: "إنّه الفصل الدراسيّ الأخير من السنة الأخيرة، وهو سهلٌ للغاية على أيّ حال"، فضربت نورا بكتفها كتف أمّي وقالت: "ألستُ على حق؟".

تنهّدت أمّي، وفركت جبينها: "لا أعتقد أنّ توازن العالم سيختلّ إن فاتكِ أسبوعٌ أو أسبوعان من المدرسة، إنّه خيارك، عزيزتي، فكّري في الأمر، وأنا متأكّدةٌ من أنّ السفير سايتو لا يحتاج إلى الحصول على الجواب في هذه اللحظة".

قال السفير سايتو بنبرة هادئة تمامًا: "بالطبع، خذي كلّ الوقت الذي تحتاجين إليه".

مجدّدًا الجميع ينظرون إليّ: "كلّ الوقت الذي أحتاجه"، أشعر فجأة وكأنّه في غضون الستّين ثانية القادمة سأقرّر، فأحدّق إلى الدعوة، وأعضّ على شفتي السفلى وأتأمّل، فاسمح لنفسي بالاستمتاع بفكرة اليابان، بفكرة وجود أب، إنّه بالتأكيد قرار محفوف بالمخاطر.

الجانب الإيجابيّ: الحصول على أبٍ، وبلدٍ ما قد أنتمي إليه، وأندمج فيه، حيث أكون قادرةً على تشغيل التلفاز ورؤية شخص يشبهني، كما سيكون من اللطيف الدخول إلى مطعمٍ من دون أن أكون من ضمن أقلّيّة.

الجانب السلبيّ: الفشل في تلبية التوقّعات من كلا الطرفين (والدي وأنا)، لذلك سأذبل وانهار أمام نفسي مثل نجمٍ يحتضر، ولكن هذا ليس بمشكلة كبيرة.

ألقيت نظرة سريعة على التعابير المختلفة على وجه كلّ شخص، فكانت والدتي حذرة، والسفير سايتو ينتظر الجواب بأمل، ونورا تتجهّم وتهمس: "إذا لم تذهبي، فانسي أنّك عرفتني يومًا".

وأنضمّ أنا إلى النادي، فلم أشعر أبدًا أنّني أعرف نفسي.

سألت أمّي: "هل تريدين بعض الوقت بمفردكِ؟"، وكانت تتّجه بالفعل نحو السفير سايتو وفريقه، وعلى استعداد لوداعهم أمام الباب.

قلت: "لا"، فتوقّفت أمّي، ونظرت إلى السفير سايتو: "أودّ قبول عرض والدي"، القدر يبتسم للشجعان، هذا مثل شائع، أليس كذلك؟

فقال بصوتٍ هادئ: "ممتاز"، ثمّ صرخ صوت في داخلي، هل سيكون وليّ العهد متحمّسًا لسماع ردّ دعوتي.

وبينما كنت أنقر بأصابعي على فخذي وفق إيقاع معيّن، تنفّست نورا الصعداء وقالت: "لن تندمي على هذا القرار".

آمل ألّا يكون هذا يشبه الوقوف على حافّة منحدر وأوشك على الانهيار، فأنا غير متأكّدة من أنّ المياه في الأسفل ثائرة، كما أنّني غير مستقرّة وخائفة ومتحمّسة، ولكنّني على قيد الحياة، وقد أُولد من جديد.

اللعنة، أنا ذاهبةٌ إلى اليابان.

ثرثرة طوكيو

فضيحة القرن الإمبراطوريّة

---

21 آذار 2021

يجب أن يكون كلّ الاهتمام منصبًّا على حفل زفاف رئيس الوزراء أداتشي من الوريثة هيا تاجيما الذي سيقام الأسبوع القادم، لكنّ بريق العروس سلبته رسميًّا الأخبار الشائعة، فمنذ أسابيع، اهتزّت أقدم امبراطوريّة في العالم وأكثرها خصوصيّة لدى انتشار أخبارٍ مروّعة: وهي ظهور ابنة غير شرعيّة لوليّ العهد الأمير تاكاهيتو، فهل يوجد المزيد؟ لقد ترعرعت في أميركا من دون أن تعرف بجذورها الملكيّة.

ظلّ البلاط الإمبراطوريّ صامتًا بشأن هذا الأمر، حتّى أصدر بيانًا صحفيًّا مقتضبًا بعد انتشار الخبر، وعندما سُئل عن آخر المستجدّات، رفضت الأميرتان التوأم أكيكو ونوريكو (الموجودتان في الصورة في رحلة سفير النوايا الحسنة إلى بيرو) التعليق، فقد كانتا خجولتين من الظهور في الإعلام مؤخّرًا، بعد المقال الذي نُشر في الأوّل من آذار عن أمّهما، صاحبة السمو الإمبراطوريّ الأميرة أكاسوكي التي تعاني من اضطراب التكيّف، لكنّ الجميع يتساءلون كيف سيتعامل التوأم مع هذه المتطفّلة الجديدة، حيث أنّ الاثنتين غير معتادتين على مشاركة الأضواء.

من ناحية أخرى، شوهد صاحب السموّ الإمبراطوريّ الأمير كيتاي في افتتاح أحدث معرض لمتحف موري للفنون، حيث أهدى نخبًا للأميرة الجديدة، وقال إنّه يتطلّع إلى مقابلتها.

قبل ثلاثة أشهر، قطع الأمير العلاقات علنًا مع العائلة الإمبراطوريّة وانتقل خارج ممتلكاتهم، ولكنّه مؤخّرًا، عاد إلى العشّ بعد أن قطع البلاط المال عنه، وكان حدث الموري أوّل ظهور رسميّ له بعد عزلته.

والآن، إنّ صاحبة السمو الإمبراطوريّ الأميرة إيزومي في طريقها إلى اليابان (تظهر في الصورة مع والدتها في مطار سان فرانسيسكو)، أخيرًا، ستعود الفراشة

المفقودة إلى المنزل، وهذا ما جعل الجميع يتساءلون... من هي هذه الأميركيّة حديثة النعمة؟ كيف ستتكيّف هذه الفتاة القادمة من بلدة صغيرة في أميركا مع بريق العائلة الإمبراطوريّة؟ هل هي مستعدّة للرعاية الملكيّة؟ فقط الوقت كفيلٌ بإخبارنا...

الفصل الخامس

"هل قمتِ بحزم ملابس داخليّة كافية؟".

"أمّي".

ابتسم الحاجب اللطيف الذي يحمل أمتعتي على عربة، ونحن خارج مطار سان فرانسيسكو.

بالأمس قبّلتُ وجه تماغوتشي النتن الرائحة للمرّة الأخيرة، وودّعت نورا والفتيات، ثم توجّهت وأمّي إلى باي أركا لقضاء الليلة، إنّها الرابعة بعد منتصف الليل، وكان الأفق ورديًّا وضبابيًّا، وموعد رحلتي بعد مئة وعشرين دقيقة، ففي أقلّ من أربع عشرة ساعة سأكون في اليابان، لأقابل والدي، كنت أظنّ أنّني سأكون مبتهجة، ولكنّني أشعر بشيء من الرعب، وبسبب تحديق أمي المستمرّ إليّ، همست بفضول: "نعم".

"ماذا عن واقي الفم؟".

مكتبة
t.me/t_pdf

حملت حقيبتي: "في حقيبتي".

"وماذا عن الملفّ الذي أرسله السفير سايتو؟".

آه، الملفّ، قبل أن يعود إلى واشنطن، سلّمني السفير سايتو كدسة من الأوراق، وتضمّنت التالي:

1. استبيان شخصيّ ومعمّق للغاية، ربما أكون قد زوّرت بعض الأرقام في قسم الطول والوزن، وأسقطت بضعة أرطال هنا، وأضفت بوصة أو اثنتين هناك، وما آلمني قليلًا هو تجاوز المربّع الياباني وتحديد المربّع الإنكليزيّ للغة المنطوقة فقط، "لا تقلقي"، قال السفير سويتو بهدوء عندما عبّرت عن مخاوفي بشأن حاجز

اللغة، وتابع: "العائلة الإمبراطوريّة وموظّفوها يتحدّثون عدّة لغات، ومن بينها الإنكليزيّة، كما سيُعيّنُ معلّمٌ لمساعدتك على استيعاب كلّ ما يتعلّق باليابان، بما في ذلك اللغة".

2. اتفاقيّة عدم الإفشاء، وهي مؤلّفة من عشرين صفحة تمنعني من الإفصاح عن أيّ معلومات ماليّة وشخصيّة وخاصّة أو أيّة معلومات معماريّة تتعلّق بالعائلة المالكة ومساكنها، فكان الأمر مشابهًا لما في فيلم فايت كلوب.

3. ملفّ يحوي وثيقة التزام، مع مسار رحلة بسيط، وتاريخ العائلة ومن ضمنه معلومات حول أفراد العائلة المالكة الحاليّين، والأنساب المتنوّعة لهم، وملفّات شخصيّة، وواجبات رسميّة، وأنشطة عامّة، وعقارات، وعلاقات خارجيّة، ودور وكالة القصر الإمبراطوريّ، بالإضافة إلى أعضاء مهمّين مختلفين. لقد أصبح لديّ خطط كبيرة لمراجعتها وأنا في الطائرة، وبالطبع، أجّلت قراءة هذا الملفّ، فبعض الأشياء لا تتغيّر أبدًا، ولم أكن أتجنّب ذلك لأنّني أخاف حقيقة أنّني على وشك الانضمام إلى أقدم إمبراطوريّة في العالم. لا، على الإطلاق.

ضغطت على حقيبتي: "هنا، أيضًا"، كانت هناك سيّارة شرطة قريبة، فمنذ ظهوري في نشرات الأخبار، وكان لديّ مرافقة على مدار الساعة وطوال أيّام الأسبوع، وقد تمّ توفيرها كلّها من قبل حكومة الولايات المتّحدة لصالح حكومة اليابان الصديقة، وأحاول جاهدةً ألّا أفكّر في النفقات، إذ كيف يمكن أن يتقاضى شخصٌ ما أجرًا لمجرّد مراقبتنا أنا وأمّي ومشاهدتنا نتناول المعجّنات في ليتل إيتالي، وبالطبع، اشتريت لكلّ شرطي قطعة كانولي، واعتقدت أنّ ذلك أقلّ ما يمكنني فعله.

لاحظت أنّ الحاجب يقف ويراقبنا الآن، وأنا سعيدة لأنّه يستمتع بالعرض، ولكن في الحقيقة لا أزال خائفة.

أمي تعضّ على شفتها وتقول: "ألم يقل السفير سايتو إنّه يفترض بنا أن نقابل شخصًا ما هنا؟"، لقد تفحّصت المنطقة، كان هناك مصوّران على بعد حوالي مئة

قدم، من الصحافة الأجنبيّة اليابانيّة، لقد استوى غضبي بسبب كوني ملاحقة على نارٍ هادئة ولا أزال غير متأكّدة من رأيي في الأشخاص الذين يعتقدون أنّهم يستحقّون أن أهبهم حياتي، إنّه أمرٌ مقلقٌ بعض الشيء، كما حصل عندما اشتريت صَدريّتين عبر الإنترنت، فطيلة الأسبوعين التاليين كانت كلّ الإعلانات التي تصلني لها علاقة بالأثداء، وأصبحت بطريقة ما ملكيّة عامّة للجميع.

"زوم زوم".

نظرت إلى والدتي: "ما الأمر؟".

"كان يفترض بناء أن نقابل شخصًا ما هنا".

هذا صحيح، لقد ذكر السفير سايتو أن عنصر من الحرس الإمبراطوريّ سيقابلني في المطار، لكن هل كان يقصد مطار سان فرانسيسكو، أم مطار طوكيو؟ لست متأكّدةً، ولم أطلب توضيحًا، فلن تُعجبَ أمّي بإهمالي الاهتمام بالتفاصيل، لذلك ما قلته هو: "أمّي، سيكون الأمر على ما يرام، سأكون بخير".

أمسكت بذراعي وقالت: "أتمنّى لو أنّكِ لم تضطرّي إلى المغادرة"، وتتعثر في الكلمة الأخيرة.

شعرت بغمغمة وقلت: "لن أذهب"، ثم دفعتني أمّي وقالت: "آه، لا تبالي، هذا فقط يعني أنّني أطردك من العشّ"، ثمّ عانقتني.

لقد انهرت، كنت أعلم أنّ الأمور ستتغيّر بدءًا من السنة الدراسيّة الأخيرة، لكنّني اعتقدت أنّها ستكون أكثر بالمعنى التقليديّ، أي حفلة موسيقية، والتخرّج، والذهاب إلى الكلّية.

ابتعدت ومسحت عينيّ، هناك بالتأكيد بعض المُخاط في أنفي أيضًا، فاستخدمت الجزء الخلفيّ من كمّي لتدبّر أمره، ولم أهتمّ لأمر الحاجب الذي يقف في الجوار، فأمسكت أمي بذراعي بشدّة وقالت لي: "حاولي الابتعاد عن المشاكل".

أوففف... إنّها تقول ذلك كما لو كنت من النوع المثير للمشاكل، فأكّدت لها: "سأعود قريبًا، إنّهما أسبوعان فقط".

كرّرت قائلةً: "أسبوعان"، غطّى القلق ملامح وجهي، لذا أظهرت ابتسامة عريضة إلى أقصى درجة.

يجب على شخص ما أن يرتدي قناع الشجاعة: "سيكون هذا مفيدًا لكِ، على ما أعتقد"، وأخيرًا قالت، مجبرةً نفسها على الابتسام: "ستُثبتين نفسك هناك، وأنا فخورةٌ بك".

لماذا في استطاعة الامّهات دائمًا رؤية الخبايا المظلمة في روحك؟ سأعترف بذلك، في حياتي الخاصّة، لم ألعب أبدًا الدور الرئيسيّ، وكلّ ما في الأمر أنّني لا أمتلك هذا النوع من القوّة، ولم أولد معها، لقد كنت دائمًا ألعب دور الصديقة المساعدة، فلم يكن لديّ هدف سوى دعم الأبطال على الشاشة خلال لحظاتهم القاسية، والبقاء في الخلفيّة، وربّما التضحية بحياتي من أجل الصالح العام، وحتّى الآن أفادني هذا النهج جيّدًا، فمن لا يحلّق عاليًا لا يسقط سقوطًا مدوّيًا، ولكن الآن، بطريقة ما، دُفعت إلى دائرة الضوء، وهذا ما يجعلني متوتّرة، وغير متوازنة بعض الشيء.

معانقةٌ طويلة أخرى، ثمّ ودّعنا بعضنا، وفُتح بابان مزدوجان فعبرتهما باتّجاه مكتب تذاكر الخطوط الجويّة اليابانيّة، ولم أستدر، لكنّني أعلم أنّها ستراقبني حتى أختفي.

دينغ.

أومضت الأضواء العلويّة في جميع أنحاء المقصورة، ولكن هل يشعر المرء يومًا بأنّ الوقت يمرّ ببطءٍ شديد حيث لا يمكنه تصديق أنّ الحدث يحصل بالفعل؟ هذه هي الحالة التي أنا فيها الآن، على طول الطريق المعبّدة في طوكيو، والتي تشبه الحلم.

نظرت من النافذة، فكانت أوّل لمحة عن اليابان رماديّة وباردة، حيث كان الواقع صادمًا وكانت العصافير تزقزق في معدتي، وأنا وحدي وفي الجانب الآخر من العالم، فشهقت ثمّ زفرت، يمكنني القيام بذلك، التنقّل في بلدٍ أجنبيّ، والعيش في

قصر، ومقابلة والدي للمرّة الأولى، فلا مشكلة في الحصول على قطعة من الكعكة، كعكة موتشي.

إنّ الجزء الأماميّ من طائرة بوينغ 777 يشبه اليخت الفاخر، وهناك ثمانية مقاعد وكلّ واحد منها عبارة عن جناح خاصّ، وهي كراسٍ بذراعين من الجلد البنّي التي تتحوّل إلى أسرّة، وتوجد وحدة تحكّم خشبيّة من خشب الماهوجني المرصّعة بالذهب تخفي جميع الوسائل التقنيّة، مثل أدوات التحكّم الخاصّة بأدوات التدليك، ومقابس طاقة، ونظام ألعاب، وحتّى سمّاعات بوس الإضافيّة لحجب الضجيج، كما أنّ مياه المراحيض في الحمامين الخاصّين تتدفّق تلقائيًّا وهي مجهّزة بمراحيض شطف، وهو أمر صعب، لكنني أقدّر هذه اللمسة، وكذلك تفوح منها رائحة عطرة ربما هي رائحة الخزامى.

تفصل حواجز بين المقاعد، ولكنّها غير ضروريّة، لأنّني وحدي فقط من بين الراكبين أُشغل المقعد، وخلال العشر ساعات الماضية كنتُ أنا ورجلٌ يابانيّ يرتدي بذلة رسميّة وحدنا، وكان متغطرسًا، رغم أنّه مثير، فبين تناول الوجبات (وجبة غداء مكوّنة من ثلاثة أطباق تبدأ بحساء اليوبا الساخن والأرز وقنفذ البحر الطازج)، والقيلولة، ومشاهدة التلفاز، كنت أراقبه وهو بالكاد يتحرّك، ولم يفكّ ربطة عنقه، أو حتّى يرفع قدميه، ولكنّه أكل بالفعل، حيث تمّ وضع صينيّة عند مقعده وتمّ حملها بعيدًا بعد لحظات وهي فارغة تمامًا، وهذا شبيه بالسحر.

أصدرت مضيفة الطيران إعلانًا باللغة اليابانيّة، كرّرته بالإنكليزيّة: "سيّداتي سادتي، يرحّب بكم في مطار ناريتا الدوليّ، إنّ درجة الحرارة الحاليّة أربع عشرة درجة مئويّة، والساعة 3:32 من بعد الظهر، ويَطلب منكم ربّان الطائرة البقاء في المقاعد، والسماح لركاب مقصورة الدرجة الأولى بالنزول من الطائرة أوّلًا، وهذا لأسباب أمنيّة، وشكرًا لكم ومرحبًا بكم مرّة أخرى في طوكيو، نتمنّى لكم طيب الإقامة".

كان خداي يحترقان، شيء جيّد أنّه توجد ستارة ثقيلة تفصل مقصورة الدرجة الأولى عن بقيّة أقسام الطائرة، فلا أحد يستطيع أن يراني، وقف الرجل المثير، وزرّر

سترته، وألقى نظرة سريعة في الأرجاء، وتحدّث إلى مضيفي الطيران وهو يضع سمّاعة أذنٍ صغيرة في أذنه، فانحنيا ووقفا أمام الستائر الزرقاء المخمليّة، فانبعث صوت إزاحة باب آليّ، وهو صوت انفتاح باب الطائرة، ثم ظهر رجلان يرتديان بذلتين سوداوين تشبهان بذلة الرجل المثير الصغير الأكثر رصانة، ووقف الرجل المثير إلى جانبي، وانحنى قليلًا وقال: "أوهيمي سيما، تعالي معي من فضلك".

كنت أركّز على حذائه الأسود واللامع ثمّ نقلت التركيز إلى الأعلى، فكانت البذلة وربطة العنقِ داكنتين، ثمّ الوجه، أصغر ممّا كنت أعتقد، إنّه أكبر منّي بسنتين، ربما، ولكن يا إلهي، اقتلني الآن، إنّه عن قرب أكثر جاذبيّة، وحسن المظهر، ومثير لدرجة مزعجة، له فكّ سفليّ منخفض، وأنفٌ مستقيم، منذ فوريست وأنا في فترة انقطاع دائمٍ عن العلاقات، لكنّني الآن أعيد التفكير في إلغاء الحظر على أيّ كائن ذي قضيب، وصار فمي يُفتح ويطبق من الذهول، إنّه ينتظرني، فقلت له وأنا أنظر إليه بإمعانٍ وأتفحّصه: "وأنت..."، كان صوتي يتقطّع في أثناء الكلام.

قال: "كوباياشي أكيو". هذا كلّ شيء، أعتقد أنّه من النوع الصامت القويّ، حسنًا، أعجبني ذلك تمامًا.

حدّقت إليه، ولست متأكّدةً ممّا أفعله، فعقلي مشوّش، وبالتأكيد بسبب السفر عبر الطائرة، ولكنّ هذا التشوّش ممزوج بالأدرينالين، ولا توجد كلمة تشير إلى حالتي الحاليّة، إنّها نوع من السعادة التي تقول أنا في بلدٍ جديد وعلى وشك مقابلة والدي.

سار وتنحنح قبل أن يقول: "عفوًا، أوهيمي ساما، يجب أن نذهب على الفور".

ابتسمت وقلت: "ماذا قلت اسمك؟".

"أكيو"، أصبح قليل الصبر بعض الشيء وتابع: "يجب أن يكون اسمي مذكورًا في الملفّ الذي تلقّيته".

"صحيح"، الملفّ، كان لدى الخطوط الجويّة اليابانيّة أوّل موسمين من مسلسل داونتاون آبي، وقد فضّلت الدراما التاريخيّة على تاريخ عائلتي، كما رتّبت

سريري الذي كان يجب أن أستلقي فيه: "لم يكن لديّ الكثير من الوقت للنظر إليه"، هذا ما شرحته لأكيو.

لمعت عيناه الداكنتان: "نعم، أنا متأكّدٌ من أنّ لديك أمورًا أكثر إلحاحًا".

هاه، حرّكت رقبتي لكي أنظر ورائي، من مقعده، فكان يمكنه أن ينظر إليّ، لا شكّ في أنّه كان يراقبني، وأنا أشاهد داونتاون آبي، إذا كان الأمر كذلك.

"ربما ترغبين في التحقّق من الملفّ الآن،" اقترح ذلك، مع ارتفاع مستوى نفاد صبره إلى الحدّ الأقصى، أمّا الرجلان الآخران اللذان يرتديان بذلتين فكانا جدّيين، لكنّهما لم يكونا بنفس قدر عدائيّته، لذلك لا يمكن تأمّل الحصول على مساعدة على الإطلاق.

قلت: "نعم، نعم، سأفعل"، كان وجهي مشتعلًا وليس بالطريقة المثيرة التي نقرأ عنها في الروايات الرومانسيّة، بل بسبب الغضب، فكان الملفّ محشورًا في الحجرة الموجودة أسفل التلفاز، وكانت عينا أكيو تلاحقانني بينما أتخبّط لجلبه، وأنا أقوم بحركات لم تعكس معنى الأناقة، كما أصدر الجلد صوت صريرٍ مزعج، وقد أمكنني عمليًّا سماع صوت نبضات قلبه المتسارعة التي تعود إلى استيائه.

فتحت الملفّ، ورأيت صورته في الصفحة الخامسة، سوف يقابلكِ الحارس الإمبراطوريّ أكيو كوباياشي في سان فرانسيسكو ويرافقكِ شخصيًّا، وقد تبع ذلك المعلومات الخاصّة به وقائمة المؤهّلات، إنّه يبلغ من العمر عشرين عامًا، وقد امضي سنتين في الحرس الإمبراطوريّ، وحاز أعلى تقييم في مجموعة متنوّعة من فنون الدفاع عن النفس، وهو خبير في الرماية، وما إلى ذلك، كلّ هذا قادني إلى الاعتقاد بأنّه يمكن أن يقتل رجلًا بيديه العاريتين، يا له من شابّ مخيف! قلت: "أنا آسفة لعدم التعرّف عليك"، أقف وأجمع أغراضي، وأتابع: "أنت تعرف الفتيات، هنّ غريبات وجميعهنّ...".

ما إن حرّك إصبعين حتّى تحرّك أحد الرجلين وبدأ بالعمل، وحمل حقيبتي، ثمّ قال: "ليس مهمًّا"، كان يجب أن أقرأ الملفّ، فلا أستطيع أن أتخيّل ما يفكّر فيه

الآن وما نظرته إليّ، في الواقع يمكنني التنبّؤ بذلك، ربما قضى رحلة الطائرة بأكملها يكتب ذهنيًّا تعليقاتٍ سيّئة عنّي ومتعالية، وإن لم يتعرّف إليّ على متن الطائرة، كأن يقول: "اعتقدت أنّه لا يمكن لأحدٍ رؤيتها عندما كانت تشمّ رائحة إبطيها، فعلت ذلك مرّتين حتّى الآن، ألأ يفترض بهذه الفتاة أن تكون أميرة؟ لا يتمّ الدفع لي بما يكفي لكلّ هذا".

قال أكيو: "الصحافة تعلم أنّكِ ستصلين اليوم"، وهو يدعوني والرجلين الآخرين إلى الخروج من الطائرة، وعلى الرغم من أنّ حديثه قصير إلّا أنّ خطوته طويلة، ويجب أن أخطو خطوتين للحاق به، فشعرت بوخر في جانبي وأنا أحاول مواكبته، فيجب أن أتمرّن أكثر، لكن للأسف، أحبّ أكل الكعك أكثر ممّا أحبّ الركض: "إنّهم لا يعرفون أيّ رحلة، لكنّني متأكّد من أنّهم سيكتشفون ذلك قريبًا، فقد اشترت صحف التابلويد تذاكر للوصول إلى المطار الرئيسيّ، وقد رتّبنا المرور عبر أماكن الموظّفين".

انضمّ إلينا مزيد من الرجال الذين يرتدون البذلات، وصار يمكن وصف رحلتنا بالتالي: كلام أقلّ، سرعة أكثر. فألقيت نظرة سريعة على المطار، فبدا معياريًّا جدًّا، الأرضيّات بيضاء لامعة ونظيفة، اللافتات والسلالم المتحرّكة ذات الإضاءة الخلفيّة بألوان النيون، ولكن هناك بعض الاختلافات، مثل إعلانات الفنادق عن كبسولات النوم والاستحمام.

سألت وهم يرشدونني عبر بابٍ معدنيّ: "ماذا عن أمتعتي؟".

"ستُرسل إلى القصر، ويفترض أن تصل قبلك"، أخبرني أكيو من دون أن يخطو خطوةً واحدة.

كانت القاعة خرسانيّة وفارغة، ومصابيح الإنارة تومض، وكنّا نمشي عبر ممرّاتٍ بلا نوافذ تصطفّ على جانبيها أبواب عليها لافتات أو أرقام، وكلّ شيءٍ مكتوب باللغة اليابانيّة، أخيرًا اتّسعت القاعة، حين وصلنا إلى داخل المطار، وعلى ما أعتقد، كانت الممرّات التي تتفرّع مثل الشرايين تعبق برائحة صلصة الصويا والكاري.

تعرّقت جبهتي، فأنا لم أشرب الشمبانيا على متن الطائرة، لكنّي كنت قد شربت ثلاثة أكواب من الكابتشينو، وفي الغالب لأنهّا كانت تحتوي على هذه العصيّ اللذيذة من الشوكولاتة، وقد لاحظت مضيفة الطيران ذلك، فأحضرت لي العشرات منها، لذلك أنا إلى حدٍّ كبير أحبّها الآن، والمشكلة هي أنّ الغطس في جنة الكافيين يعود ليطاردني.

وبعبارات الشخص العاديّ: لا بدّ لي من التبوّل.

قلت بهدوء: "أكيو".

لم يسمعني أم تجاهلني؟ شخصيًّا أظنّه تجاهلني، فلا بدّ من أنّ شخصًا في موقعه يكون سمعه أفضل من سمع الشخص العاديّ.

كرّرت بصوتٍ عالٍ: "أكيو".

تابع تقدّمه، وقد حان الوقت لاتّخاذ إجراءات صارمة، فمثانتي على وشك الانفجار، ولا يمكنني مقابلة والدي وأنا أقوم برقصة التبوّل، فلن يكون مظهري لائقًا، فتوقّفت، وتوقّف الجميع وحدّقوا إليّ.

"أنا بحاجة إلى استخدام مرحاض السيّدات، شرحت له ذلك، ثمّ أضفت: "من فضلك"، لأنّ لآداب التخاطب الأولويّة.

قال أكيو الذي يقف أمامي: "آسف؟"، وتظاهر بأنّه لم يفهم، لكنّني نظرت إليه وعبّرت عن التالي: لا أصدّق أنّه من المحتمل أن تطلب استخدام الحمّام، أيّ نوع من الشياطين أنت، حقًّا؟

"هل يوجد مرحاض قريب للسيّدات؟"، حدّقت إلى عينيه، في انتظار خروج الكلمات من فمه.

حدّق إلى وجهي لثانية أخرى، وأنا مستاءةٌ حقًّا لأنّه أطول منّي: "مرحاض، هل تحتاجين إلى مرحاض؟".

أهزّ بكتفي، وأرفع راحتي يديّ: "هناك الكثير من الكابتشينو على متن الطائرة".

"لم نخطّط لذلك"، كان صوته متوتّرًا وقد اهتزّت أطرافه.

"استخدام المرحاض؟".

أومأ إيماءة واحدة إليّ.

"حسنًا"، أنتقل من قدمٍ إلى أخرى.

تفحّصني للحظة، ثمّ قال شيئًا باللغة اليابانيّة، فتحقّق أحد الرجال من هاتفه، وأشار إلى الباب، ودخل فريق من الرجال ذوي البذلات من المدخل المذكور، فسُمع دقّ الأواني، وارتفعت الأصوات بشدّة، وبناءً على الأصوات، يمكنني أن أقول إنّ شخصًا ما غير سعيدٍ للغاية، وبمجرّد أن هدأت الأمور، يفتح أحد الرجال الباب، فيمدّ أكيو ذراعه ويقول: "الحمّام".

"شكرا لك".

إنّه أحد المطابخ، والموظّفون، والخادم، والبوّاب جميعهم يقفون في الزاوية، وقد انتشرت همهمة في المكان ما إن دخلت، وكان الهواء ثقيلًا وعابقًا برائحة دهنيّة صادرة عن المقالي والعجين، وعلى بعد عدّة أقدام، يفتح أحد الرجال باب الحمّام.

أرفرف بأصابعي، وأعتذر إلى الموظّفين، فأجابتني عشرات الابتسامات المتساهلة، وعندما خرجت، كان الطاهي يتشاجر مع أحد الرجال، وبعد الكثير من الجدل، يبدو وكأنّه يطلب الإذن من أكيو، فالتقط الطاهي سكّينًا ودوّرها، قبل أن يقترب وينحني، ويقدّم الفجل مقطّعًا على شكل زهرة الأقحوان.

شرح أكيو بصلابة: "إنّها هديّة".

أخذتُ الخضار بابتسامة عريضة، وقطرات الماء تتساقط من يدي: "فلم تكن هناك أيّة مناديل، آسفة".

قال آكيو شيئًا باللغة اليابانيّة وهو يلوّح بمناديل صغيرة بالقرب من وجهي، حتّى إنّه سحب منديلًا أبيض من جيبه، فكان الأقرب منّي ولكنّي تجاهلته، فهو عدوّ، أتذكرين؟

إنّ المنديل الذي يحمله البوّاب نظيف ومتجعّد كما لو كان مضغوطًا بلطف،

فأخذته ومسحت يديّ، ولا أزال قادرةً على الاحتفاظ بالفجل، "شكرًا"، شكرت الطاهي والبوّاب، ثمّ لوّحت إلى فريق العمل وقلت "أريغاتو".

ردّ كلاهما: "أيي".

سألته: "من فضلك، أعتذر إذا تسبّبت بتأخّر غداء أحدهم، فهل ستترجم ذلك لي؟".

صرخ أكيو: "يجب أن نمضي في طريقنا"، أضفت عيبًا إلى قائمة مؤهّلات أكيو، قد أترك هذا الأمر يمرّ، لكنّي أصبحت كبيرة على كوني لطيفة مع الناس، أشبك ذراعيّ وأحدّق إليه، أنا لا أحبّ التباهي، لكنّني ربحت نصيبي العادل في مسابقات التحديق.

وأنتظر ثانية واحدة.

ثانيتين.

ثلاث ثوانٍ.

ووو... لقد فزت، شبك أكيو يديه خلف ظهره، وتنحنح وتحدّث اليابانيّة، فلا توجد طريقة لمعرفة ما إذا كانت ترجمته حرفيّة، على الرغم من أنّ أكيو قد أكدّ صدقه، وأنّه من نوع الأشخاص الذين يقولون سأموت من أجل المبادئ. ملاحظة جانبيّة: لقد كان هذا سبب سقوط العديد من الرجال العظماء.

عندما أنهى حديثه إلى طاقم المطبخ، هتف الطاقم بحياتها، لقد نسيت القصر ووالدي، وربما سأعيش هنا.

أعادني أكيو إلى القاعة الخرسانيّة، وهذه المرّة سعدت بملاحقته، فلن يفسد المطر موكبي، وبدت خطواتي أكثر خفّة بعد أن أفرغت مثانتي، وضوء النهار كان ينبعث من خلال شقوق الأبواب المزدوجة، ففتح رجلان الباب، وإذ بالهواء النقيّ العابق برائحة المطر والأرض الرطبة يغمر المدخل، وظهر فجأة وميض ساطع أصابني بالعمى للحظات، كان عدد كبير من الناس في الخارج ينتظرونني، وهم يهتفون باسمي، وبعضهم صحفيون بشاراتٍ رسميّة وكاميرات ذات عدسات

طويلة، وحرّاس الأمن الذين يرتدون اللون الأزرق يمنعونهم، فما كان يمكن أن أسمع صوتًا أعلى حتّى وإن أمسك بي أحدهم من ياقة سترتي وهو يصرخ في أذنيّ.

فضغطت بيدي على قلبي النابض.

تباطأت سيّارة رولز رويس سوداء أنيقة عند الرصيف، وعلى الغطاء، هناك علمٌ أبيض مع شمس حمراء متوهّجة، ولوحة الترخيص من المخمل الأسود وأقحوانة ذهبيّة.

تباعدت شفتاي وكدت أتجمّد، هل والدي في تلك السيّارة؟ وعلى الجانب الآخر من الزجاج، أظهرت أفضل ابتسامة، بدت وكأنّني حظيت بتاج ملكة الجمال.

لمعت عينا أكيو الغاضبتان وقال: "كانت الحشود أصغر عندما هبطنا".

اخترت أن أتجاهله، وفُتح باب السيّارة وتحرّك أحد الرجال، فشعرت برجفة، ولكنّ الرجل الذي كان في السيّارة ليس أبي، كان يعتمر قبعة سوداء ويضع ربطة عنق زرقاء داكنة، وذكّرتني مجوهراته بكلب باسيت حزين.

فتح شخص ما مظلّة سوداء وأمسكها فوق الرجل الذي تقدّم نحوي وانحنى، وصاح وسط الصخب والضجيج: "يوكوسو، أوهيمي ساما، أنا السيّد فوتشيغاري، أمين قصر الشرق، أرحّب بك في الوطن بالنيابة عن والدك، صاحب السموّ الإمبراطوريّ وليّ العهد إمبراطور اليابان". يشقّ المطر طريقه أسفل النايلون وتتساقط القطرات من أطراف المظلّة.

ومضت الكاميرات من جديد، ورمشت عيناي، ثمّ حاولت النظر إلى مقصورة الرولز رويس، وقلت: "والدي ليس هنا؟"، إنّها خيبة أمل كبيرة.

نودي باسمي، ولكنّي بقيت مركّزة على السيّد فوتشيجامي، التُقط لي المزيد من الصور، والمزيد من وميض الأضواء، ما قد يؤدّي إلى أخذ انطباع سيّئ بسبب الجزء المزخرف من جفنيّ، وتساءلت إن شعر الصحفيّون بخيبة أملي، وربما سيكون العنوان الرئيسيّ: الأميرة تقف منتظرة والدها.

كانت ابتسامة السيّد فوتشيجامي تعاطفيّة: "إنّ أوجي ساما بانتظارك في القصر، اعتقدنا أنّه قد يكون من الأفضل أن يكون لمّ شملكما بعيدًا عن الأنظار"، هذا منطقيّ، على ما أعتقد، ومع ذلك شعرت بانقباض في معدتي: "من فضلك"، قال وهو يمدّ ذراعه، محدّدًا خطًّا يتوقّع منّي أن أتبعه.

إنّ وجود أكيو بجانبي هو أغمق من الغيوم في السماء، كان يحدّق إلى الحشد، حيث يمكن للحرس الإمبراطوريّ أن يتنحّى جانبًا الآن، ولا شكّ في أنّه سيستمتع بعمليّة التسليم، وربما لا يسعه الانتظار ليكون حرًّا ويفعل شيئًا يريحه، مثل لفّ الساعات أو تخويف الأطفال الصغار في ساحة المدرسة أو (يمكن للمرء أن يأمل فقط) اللعب في الزحام.

نظرت يمينًا ويسارًا، وكان باب السيّارة مفتوحًا الآن، والمطر يتسرّب إلى الداخل، والسيّد فوتشيجامي ينتظر، ووالدي ينتظر، واليابان تنتظر، ثبّتُّ نفسي، محاولةً إيجاد الجانب المشرق، قد لا يكون والدي هنا الآن، لكنّ طوكيو هنا، لذلك سأجعل أعصابي تبدو صلبة مثل قطعة الإسمنت الرطبة تحت قدميّ، ولا يمكن اختراقها. أنا شجاعة، أنا رائعة، ويمكنني فعل أيّ شيء، (طالما يتمّ التعامل معِي بلطف، وطالما أنام عشر ساعات في الليل، وأحصل على وجبة فطورٍ غنيّة بالبروتين بالطبع).

جاهزة، متماسكة، انطلقي.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل السادس

جلست في مقعدٍ من الجلد الناعم الزبديّ بلون الشراب الأسكتلندي الجيّد، وجلس السيّد فوتشيجامي أمامي، ووضع قبعة رامي الكرات في حضنه، إنّ شعره رماديّ بمعظمه ومسرّح إلى الخلف. أُغلقت أبواب السيّارة التي يقودها سائقٌ يرتدي سترة نحاسيّة اللون بأزرار وقفّازين أبيضين. من حسن حظّي أن أكيو جلس في المقدّمة، ووضعيّته مستقيمة، وتتبادر إلى الذهن كلماتٌ مثل العصا والحمار، وكانت قطرات المطر تنزلق أسفل رقبته، أنا أكرهه نوعًا ما، وأكرهه أكثر لأنّه جذّاب للغاية.

سألت: "من في السيّارة الأخرى؟"، مع ملاحظة سيّارة رولز رويس ثانية تتبعنا، إنّ الجوّ خانقٌ بعض الشيء في السيّارة كما أنّ النوافذ مغطّاةٌ بالضباب.

"لا أحد"، سحب السيّد فوتشيجامي قفّازين جلديّين سوداوين من يديه، "إنّها فارغة، في حال تعطّلت هذه السيّارة".

كان الخشب الداخليّ يلمع، والمحرّك يصدر صوت قرقرة: "هل تعطّلت هذه السيّارة من قبل؟".

كان وجه السيّد فوتشيجامي خاليًا من التعابير: "لا، إنّها جديدة كليًّا".

"هذا منطقيّ"، لكن ليس في الحقيقة، كانت الشرطة على درّاجاتٍ ناريّة بيضاء تحيط بنا، ونحن نزيد سرعتنا على طريقٍ سريعٍ الآن، تتوقّف السيّارات على جانبي الطريق وتسمح لنا بالمرور.

وضع السيّد فوتشيجامي حزمة من الأوراق في حضني: "برنامج الرحلة الخاصّة بكِ هذا المساء ولبقية إقامتك". كانت نغمة صوته تتعلّق بالعمل.

خطّ سير برنامج رحلة صاحبة السموّ الإمبراطوريّ الأميرة إيزومي.

3/ 22/ 2021

3:32 بعد الظهر – الوصول إلى مطار ناريتا الدوليّ.

3:45 بعد الظهر – مغادرة مطار ناريتا الدوليّ، جولة في الموكب في طوكيو والأراضي الإمبراطوريّة.

أتفقّد هاتفي، إنّها الساعة 4:01 بعد الظهر، هناك تأخيرٌ بمقدار ستّ عشرة دقيقة عن الجدول الزمنيّ، في الواقع هذا ليس خطئي، فلقد وُلدت متأخّرةً بثلاثة أسابيع بوزن عشرة أرطال، أيّ تقريبًا بحجم كلبٍ مالطيّ بالغ، وكانت أمّي ضخمة جدًّا في أثناء الحمل، واعتقد الجميع أنّها كانت حاملًا بطفلين، وهذا ما جعل الممرّضة تطلق نكتة أنّي التهمت توأمي في الرحم، فأبتسم للفكرة، وكان السيّد فوتشيجامي يراقبني بحذر، وكانت شفتاه ترتعشان، أعيد انتباهي إلى الجدول الزمنيّ.

5:01 مساءً – ارتداء الثياب لتناول العشاء.

5:22 مساءً– لقاءٌ خاصٌّ مع وليّ العهد.

8:00 مساءً – حفل استقبال وعشاء ترحيبيّ.

يتابع السيد فوتشيجامي: "يجب تعديل الجدول الزمنيّ، أنا أفهم أنّه كان هناك توقّفٌ غير متوقّع في المطار"، وكانت نظراته ثابتة على الفجل، الذي وضعته على المقعد المجاور لي، إنّه صديقي الآن نوعًا ما، وأطلق عليه اسم تماغوتشي اثنين.

أقلب الصفحات وأعضّ خدّي، حسنًا، قد يكون هذا تحدّيًا، فالالتزام بجدول مدرستي كان معجزة صغيرة، إنّ الأسبوعين مليئان بالأنشطة، والدروس الخاصّة في التاريخ اليابانيّ، واللغة، والفنّ، وجولات الأضرحة، والمعابد، والمقابر، وزيارة المزارع الإمبراطوريّة ومحميّات البطّ البرّيّ، والمآدب المتنوّعة، والنزهات مع والدي، ولعب بيسبول، وافتتاح معرض فنّيّ عام، وهناك أيضًا... "زفاف؟".

أومأ السيد فوشيجامي إليّ: "رئيس الوزراء سيتزوّج في غضون عشرة أيّام".

أقول بصوتٍ مسموع: "لم أحضر أيّ شيء لأرتديه في حفل زفاف"، خزانة ملابسي تتكوّن من بناطيل ضيّقة وقمصان، أظنّ أنّ الثياب الشبيهة بالعلامة التجاريّة لولومون، كلّها مقبولة تمامًا بالنسبة إلى جبل شاستا، ولكن مجدّدًا، إنّ رمي الفأس وترفيه الأبقار مقبولان تمامًا أيضًا في جبل شاستا.

"خزانة ملابسك جاهزة، تعمل العائلة الإمبراطوريّة مع عدد من المصمّمين على صنع ملابس لائقة لك"، يمكنني قراءة الرسالة الأساسيّة في بيانه، من خلال نبرته، وابتسامته الغامضة، أنت تمثّلين العائلة الإمبراطوريّة الآن.

أجبته: "بالطبع"، لديّ شكوك قد أكون أبالغ فيها قليلًا، ولكن لا يهمّ.

"ابنتا عمّك، التوأم، الأميرتان أكيكو ونوريكو، تسافران كثيرًا"، ويضيف بنبرة دافئة: "في الأسبوع الماضي، عادت أكيكو من إسكتلندا، وهي تخطّط لدراسة اللغة الإنكليزيّة ووسائل النقل في العصور الوسطى في الجامعة هناك العام المقبل، وارتدت في المنزل فستانًا ساحرًا جدًّا وسترة".

أوه، أقول: "أوه"، وأقوم في عقلي بتصنيف ملابسي المكوّنة من بنطالٍ ضيّق وقميص هاي الباهت في جبل شاستا، وأتابع: "آسفة، لم أكن أعرف..."، أصرخ لجميع الفتيات اللواتي يعتذرن كثيرًا، أشعر بكنّ.

قال السيد فوتشيجامي: "نعم، يجب أن تكوني متيقّظة، إنّ الصحافة تراقبنا دائمًا، لكنّ الأمر ليس مهمًّا"، وتومض عيناي وأنا أنظر إلى أكيو، لقد قال أمرًا مشابهًا على متن الطائرة. سأساوي هذا المصطلح إلى الأبد بالتربيت على رأس الكلب، وتابع: "لقد جمعنا فريقًا صغيرًا لمساعدتك، بدءًا من أكيو، الذي سيكون حارسك الشخصيّ، فقد عملت عائلته في القصر الإمبراطوريّ لعقود، إنّه ثروة من المعرفة، ويمكنك الاعتماد عليه لسرّيّته"، آه، الخنجر ينغرز أعمق قليلًا، فقد صادف أن يكون عدويّ اللدود أحد الأشخاص الموثوق بهم أبدًا: "يُرجى التأكّد من إضافة معلومات الاتّصال الخاصّة به إلى هاتفك"، قال السيد فوتشيجامي. أراهن أنّني سأضعه تحت رمزٍ تعبيريّ يليق به مثل

قرون الشيطان أو خادم الشيطان أو أيّ رمز للبراز.

فتحت فمي لأسأل السيّد فوتشيجامي عن بقيّة الجدول، ولكن سُرقت كلماتي منّي وانقطعت أنفاسي، الآن فمي مفتوح لسببٍ مختلفٍ تمامًا، مفاجأة عجيبة، ورهبة شديدة.

لقد وصلنا إلى قمّة تلّ، وأشعّة الشمس تتدفّق عبر فجوة بين السحب، ويمتدّ الخطّ المتعرّج للارتفاعات الشاهقة، مثل السراب، فيغريني المشهد، وأنحني نحو النافذة، أمسح الضباب المتكاثف بيدي وارفع ذقني إلى الأعلى، لقد أُصبت بالدوار على نحوٍ إيجابيّ، وقطعت قطرات المطر أسفل النافذة تأمّلي.

ينتفخ صدر السيّد فوتشيجامي بكلّ فخر ويقول: "طوكيو، إيدو سابقًا، دمّرت بشكلٍ شبه كلّي بسبب زلزال كانتو العظيم عام 1923، ثم مرّة أخرى في عام 1944 بسببِ غارات القصف الحارقة ليلًا، حيث قتل عشرات الآلاف"، وقال الحاجب بصمت: "كيشيكايسي".

"ماذا يعني ذلك؟" يوجد فضول كبير في داخلي، لقد دخلنا المدينة الآن، ولم تعد الأبنية الشاهقة تظهر أشكالًا أمام الأفق، بل عمالقة رماديّة تلوح في الأفق. كلّ الأسطح كانت مغطّاة بشارات (نيون وبلاستيك، مطليّة أو بلافتات) وكان الضجيج يلفت الانتباه، إنّ المكان صاخبٌ أيضًا، نغمة نشاز خارجة عن ألحان البوب والسيّارات والأبواق والأناشيد الإعلانيّة والقطارات، فلا شيء مفهوم.

"تترجم بشكل تقريبيّ: الاستيقاظ من الموت والعودة إلى الحياة، في ظلّ الظروف اليائسة، نهضت طوكيو، وهي موطن لأكثر من خمسة وثلاثين مليون شخص"، توقّف، حاجز أنيق يقسم الطريق إلى نصفين، وأعمدة تظهر في الوسط وترفرف الأعلام اليابانيّة المبتلّة في مهبّ الريح، وسط الشوارع النظيفة لدرجة أنّني أستطيع تناول الطعام على أرضها: "وأيضًا أقدم نظام ملكيٍّ في العالم".

تزداد روعة ما أراه عشرة أضعاف فأمسك عتبة النافذة واضغط بأنفي على الزجاج، فهناك حدائق خضراء ومبانٍ سكنيّة منظّمة ومحلّات تجاريّة راقية

وصالات عرض ومطاعم، ويوجد لكلّ بناءٍ حديث أنيق مبنى خشبيّ منخفض بسقف قرميدٍ تتدلّى منه فوانيس متوهّجة باللون الأزرق، حيث تتكئ المنازل على بعضها كما يتّكئ الأعمام السكارى على بعضهم.

يروي لي السيّد فوتشيجامي تاريخ طوكيو، فهي مدينةٌ بُنيت وأعيد بناؤها، وولدت ثمّ ولدت من جديد، فأتخيّل تقطيعها مثلما تقطّع قطعة من الكعكة، وأتخيّل تشريح الطبقات، ورماد فترة إيدو "حرائق الزهور" مع بقايا دروع الساموراي وأقلام التخطيط والصناعات الخزفيّة اللامعة، وعظام من حقبة سقوط الشوغون والغبار من الزلزال العظيم والمزيد من الحطام من الغارات الجويّة في الحرب العالميّة الثانية.

مع ذلك، تزدهر المدينة، فهي مليئة بالحياة ومترامية الأطراف مع عروقٍ بلون النيون والأطفال الذين يرتدون تنانير منقوشة وربطة عنق حمراء صغيرة يتمايلون بين رجال الأعمال الذين يرتدون بذلاتٍ راقية ونساء يرتدين كيمونو قرمزيًا، ومظلّات في مقهى الشاي حيث يبدو الجميع يشبهونني، بالطبع، هناك اختلافات مثل أشكال مختلفة للعين والوجه، ولكن هناك الشعر الداكن وهو أكثر ممّا رأيته في حياتي كلّها، لقد صدمني هذا، فأنا لست جديدة هنا ولا أبدو دخيلة، وما يعدّ امتيازًا هنا بالنسبة إليّ هو سهولة الاندماج.

ولكن لا يزال الأمر يبدو أيضًا أشبه بهلوسة، كما لو كنت أنظر من خلال ثقب المفتاح ولا يمكنني استيعاب كلّ شيء، فلم تُبطئ السيّارة مرّة واحدة، وعندما لاحظت هذا قلت: "كلّ إشارات المرور خضراء".

نقر السيد فوتشيجامي بأصابعه على المقعد الجلديّ وقال: "نعم، فقد بُرمجت إشارات المرور لتتحوّل إلى اللون الأخضر من أجل الموكب الملكيّ، ولهذا السبب من المهمّ للغاية الالتزام بالجداول الزمنيّة"، ها هو تلميحٌ آخر لي، ولكن لا يهمّني، إنّ جسدي ينهار، إنّه يريد ربط نفسه في طوكيو ويضيع في جميع أنحاء المدينة، هذا هو المكان الذي كان يجب أن أولد فيه والذي كان يجب أن أعيش

فيه، وحينها لما كانت كلمات مثل القبول والتسامح جزءًا من مفرداتي التي تعلّمتها مبكرًا هنا، ولكنت شخصًا عاديًا، وجهًا لا يتعرّض لكلّ هذا التدقيق من قبل هذا الحشد، وبالطبع، ذلك إن صرفنا النظر عن الرولز رويس والأضواء الساطعة للشرطة التي ترافقنا.

أعود وأجلس مرتبكة ومتشبّثة بالمقعد، وأنا أستمع إلى صوت المطر اللطيف على السقف المعدنيّ للسيّارة، لأنبهر بعدها تمامًا، فنحن نعبر المياه.

يشرح السيّد فوتشيجامي: "إنّ هذا أحد الخنادق العديدة التي تحيط بأراضي الإمبراطوريّة"، أقول لنفسي هذا هو المكان الذي يعيش فيه أجدادي، الإمبراطور والإمبراطورة، في وسط طوكيو على مساحة أربعة ملايين ونصف مليون قدم مربّع من الغابات الخاصّة.

تظلم السيّارة عندما ندخل نفقًا ونحن نبتعد عن الأراضي الإمبراطوريّة وأسأل حين اعترتني لحظة من الذعر: "إنّ أبي لا يعيش هناك؟" وأتذكّر حينها مشاهدة فيلمٍ عن طفلٍ ملكيّ غير مرغوب فيه احتجز في البلاد، وأُخفي بعيدًا.

يجيبني فوتشيجامي: "يعيش وليّ العهد في قصر توغو، في مزرعة أكاساكا، شرق القصر الإمبراطوريّ وهو المكان ذاته الذي يقيم فيه باقي أفراد العائلة، أعمامك وعمّاتك وأبناء عمومتك والتوأم، كما أنّ الأميرتين أكيكو ونوريكو والأمير كيتاي بعمرك تقريبًا، لذلك سيكون لديكِ الكثير من الصحبة"، ثمّ ابتسم كما لو كان يقدّم لي هدية.

هدأ قلقي مع نهاية النفق، فمررنا ببوّابة بيضاء وذهبيّة، يقف أمامها حرّاس بزيّهم الأزرق الساطع في حالة تأهّب وتوصلنا هذه البوابة إلى حديقة مشذّبة مترامية الأطراف تنتهي بنافورة كبيرة وتحيط بمبنى رخاميّ مهيب، عندها قال السيد فوتشيجامي: "صمّم قصر أكاساكا على غرار قصر فرساي وباكنغهام"، نعم، نعم، *لديه طابع خاصّ كأنّه يقول دعهم يأكلون الكعك* ويكمل: "إنّ القصر غير مأهول، لكنّه يستخدم لزيارة الشخصيّات المرموقة".

تنعطف السيّارة عند المنعطف وترتفع الجدران أمامنا، فما زلنا في محيط قصر أكاساكا، وكانت أشجار البلّوط على طول الطريق، وتفسح الأسوار الطريق وصولًا إلى حاجزٍ من الخيزران يحدّها، وجميع المشاهد جميلة وتثير الإعجاب، لكن كاميرات الأمن مثبتة بسرّيّة كلّ مسافة قدمين، كما يقوم الحرس الإمبراطوريّ بدوريّات في المحيط.

يبطئ الموكب.

يقف باستعدادٍ، في الأمام، حرّاسٌ الإمبراطوريّة يرتدون الزيّ الرسميّ الأزرق النظيف، ويعتمرون القبعات ذات الشعارات اللامعة، وتلمع الأشرطة الذهبيّة على زيّهم الرسميّ في وجهي، وفُتحت بوابة معدنيّة سوداء، لتنطلق حينها درّاجات الشرطة بعيدًا، لتسدّ الشارع والمدخل ونمرّ بينها.

أعلن السيّد فوتشيجامي بحرارة: "آه، لقد وصلنا، هذا هو قصر توغو، مرحبًا بكِ في بيتك".

يقف الوقت ساكنًا ويلتقط عقلي صورًا لكلّ لحظة، لا شكّ أنّ هذه اللقطات ستحفظ عميقًا في الحصين لديّ، المكان الذي تخزّن فيه الذكريات التي لا تُمحى، كما هو الحال عندما كنت مصابة بالتهاب الحلق ولم أستطع إلّا أن أتناول الموز، وسأربط إلى الأبد هذه الفاكهة بالوجع والمرض، ولكن الآن الأمر معاكس هنا، فهذه الصور سترتبط بالجمال والإشراق.

إحدى اللقطات: القيادة على طريقٍ حصويّ محاط بأشجار القيقب وأزهار الأزاليا الأرجوانيّة التي تبكي عند جذوعها، وتمتدّ في جميع الاتّجاهات في الحديقة، ومساحات واسعة من نباتات الجنكو، وأشجار البتولا الفضّيّة، والصنوبر الأسود، والأرز، وتنبعث من الهواء رائحة الطين والعشب النابت حديثًا.

إحدى اللقطات الأخرى: النزول من السيّارة ورفع رقبتي، فيتوقّف المطر للحظة، وعلى الرغم من أنّ الشمس تختبئ خلف الغيوم، بدا المبنى كما لو أنّه ينفرد بضوئه الخاصّ، إنّه مشعّ ومتوهّج، فقصر توغا يعتبر المنزل المثاليّ لرجلٍ

كان يُعتقد في السابق أنّه إلهٌ ينحدر من الشمس، وهو إحدى العجائب الحديثة حيث يمتزج الهيكل المترامي الأطراف المكوّن من ثماني عشرة غرفة نوم وسط الطبيعة المحيطة به ويعكس سقفٌ برونزيّ من اليشم العتيق صور الأشجار.

لقطة أخرى: المشي إلى المدخل واستعراض صفّ من الموظّفين الذين أخذوا يقدّمون أنفسهم واحدًا تلو الآخر والمزيد من الخدم وطبيب وثلاثة طهاة (لأنّ الرقم ثلاثة أفضل من واحد) متخصّصين في طهو الأطباق اليابانيّة والمأكولات الغربية والخبز والحلويات، وكذلك كان هناك العديد من عمّال الإسطبل والخادمات بالإضافة إلى خادم والدي الخاصّ وسيّدة كانت بانتظاري تدعى ماريكو، وإذ بها تنحني أمامي.

أضغط بأسناني على شفتي السفلى وأسأل السيّد فوتشيجامي: "من هي السيّدة التي في غرفة الانتظار؟".

يجيبني: "المرافق الشخصيّ"، عادت القبعة إلى مكانها: "ستساعدك في المهامّ اليوميّة وتدرّسك اللغة والثقافة وآداب السلوك فقد اختارها والدك بعناية، وهو يعتقد أنّكِ قد تستمتعين برفقتها فهي قريبة من عمرك، وستتخرّج من جامعة كاكوشوين قريبًا، والدها هو الشاعر شوجي آبي كما أنّ لغتها الإنكليزيّة ممتازة وهي خبيرة في آداب البلاط".

يفتح الخدم الأبواب الزجاجيّة، وأدخل إلى الجينكان (المدخل الأماميّ)، وأستبدل حذائي بالخفّ المنزليّ، وكانت الأرضيّة عبارة عن مرايا والثريات مصنوعة من الكروم، فتحرّكنا بسرعة كبيرة ولم أُلقِ سوى لمحة على بقية المنزل، رأيت شاشات حريريّة خلف زجاجٍ شبكيّ في الردهة وكان أثاث غرفة الجلوس مرتّبًا وهي ذات زوايا مثالية تبلغ تسعين درجة، والألوان بدت فاتحة ومريحة، أما الخشب فكان مطليًّا بلون قشديّ مع لمساتٍ من اللون الأحمر، ولاحظت شاشات ورقيّة شبه شفّافة على مسارات خشبيّة تقسم المساحات، إنها مرتّبة وجيّدة التهوية.

في جناحي، هناك جدار من الزجاج الشفّاف أسفله بركة، يبدو الأمر كما لو كنّا معلّقين ونطفو فوق مساحة زرقاء عميقة، يطوف البجع على الماء وأسماك الكوي تحت السطح، وعن بعد تجسّست على أكيو، فكان شعره أشعث بطريقة مثيرة بسبب المطر، وهو يتحدّث مع أفراد الأمن الآخرين، لا شكّ في أنّه يوجّههم، فأصنّف في عقلي ميزات أكيو كما يلي:

الأمور التي تعجبه:	الأمور التي لا تعجبه:
✓ لعب دور المسؤول	✓ التأخير
✓ تحضير الجداول الزمنيّة	✓ أسلوب الحياة المفرح
✓ بذلات توم فورد	✓ الأميرات اللواتي يتبوّلن ويشاهدن داونتاون آبي أو يَقبَلن الفجل من الطهاة.
✓ سمّاعات الأذن	
✓ التحديق والمزيد من التسلّط	

بالحديث عن الفجل، لا تزال هديّة الطاهي معي، فقد احتفظت بها في أثناء تقديم الموظّفين وجولة القصر، إنّها الآن على صندوق من رقائق الذهب بجانب زهرة سوسن واحدة في إناءٍ مزخرف، شيء ما بخصوص الزهرة يغريني فأتفحّصها، وأعيد الترتيب ليتماشى تمامًا مع بساط الحائط الحريريّ المزخرف خلفه، فالبتلات الأرجوانيّة بسيطة ولكنّها أنيقة وجميلة ويبدو أنّ وضعها هنا متعمّد وكأنّ هناك مناسبة احتفاليّة، ولا يمكنني إلّا أن أسجّل ملاحظة عن هذا لأنّه يجعلني أشعر كما لو أن تفكيري قد تشوش تمامًا.

زمّت ماريكو شفتيها وقالت: "السؤال الكبير هو أيّ فستان يجب أن ترتدي؟". كانت قد وضعت الخيارات على السرير ذي القوائم الأربع وهي: فستان ورديّ من الحرير المزخرف بزخارف مزهّرة، أو فستان آخر قصير الكمّين مزيّن بالخرز. إنّ ماريكو شابّة صغيرة ذات ملامح حادّة ولا يبدو عليها التسامح، وتتميّز بحاجبين مائلين مستقيمين وذقن مدبّبة، قالت ماريكو: "لقد ارتدت الأميرة أكيكو اللون

الورديّ أمس في حفل الشاي الصباحيّ للشخصيّات البارزة، لا نريد أن نبدو كما لو أنّنا نقلّدها، لكنّ الأصفر شاحب جدًّا وأخشى أنّه قد يكون غير مناسب بالنسبة إليك، من ناحية البشرة". ترفع ماريكو الفستان إلى أمام خدي، كان قد كتب على الملصق الخاصّ به والمصنوع من الحرير: "أوسكار دي لا رنتا".

أنا: إنّ ملصقات المصمّمين لا تثير إعجابي.

أنا أيضًا: لا أطيق الانتظار لألتقط صورة سرًّا وأرسلها إلى نورا، فأنا منذ الآن أعلم كيف ستكون ردّ فعلها: اللعنة، أنت تكذبين.

سألتني ماريكو: "ما رأيك به يا أوهيمي سما؟".

أجبتها: "أوه، أممم" وأتظاهر بأنّني لم أتعرض للإهانة، وأفكّر في الخيارات التي أمامي، عندما أفكّر في الأمر أقول لنفسي: كمّين قصيرين؟ لا يعجبني، وأتذكّر أنّ الخيار الآخر هو الورديّ الفاتح؟ فلا يعجبني هذا الخيار أبدًا، ولم يغرِني أيّ منهما، كما يبدو كلا الفستانين غير مناسبين، لأكون صريحة، أنا نادمة على تزوير إجاباتي على الاستبيان، إنّه خطئي، فأقول لماريكو: "إنّ الأصفر والورديّ ليسا حقًّا لونيّ المفضّلين، فهل لديك أيّ لون أغمق، ربما أسود مثلًا؟". إنّني أفضّل أن يكون من 1 بالمئة قطن ومليون بالمئة من نسيج السباندكسن، لا تفهموني خطأ، أنا أحبّ جسدي، أنا فقط أحبّه أكثر باللون الأسود، وهذا يساعد أيضًا في حلّ مشكلتي الصغيرة والتي هي أنّني أسكب الأشياء على نفسي، فأنا آكل بشكل فوضويّ، مثلًا هناك بقعة صغيرة من الشوكولاتة على قميصي، وعلى الأرجح يعود سبب هذه البقعة إلى عائلة سنيكرز، ولو كنت الآن بين أصدقائي، لما كان لديّ مشكلة في لعقها.

تنظر ماريكو إلى غرفة خزانة الملابس الكبيرة بأرففها الرخاميّة، وهي تحتوي على الكثير من الفساتين المعلّقة. يبدو كما لو أنّ هناك مذبحة ألوان وتقول: "لا أسود"، ثمّ تنهّدت وأكملت: "يجب أن يفي اللون الأصفر بالغرض"، أومأت برأسها إليّ كما لو أنّها تطمئن نفسها بأنّه رغم أنّ ارتداء هذا اللون مع بشرة شاحبة يعدّ مخاطرة إلّا أنّها مخاطرة يجب أن نجازف بها.

وفي أقلّ من عشر دقائق ارتديت الفستان الأصفر الباهت، ثم اصطحبتني إلى مكان التجميل وأنارت مصابيح ذات إضاءة ساطعة، فتأفّفت ماريكو لأنّني لا أملك غرّة، وسألت وهي ترفع شعري: "ماذا يجب أن نفعل به؟". وبدأت بتفحّص ضفائر شعري الكثيفة في المرآة.

أقول لها معتقدة أنّها تريد سماع رأيي: "أحبّه منسدلًا".

عضّت ماريكو على شفتيها، وسحبت شعري إلى الخلف وثبّتت كتلة الشعر على شكل كعكة، فشعرت بألم في فروة رأسي عندما انتهت من ربطه، عندها فهمت أنّ ماريكو تحبّ القسوة، ولكسر لون الفستان الأصفر الشبيه بعشبة الحوذان تضع القليل من أحمر الشفاه على شفتيّ ووجنتيّ، وتتمتم شيئًا ما عن لون طلاء أظافري، الورديّ الغريب، إنّه لامع جدًّا، ولكن لا وقت لطلاء الأظافر، فتعلّق في أذنيّ قرطين من اللؤلؤ ميكيموتو وتطوّق عنقي بعقد من اللؤلؤ مطابق لهما.

قالت ماريكو وهي تغلق المشبك: "هديّة ترحيب من الإمبراطورة، وهي تأسف لعدم تمكّنها من التواجد هنا لتلقي التحيّة على حفيدتها الجديدة شخصيًّا".

أبدو في المرآة شخصًا مختلفًا، هذه أنا، ولكن في ذات الوقت لا أبدو كأنّني أنا، شخصيّة ملكية، ولست متأكّدةً كيف يجب أن أفكّر وأشعر تجاه هذا الأمر.

أحدهم يطرق على الباب، سمحت ماريكو للسيّد فوتشيجامي بالدخول، إنّه هنا ليأخذني إلى والدي، سألني: "هل أنت مستعدّة؟"، أنظر إليه بينما ينتظر جوابي والموافقة على اللقاء.

أردت أن أقول نعم، لكنّ المشكلة بالكلمات، فلديّ مجرّات كاملة منها، مجرّات تختنق على لساني، أنا على بعد دقائق من مقابلة والدي الذي انتظرت مقابلته طيلة حياتي، وإنّ الرغبة لدي في التنفّس في كيس ورقيّ من شدّة التوتّر قويّة جدًّا، لكنّي أحافظ على هدوئي رغم ذلك، على الأقلّ من الخارج، بينما يزداد الشعور بعدم الأمان في داخلي، فأنا أريد أن يحبّني والدي وأريد أن أُعجَب بأبي، فهل أنا أطلب الكثير من الكون؟

لكن كلّ ما أستطيع فعله الآن هو أن أومئ إلى السيد فوتشيجامي، فكلّ الطرق تؤدي إلى هذا، ولا مزيد من التجوّل في الشوارع والتساؤل حول إمكان ارتباط أيّ غريب أصادفه بعلاقة دم بأبي، والآن الإجابات على أسئلتي هي على بعد خطوات منّي، من هو أبي؟ وهل يريدني هنا؟ وهل هذه مجرّد حيلة سياسيّة؟

بكتفين مشدودتين وخطوات مستقيمة أتبع خطوات السيّد فوتشيجامي خارج باب الغرفة لأبدأ حياة جديدة.

الفصل السابع

الجدران في مكتب والدي من خشب الأرز ومطليّة بالورنيش وهي شديدة اللمعان، ويبدو كلّ عرق من عروق هذا الخشب وكأنّه يضيء. إنّني وحدي هنا في الوقت الحالي، أوصلني السيّد فوتشيجامي إلى هنا وأغلق الباب، وأنا أدرك تمامًا أنّ وليّ العهد لا ينتظر أحدًا، وهذا جيّد، فقد أفسح لي المجال كي أتطفّل على المكان، حاله كحال غرفتي هنا، فهذه الغرفة قليلة الأثاث، وأنا لا أعلم لماذا، فهناك مال كثير وهناك ثروة ضخمة، ولابدّ من أنّني قد دخلت إلى الجزء المظلم لهذا المجتمع الغنيّ، فقد خُصّص لكلّ قطعة موجودة على رفّ الكتب مكان كافٍ لها، وسُلّطت عليها أضواء مدمجة، حيث كانت مصابيح الإضاءة الخاصّة تعمل بالطاقة الشمسيّة، وهي تسلّط الضوء على هذه القطع، وهناك مزهريّة خزفية زرقاء من الخزف الصينيّ وعلبة تبغ فضّية إسبانيّة وسيف من نوع ما يحمل شعار تنّين ذهبيّ يلتفّ حول مقبضه، كلّ قطعة من هذه القطع قديمة ونادرة، ولا تقدّر بثمن، يبدو أنّ طبقة العائلة لا تقاس بمقدار الدولارات التي لديها بل بالقطع التاريخيّة التي تملكها وبأصول هذه العائلة، فما هو أصلي؟ وقد بدا كلّ ما يتعلّق بحياتي رخيصًا فجأة.

هناك صور هنا أيضًا، مؤطّرة بشكل بسيط بين لوحين من الزجاج، يظهر والدي في كلّ منها، وكلّها بالأبيض والأسود، فها هي صورته وهو صغير أمام خلفيّة من ستارة شوجي اليابانيّة التقليديّة وقد وضع يديه على بيانو، أمّا في صورة أخرى فهو أكبر سنًّا ويبدو أنيقًا وحازمًا للغاية يرتدي زيًّا رسميًّا نحاسيّ اللون، وهناك صور عفويّة أيضًا، وفي صورة أخرى يحتضن دبّ الكوالا أمام شجرة أوكالبتوس، بينما يشرب الجعة مع أخيه في حانة، كما توجد صورة للإمبراطورة والإمبراطور،

كيمونو وهاكاما، في يوم زفافهما، يرتديان الزيّ الإمبراطوريّ الكامل.

ينفتح الباب فأقف لأصوّب نظري نحوه وأنا أرتّب ثوبي.

ها هو والدي أمامي، ولكنّه هذه المرّة مؤطّر بإطار مدخل الغرفة، يبدو شخصيّةً مهيبةً، يرتدي قميصًا أبيض بأزرار من اللؤلؤ وسروالًا أسود.

يُميل رأسه ويتحدّث باليابانية إلى الرجال الذين يقفون خلفه، ويغلق الباب، ونحن بمفردنا الآن، وبذلك نستطيع:

أ) أن نتعانق

مكتبة
t.me/t_pdf

ب) أن نتصافح

ج) أن نبتسم بصدق

ولكن رغم كلّ هذه الخيارات نختار

د) ألا نتبع أيًّا من الخيارات أعلاه بل نتبادل النظرات بشكل محرج.

كانت السحب الرماديّة قد تبدّدت في الخارج، وبدأت الشمس بالغروب، الضوء مختلف هنا، فقد تلوّنت الأجواء باللونين الذهبيّ والبرتقاليّ المحروق. إنّهما لونان اعتقدت أنّه لا يمكن مزجهما وإظهارهما بهذه الروعة إلّا بواسطة فنّان ماهر، تداعب الظلال الغرفة وتلقي بظلالها على التقاطعات الصلبة البادية على وجه أبي لتبدو بارزة، إنه متحفّظ، بينما أنا هائمة.

أخيرًا، قال بصوت غير واضح: "تشبهين والدتك".

شعرت كما لو أنّني أصبت بطعنة، فهل أقرأ لهجته بشكل صحيح، وهل تبدو اتّهامية؟ أشدّ قبضتي يديّ، ثمّ أرخيهما، لقد تحقّقت أسوأ مخاوفي، إنّه لا يريدني، كان ذلك خطأً فادحًا وأنا مستعدّة لإحراق كلّ شيء، لكنّني أقول: "ظننت أنّني أشبهك أكثر بكثير، عندما رأيت الصور مؤخّرًا".

أجابني: "أنت تبدين كذلك"، إنه يقصد الأنف فمن المعروف عن العائلة الإمبراطوريّة أنّها تتوارث هذا النتوء الصغير.

أرفع يدي وأتحسّس هذا النتوء الصغير على طول أنفي.

فيقول: "أنت تشبهين الإمبراطورة أيضًا، أمّي"، نبرته تزداد حرارة، ويكمل: "ذقن ضيّقة وعينان أوسع، كانت ذات جمال عظيم في صباها، ومن الجيّد أنك لا تشبهينني كثيرًا، فقد أخبرتني والدتك ذات مرّة أنّني كنت أبدو في كثير من الأحيان كما لو أنّني قد تناولت لتويّ الحصرم".

أضحك، حسنًا ربما بإمكانكما الآن إطفاء نار خلافاتكما مؤقّتًا، على ما أعتقد.

ابتسم وقال: "لم أهتمّ قطّ بندواتها الدراسيّة".

أقف هادئة.

لنغرق في صمت محرج، ماذا كنت أتخيّل؟ هل تصوّرت أنّنا سنرتمي في أحضان بعضنا؟ وأنّ الحمض النوويّ الذي يجمعنا سيعمل كطرفين متعاكسين، كمغناطيس يدفعنا إلى بعضنا؟ بالإضافة إلى ذلك، إنّه ليس أبًا عائدًا من الحرب، وأنا لست بطفل انتظر وصوله بفارغ الصبر، ولا توجد أيّ ذكريات لترسّخ علاقتنا، فهو لم يضعني في الفراش في الليل ولم يعتنِ بي عندما ارتفعت حرارتي من الحمّى، أو شجّعني عندما كنت أخرج لألعب السوفتبول، كلّ تلك اللحظات الضائعة تتراكم لتفرّق بيننا، ولا أريد أن ألومه على غيابه لكنّي أفعل ذلك نوعًا ما، كلّ هذا غير منصف.

يبدأ بالقول "أنا.." لكنّه يتمالك نفسه قبل أن يكمل، فليس لديه شيء ليقوله، ولا أنا لديّ شيء. يطول الصمت، فنحن غريبان عن بعضنا، لماذا اعتقدت أنّ الأمر قد يكون مختلفًا؟

يبتسم وهو غير واثق مما سيقوله: "لقد صارعت الثيران في إسبانيا، ونظرت إلى أعينها ولم أشعر بالخوف كما أشعر به في هذه اللحظة، فيداي ترتعدان". ويريني يديه، في الحقيقة، هناك رعشة خفيفة في أصابعه الصلبة.

أضحك ضحكة خفيفة بينما أشعر بالارتياح، وأقول له: "لم أواجه مطلقًا الثيران، لكنّني وضعت الغراء على مؤخّرة تومي ستيفن- أقصد على كرسيّه- في الصفّ الثاني بعد أن سرق أقلام التلوين الخاصّة بي، وكنت خائفةً جدًّا من أن يُقبض عليّ، واعترفت بعد ذلك بفعلتي مباشرة".

لمعت عيناه بفخر وقال: "لديك إحساس قويّ بالعدالة".

شعرت ببعض الراحة وأجبت بابتسامة خرقاء: "ربما يجب أن نبدأ من جديد"، فيمدّ يده ويقول: "أنا مسرور جدًّا لوجودك هنا، وأتطلّع إلى التعرّف إليك أكثر".

أضع راحة يدي في يده، قبضته حازمة وتبعث على الطمأنينة، لكنّها ليست مألوفة بالنسبة إليّ، بإمكاننا أن نحذف الخيار د) الآن ونختار الخيار ج) وهو الابتسامة والمصافحة.

إنّه ليس بالأمر الجلل، لكن يمكن اعتبارها بداية جيّدة، وتساعدني على تذكّر سبب وجودي هنا، وهو مقابلة والدي لأستوعب من أنا، ومن أين حصلت على شكل وجهي، ومن أين أتى موقفي المتصلّب.

قال ونحن نفلت أيدينا: "إنّ الحدائق جميلة في هذه الفترة من العام".

أبتهج وأقول: "أجل".

فيسألني: "هل ترغبين في رؤيتها؟".

فكّرت للحظة وقلت في سرّي إنّ الهواء النقيّ يجعل كلّ شيء أفضل، وأجيبه: "ذلك يبدو رائعًا، تستطيع أن تقود الطريق".

داعب الهواء البارد والرطب خديّ، لكن لا مطر فالجوّ صحو، وبدأت تخشخش حصى بحجم حبوب البازلاء تحت قدميّ، ووالدي إلى جانبي يسير واضعًا يديه في جيبيه، أخيرًا، تفكّكت صورة الأمير التي لديّ وبدأت أشعر بالقشعريرة التي تكاد تفجّر ذراعيّ.

قال: "يبدو أنّك تشعرين بالبرد"، وينظر إلى مكان ما، وإذ بخادم ملكيّ يقف أمامنا بعد أن أرسل إليه رسالة صامتة طالبًا منه الحضور، وهذه خدعة أرغب في إتقانها، وسأضعها ضمن أهداف حياتي.

يتحدّث والدي معه باللغة اليابانيّة، فينحني له الخادم ويختفي، وأرى خيالات تعود إلى أشخاص عريضي المناكب بين الأشجار، لا بّد أنّهم الحرّاس، حتى إنني أرى أكيو، وهذا أمر سأستغرق بعض الوقت لأعتاد عليه، فحتى عندما يكون المرء

بمفرده هنا لا يشعر بأنّه بمفرده، ويظهر الخادم من جديد، ومن المذهل كيف تحرّك بهذه السرعة، وكان العرق يتصبّب من جبينه، ولكنّه يحافظ على أنفاسه منتظمة، فانحنى وقدّم لوالدي شالًا عاجيّ اللون من الكشمير، أخذه والدي منه ووضعه على كتفيّ وسألني: "أهذا أفضل؟".

أجبته: "أفضل بكثير، شكرًا لك". وأحتضن الشال من حولي، ولم أرَ نفسي أبدًا مثل فتاة ترتدي هذا النوع من الصوف الفاخر، لكن يمكنني الاعتياد على ذلك.

قال لي وهو يمشي: "هل نتابع؟".

خيّم علينا صمت وديّ، واخترق صوت الرياح وأصوات حركة المرور الكثيفة في طوكيو الصمت بيننا، وبدأ يشرح لي والدي أنواع الأشجار المنتشرة وهو يشير إليها، وأخبرني أن البتولا البيضاء تشكّل شعاره الشخصيّ، وأكملنا مسارنا الذي أخذ يتوسّع وجلنا حول بركة، لنتوقّف بالقرب من خشب الصنوبر الأسود المنحوت، ويمكنني أن أرى في الجهة المقابلة من الماء السيّد فوتشيجامي وهو يقف برفقة مجموعة من أمناء الغرف، جاعلًا من مراقبتنا أمرًا جللًا.

ابتسم والدي ابتسامة حزينة وقال: "ربما انزعج السيّد فوتشيجامي لأنّنا خرجنا، فهذا ليس من ضمن جدول نهارك".

شددت الشال حولي وقلت: "يبدو أنّه أمر يتكرّر كثيرًا بالنسبة إليّ، أعتقد أنّ رأس أكيو كان سينفجر عندما طلبت استخدام المرحاض في المطار".

تقدّمت الشمس في غروبها، فأشعل الخدم فوانيس حجريّة، لتغرق الحديقة في وهج أصفر ضبابيّ، همهم والدي: "آه، السيّد كوباياشي، اخترته بنفسي، اعتقدت أنّك ستكونين أكثر راحة مع شخص أصغر سنًّا"، أومأت برأسي إليه موافقة، فلا أريد أن أبدو جاحدة.

أسمع أصوات انفجار فأرتعش، وإذ بالألعاب الناريّة تلمع في سماء الليل مثل حبيبات السكر، متلألئة باللون الورديّ والأرجواني الداكن والأزرق الفاتح، وأشعر بأنّ أضواء طوكيو تغمز لي من بعيد.

استدار والدي ونظر إلى السماء.

قلت منبهرة: "إنها جميلة".

تنعكس الشرارات في عينيه الداكنتين، وقال: "إنّها من أجلك، إنّ طوكيو ترحّب بأميرتها الجديدة".

سألته متعجّبة: "من أجلي؟"، وأنا أحاول أن أستوعب الأمر، وأبذل قصارى جهدي حتى لا أدع هذا الأمر يعبث في تفكيري.

اقترب أحد الخدم حاملًا صينيّة فضّية مليئة بالمشروبات الموضوعة في كؤوس من الكريستال الثقيل، فأخذ والدي الكأس الزجاجيّة الأقصر، المملوءة بمشروب العنبر، أمّا أنا فاخترت الكأس الطويلة المليئة بشراب فوّار، ارتشفت منها، إنّه مجرّد عصير تفّاح فوّار لكنّه لذيذ، يحرّك والدي جبينه الإمبراطوريّ وكأنّه يعقده بشكل لطيف (قاصدًا المزاح)، فقلت على سبيل التوضيح: "عصير التفّاح الفوّار، إنّه الطريق إلى قلبي وهو كأيّ عصير مليء بالسكّريّات"، أمّا الطريق الثانية فهي العناق، الكثير والكثير من العناق.

ارتشف من شراب العنبر، وقال: "لا أعتقد أنّ هذا العصير كان من بين مشروباتك المفضّلة"، هذا صحيح، لكنّني ذكرت العديد من الحلويات التي كنت أعتقد أنّه تربطني علاقات رائعة بها، وحدّق والدي إلى الشراب الذي في كأسه متجهّمًا وبدا حزينًا وشبه بائس، وقال: "على الرجل ألّا يقرأ لائحة الأشياء التي يحبّها طفله على الورق"، فتساءلت إذا كان غاضبًا من والدتي، وأردف: "أفضّل سماع إجاباتك منك على أن أقرأها، فلتخبريني إذًا بهواياتك؟".

هل أعتبر مشاهدة برنامج "ربّات البيوت الحقيقيّات (ريل هاوس وايفز) واحدة من هواياتي؟ لكنّني أجبته: "لقد انخرطت ببعض الأشياء، لكن حتّى الآن لم يستهوِني شيء محدّد، باستثناء صنع المعجّنات، فأنا خبّازة ماهرة". إنّ كريما الزبدة وكريما الجبنة النصف مجمّدة التي أصنعها شهيّة جدًا.

قال والدي قاصدًا التوأم: "إنّ ابنتي عمّك، أكيكو ونوريكو، تربّيان ديدان القزّ"، أتذكّر حين قرأت السير الذاتيّة الملكيّة، أنّ هوايات الإناث أدرجت في البدء، وتابع: "بينما تستمتع ساتشيكو بتسلّق الجبال، وقد استاء البلاط من تلك الأميرة التي كانت ترتدي بنطال كارغو غير الرسميّ، فهي عصريّة للغاية". قال ذلك وهو يبتسم ويرتشف من كأسه كما لو كنا نتشارك نكتة خاصّة، ثم سأل: "كيف حال تحصيلك الدراسيّ؟".

أقلّ من المتوسط في أحسن الأحوال، لكنّ والدي هو وليّ العهد، لذا جمّلت الحقيقة قليلًا، وأجبته: "عظيمة" جيّد جدًّا، فقد تمكّنت من الحصول على قبول من كلّيتين مجتمعيّتين وجامعة حكوميّة واحدة. بعد الإجابة شربت عصير التفاح لأتفادى الدخول في التفاصيل.

حرّك والدي الشراب في كأسه وتابع طرح أسئلته:

"هل تحافظين على غرفتك نظيفة؟".

قد تسبّب غرفتي التوتّر حتى في الأحلام الأكثرورديّة بالنظر إلى كثرة انتشار القمامة فيها، لكنّني أجبته: "إنّني شخص منظّم ومرتّب جدًّا على ما أعتقد".

قادتني جميع أسئلته إلى نتيجة واحدة، وهي أنّني لست مميّزة بشكل واضح.

تأمّلني للحظة ثم قال مفتخرًا: "أنتِ تشبهينني، فقد كنت منظّمًا للغاية عندما كنت شابًّا"، لحظتها أدركت كم أنّني توّاقة إلى أن أعرف المزيد عنه أيضًا، وجاشت في نفسي الأسئلة، كيف بدا والدي في شبابه؟ هل وقع في مشكلة؟ *من فضلك كن متورطًا في مشكلة من قبل*، لكنّه وقبل أن أتمكّن من السؤال عن كلّ هذا يسأل متردّدًا: "ماذا عن والدتك؟ كيف حالها؟".

أنقّل الكأس بين يدي، وأجيب: " إنها جيّدة، لا تزال عزباء"، تلمع حينها عيناي لكنّه لا يبدي أيّ ردّ فعل، أعتقد أنّ خطّتي في اتّباع حيلة إعادة الاتّصال بين الأبوين الكلاسيكيّة لن تنجح، سأعترف بذلك، لقد كان لديّ أمل ضئيل، أشبه

بفكرة مستحبّة، من أجل لمّ شمل والديّ وجعلهما يقعان في حبّ بعضهما بجنون مرّة أخرى ثمّ يتزوجان، فبإمكان الفتيات أن يحلمن.

سألني والدي: "أما زالت تملك مجموعة من الأكواب؟".

قلت بحرارة: "أجل، كما أنّ المفضّل لديها هو الذي كتب عليه *"صاحب القوّة لا يؤمن بك أيضًا"*.

فيسألني: "ماذا عن ذلك الكوب الذي كتب عليه: *"أنا مغرم بالنباتات؟"*.

"كلا، لقد كسرته لها عندما كنت في السابعة من عمري"، أتذكّر ذلك بكل تفاصيله، فقد أعدّت لي كوبًا من الشوكولاتة الساخنة، وبينما كنت أحمل الكوب، أحرق الجزء الخارجيّ منه يدي فأسقطته، وأتذكّر أنّها بكت حينها ودعت نفسها بالخرقاء.

قال: "أنا من أهديتها إيّاه"، استرخى في وقفته وتابع: "أتذكّر أنّها ضحكت بشكل هستيريّ".

صمتَ لبرهة، فأدركتُ سبب ردّ فعلها في ذلك الحين، فقد ربطها هذا الكوب بحياة أخرى، فقد ربطها بأبي.

تابع والدي: "إنّها معلمة، أليس كذلك؟".

أجبته: "نعم، إنّ أمّي تقلّل من قيمة نفسها كثيرًا بعملها هذا، فأنت تعرف ذلك الاقتباس الذي يقول: *تلك الأشياء التي لا تستطيع أن تفعلها، درّسها*؟".

قال: "ليس اقتباسًا مألوفًا، ولكنّني فهمت ما ترمين إليه".

قلت بحماسة: "طلّابها يحبّونها، وأعضاء الهيئة التدريسيّة مهووسون بها، لقد أنجزتْ الكثير من الأشياء الرائعة".

عقّب: "وقد أنجبتك وربّتك".

انتظر والدي إلى أن أتمكّن من استيعاب جملته، إن استيعابي بطيء ولكن عندما أبدأ تتدفّق الحماسة من أصابع قدميّ إلى أذنيّ، ثم ضرب كأسه بكأسي، حسنًا سأشرب نخب ذلك.

ثـم قـال: "أرادت دائمًـا أن تمـتهن التـدريس"، وقـد بـدت نـبرة صـوته هادئـة تجاهها، وكأنّه قد أرسل ومضة من التقدير والاحترام، ثم خيّم الحزن على ملامح وجهه، وسألني: "هل أنت... أقصد هل حظيت بطفولة سعيدة؟".

أجبته بتلقائيّة: "أجل، الأفضل"، وبدأت بقصّ قصص طفولتي المفضّلة، مثل ذلك الوقت الذي حاولت فيه أن ألفّ تماغوشي وأضعه في حقـل مـن الزهـور، مـن أجل أن التقط صورًا كصور حديثي الولادة، وكاد أن يعضّ وجهي، أو الوقت الـذي ارتديت فيه ملابس أشبه بملابـس قرصـان لمـدّة عـام تقريبًا في المدرسـة الابتدائيّـة، ودائمًا كانت والدتي موجودة في هذه القصص، تمظف أسناني في كـلّ صـباح، وتعـدّ الأطباق بالليمون الحامض، حتى لا أصاب بداء الإسقربوط، وكما تعلم، فقد كانت أيّامًا رائعة، كمـا أنّني أخبرتـه عـن أصـدقائي، وكيـف تتمتّـع نـورا بمهـارات القائـد الحقيقيّ، وكـم أنّ هانسـاني عدائيّـة بشـكل لطيـف وكيـف يمكـن لغلـوري أن تكـون قويّة.

وبالطبع، استبعدت التحدّث عن العيش في بلدة مع أعلام الكونفدراليّة وأعلام قوس قزح، ولـم أحكِ لـه عـن صـندوق بطاقـات معايـدة عيـد الأب التـي بـلا عنـوان والموجودة بالقرب من مخبأ الروايات الرومانسيّة.

تنهّد بصوت مسموع، ثـم وضـع يـده في جيبـه. وقـال: "كانـت حياتـك مختلفـة بشكل كامل لو نشأت هنا".

سألته: "كيف ذلك؟".

فأجابني: "حسنًا، في البداية، ستمتلكين اسمين، اسـم رسـميّ ينتهـي بــ نوميـا"، ويوضح ردًّا على نظراتي المتسائلة: "هذا يعني فرد من أفراد الأسـرة الإمبراطوريّـة". أجل هذا صحيح فاسـمه هـو هيرونوميـا، "واسـم شخصـيّ، بعـد أن يضـع البـاحثون قائمة بالخيارات لهذا الاسم، وأختـار الاسـم ثـمّ أرسـل الخيـارين إلـى الإمبراطـور للموافقة عليهما بالطبع".

قلت: "بالطبع".

قال والدي: "كان الإمبراطور سيكتب أسماءك المباركة على ورق الواشي ويضعها في صندوق من خشب السرو الذي يوجد عليه شعار الأقحوانة الذهبيّة". تظهر في هذه اللحظات يراعات ترقص فوق الماء في دوائر متّحدة المركز ويكمل بصوت منخفض ودافئ: "يرسل هذا الصندوق إلى القصر ثمّ إلى المستشفى ويوضع على وسادتك بجوار رأسك تمامًا، وبعد مراسم التسمية هذه يجب أن تستحمي في حوض من خشب الأرز".

علّقت: "هذا يبدو جميلًا".

حرّك الشراب في كأسه وقال: "كان سيتمّ اختيار رمز مزهر من أجلك".

عندها بدأت أنفاسي تشكّل سحابات صغيرة نتيجة البرد، وتوقّفت الألعاب الناريّة، ومع ذلك، فأنا لست مستعدّة بعد للعودة إلى الداخل، سألني: "ماذا كنت ستختارين؟" توسّعت عيناي وانشرح صدري، فأنا أريد لعلاقتنا هذه أن تنجح بشدّة، أريد أن تكون حياتي مختلفة وأفضل، وأريد أن تكون مكتملة وتصبح أشبه بملحمة بطوليّة.

قلت: "كنت سأختار السوسن الأرجوانيّ".

المزهريّة في غرفتي، وزهرة السوسن الوحيدة، لقد فكّر فيّ، إنّه يهتمّ لأمري، دمعت عيناي ورمشتا كي لا تسيل الدموع منهما، وإذا سألني عن سبب دموعي، كنت سأقول له إنّها بسبب النسيم.

وأكمل: "إنّها ترمز إلى النقاء والحكمة".

مشاعري تتعاظم، ولأنّني لا أجيد إخفاءها قلت: "قالت أمّي إنّها لم تخبرك لأنّها كانت تعلم أنّك لن تغادر اليابان، وأنك إن غادرتها فستكون مثل شجرة من دون شمس". *وعلى ما أعتقد أنّها لم تكن تريد الحياة الملكيّة أيضًا*، وبذلك أدّى طريقهما المسدود إلى الانفصال، الذي كان الحلّ الوحيد، وأنا أتفهّم ذلك، لكن لا يزال من الصعب قبوله.

أومأ إليّ برأسه: "إنّ واجباتي هي تجاه اليابان".

هززت رأسي بقوّة، لقد فهمت، فقد شاهدت جميع أفلام الرجل العنكبوت وذلك بفضل غلوري، فهي مهووسة بعالم مارفل: "القوّة والمسؤوليّة وكلّ تلك الأمور".

بعثرت الرياح شعره وشرب ما تبقى من كأسه وقال: "لم أكن أنوي العيش بشكل دائم في أميركا، لأنّه لم يكن خيارًا متاحًا أمامي".

أومأت إليه برأسي وازدردت لعابي، فإذا لم أسهب في الحديث فلن تكون كلماته مؤلمة كثيرًا، فيحرّك الكأس الفارغة بين يديه ويتحسّس حافّتها بإبهامه ويقول: "لكن لو كنت أعلم أنّ لديّ ابنة، لكنت وجدت حلًّا"، وأخذ يتفحّصني وينتظر حتّى أرفع عينيّ لتلتقيا بعينيه، وأكمل: "كنت لأسبح عبر المحيطات وأتسلّق الجبال، وأعبر الصحاري، ولا يهمّ كيف، كنت سأجد طريقة".

هدأ الألم في معدتي بعد سماعي لهذا، وازداد الأمل في داخلي، حسنًا الآن، فهذا شيء جيّد، وإنّه أكثر من مجرّد انطلاقة.

إنّها *بداية جيّدة*.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الثامن

قالوا لي إنّه تجمّع صغير، عشاء احتفاليّ على شرفك، بحضور العائلة فقط، وإنّه ليس بالأمر الجلل، لكن بعدها قالوا: "ألم نذكر مسبقًا الجزء المتعلق بمقابلة الصحافة؟ ووجود قارعي أجراس؟ وماذا عن الحفلة الموسيقيّة القصيرة لأوركسترا القصر الإمبراطوريّ؟ ألم نذكر ذلك؟ كلا؟ نتأسّف لذلك، إنّه خطؤنا.

بدأت الأمسية الهادئة بصخب غير هادئ بتاتًا، بعبارة أخرى، بدأ حفل الاستقبال الترحيبيّ الصاخب، وقد سبّب هذا الاحتفال الصاخب صدمة لحواسّي بعد الجولة الهادئة مع والدي. لقد حدّق إليّ مراسل من مجموعة الصحافة الإمبراطوريّة، أظهرت شارته الصحفيّة أنّ اسمه شيجيسادا إنادا، الجريدة اليابانيّة الرسميّة، إنّ أسئلته حتّى الآن أسئلة بسيطة وغير مؤذية، سألني أسئلة من قبيل: "ما هو لونك المفضّل؟"، فكان من الغريب أنّ أيًّا من الصحفيّين لم يحمل دفتر ملاحظات أو أجهزة تسجيل، وعلاوة على ذلك، كانوا جميعهم رجالًا.

أعتقد أنّ لوني المفضّل هو الأحمر كلون دماء أعدائي، في الحقيقة: أشعر وكأنّني مخمورة قليلًا وببعض الدوار والنعس أيضًا، فأجيبه بهدوء: "لوني المفضّل هو الأزرق".

وقف السيّد فوتشيجامي بالقرب منّي، للتصحيح إن أخطأت، فإنّه يحوم حولي، إنّه عصبيّ أكثر من تماغوشي عندما يكون في غرفة تصدح بأصوات المكانس الكهربائيّة، وعندما أجيب بالشكل الذي يرضيه، يصدر صوتًا لطيفًا من حلقه، وقد تمكّنت من إحصاء خمسة أصوات من هذه الأصوات اللطيفة التي صدرت منه حتّى الآن. انحنى المراسل قبل أن يغادر وشكرني من دون سبب، كما

أرى في الطرف المقابل أحد المراسلين يجري مقابلة مع والدي. إنّ أكيو هنا أيضًا، يتجوّل في القاعة ويتابع الجميع مثل لوحة قوطيّة.

ألتفتّ إلى السيّد فوتشيجامي وبمجرّد أن أصبحنا على انفراد سألته: "هل أوشكنا على الانتهاء؟ إنّني متعبة جدًّا، وبإمكاني أن أشمّ رائحة الألوان، ربما الكوكايين هو السبب"، لكنّه ينظر إليّ بجمود بعينيه الجاحظتين ولا يتفاعل معي، فقلت له: "إنّها مجرّد نكتة! فأنا أمزح". أنا الشخص الوحيد الذي تُضحكه هذه النكتة بالطبع، لكن لو كنّا في مدينة جبل شاستا لأتت هذه المزحة بثمارها، فقد ضحكت نورا ذات مرّة بشدّة على إحدى نكاتي إلى أن خرج الحليب الذي كانت تشربه من أنفها، إنّها قصّة حقيقيّة.

قال السيّد فوتشيجامي مطمئنًا: "يجب أن يرنّ جرس العشاء قريبًا، وعادة ما تستمتع العائلة بالمشروبات في صالة الاستقبال بعد ذلك، لكنّك لست مجبرة على البقاء من أجل ذلك".

أرى حقيبة بخلفيّة من حراشف السمك في الزاوية، إنّها أنيقة وطويلة وتتلاءم مع المكان أكثر منّي، إنّنا في قاعة استقبال ذات سجّادة خضراء اللون تحدّها أرضيّة خشبية ملمّعة وجدران خشبيّة باللون نفسه، إنّها أنيقة وذات تهوية جيّدة، صحيح أنّها جزء من قصر توغو ولكنّها مفصولة بسلسلة من ستائر شوجي اليابانيّة المتحرّكة عمّا يليها، فلا يُسمح للصحافة أو لقارعي الأجراس أو الأوركسترا بتجاوز هذا الموقع. تقع غرفتي على بعد مسير ثلاث دقائق على الأقدام، وعلى كلّ حال إذا ما استمررت في التفكير كثيرًا في السرير سوف أنام، لذلك يتوجّب عليّ أن أغيّر الموضوع وألهي تفكيري، فقلت للسيّد فوتشيجامي: "لقد كان الصحفيّون لطفاء جدًّا".

بدا السيد فوشيجامي مندهشًا وقال: " بالتأكيد كانوا لطفاء، فهم أعضاء في فريق الصحافة الإمبراطوريّة وقد اختارهم البلاط الإمبراطوريّ".

احمرّ خدّاي من شدّة الإحراج، فقد تهت في وسط متاهة والطريقة لإيجاد طريقي للخروج منها تكمن في دوّامة من البروتوكولات، والتقاليد والقواعد الملكيّة

التي لم أتمكّن من إمساك خيط حلّ لغزها الأوّل، أخفيت توتّري، ومنعته من الظهور، سأرى ما سأفعله حيال هذا لاحقًا، فقد ساعدتني المماطلة بشكل جيّد في الماضي، إنّ مهمّتي هي أن أنجو وأتجاوز هذه الليلة بنجاح، ولكن للأسف، فهي مشؤومة كما تبدو.

رنّ جرس العشاء، وتفرّق الحضور وتلاشى ضجيج المراسلين وقارعي الأجراس وهم يخرجون من الباب.

"من هنا"، قادني السيّد فوتشيجامي إلى غرفة الطعام الرسميّة، وصلنا إلى طاولة طعام طويلة ومغطّاة ببياضات فاخرة وفضّيات لامعة، سحبت لي خادمة ترتدي قفّازين أبيضين كرسيًّا، أحزن عندما أكتشف أين سأجلس، فأقول: "ألا يمكنني الجلوس بجوار والدي؟"، وأرفع رأسي لألقي نظرة على السيّد فوتشيجامي.

هزّ رأسه وقال: "كلا، نظرنا بعناية إلى أماكن الجلوس، فقد وضعناك بجوار عائلتك الكبيرة، بهذه الطريقة سيكون لديك الوقت الكافي لتقضي وقتًا متساويًا مع كلّ فرد"، يتوقّف لحظة ليختار كلماته التالية بعناية، ويقول: "بصفتك ابنة وليّ العهد، فإنّه من المهمّ أن تُولي انتباهك لكلّ منهم، ويجب ألا تفضّلي أيًّا منهم على الآخر".

قال فتى بعمري تقريبًا وهو يقفز إلى الكرسي بجانبي: "لا تقلقي سنعتني بك دائمًا"، فابتسم السيّد فوشيجامي ابتسامة جافّة له وقال: "آه، أوجي سما، لم أرك منذ عدت"، لكزني الصبيّ وغمز قائلًا: "الترجمة: عدت إلى المنزل وأنا أجرّ أذيال خيبتي".

قال السيّد فوتشيجامي: "بغضّ النظر عن ذلك أوجي ساما، تسعدنا عودتك إلى المنزل، مرحبًا بعودتك، واستميحك عذرًا يجب أن أنصرف"، استدار صوبي وقال وهو ينحني انحناءة خفيفة: "أوهيمي ساما، أتركك الآن بين أيدٍ أمينة". بعدها ذهب وجلس إلى طاولة منفصلة مع ماريكو والعديد من الحرّاس، ولم يكن أكيو معهم، لا شكّ في أنّه يختبئ في مكان ما في القصر.

قال أوجي: "حمدًا لله، ظننته لن يغادر، ففي كلّ مرّة أرى ذلك الرجل أشعر كما لو أنّني استدعيت شبحًا، فهو بارد ومخيف في كلّ الأوقات، ويضحك عليّ في وجهي كما رأيت، ولكن لا تستطيع العائلة أن تعيش من دون هؤلاء، فهم لا يستطيعون العيش من دون البلاط الإمبراطوريّ والطهاة الشخصيّين، هل تفهمين ما أقصد؟ كيتاي"، مدّ يده لأصافحه ومددت بدوري يدي، وقال: "ابن عمّك من الدرجة الثانية، السابع في الترتيب لأصبح إمبراطورًا، أنا ابن إيكو ونوريهيتو".

وجلس قبالتي من جهة اليسار رجل وامرأة صغيران ولطيفا المظهر، يثقل عنق المرأة النحيل عقد ثمين جدًّا، ابتسامتهما دافئة، وإن كانت متخوّفة بعض الشيء، أفهم الآن، فعلى ما يبدو أنّني لست الشخص الوحيد الذي يحاول التعامل مع حالة الابنة غير الشرعيّة لوليّ العهد.

قالت العمّة إيكو: "يجب أن تنادينا بالعمّ والعمّة من فضلك"، ليكرّر نوريهيتو كلام زوجته اللطيف، ولأكون صريحة أنا أقدّر الرجل الذي يدعم المرأة التي تشاركه حياته.

أخرج كيتاي منديله ووضعه في حضنه وهو يقول: "أنا أعلم بما تفكّرين". عندها سقطت خصلة من شعره على عينه، عمومًا إنّه يبدو مثل نجم جي-بوب وقد وقع من باب مسحور ليصبح فردًا من العائلة الملكيّة، وأكمل: "وأنت محقّة، في الماضي كانوا يزوّجون أبناء العم لبنات العمّ، ولكن في هذه الأيّام لم يعد الأمر محبّذًا"، وزمّ شفته السفلى.

قلت وأنا أقلّد ما فعله بالمنديل: "شيء مؤسف"، ليملأ خادم آخر يرتدي قفّازين أبيضين ويحمل إبريقًا من الفضّة كأس الماء الخاصة بي.

تخلّى عن تجهّمه، واستبدله بابتسامة قائلًا: "أوه، ستبلين بلاء حسنًا، وأنا معجب بك".

إنّني معجبة به أيضًا، إعجاب أفلاطونيّ بابن عمّي بكلّ تأكيد ولا يتضمّن أيّ قبلات أبدًا، لا أعتقد أنّني بحاجة إلى توضيح ذلك، فهو يذكّرني قليلًا بنورا،

فكلاهما يمتلكان النهج ذاته والمتمثّل بتجربة كلّ شيء في الحياة والاستمتاع به، وهو أمر أطمح إليه.

"إنّك تحرجها" أنّبت الفتاة التي تجلس قبالتي كيتاي، تملك تلك الفتاة وجهًا بيضويًّا صغيرًا وشعرًا داكنًا نصفه مثبت إلى الأعلى، ويلمع سوار برّاق من الألماس حول معصمها الأيسر وهي ترتشف رشفة من الماء، وقالت وهي تقدّم نفسها: "لا تنصتي إلى أخي، أنا ساتشيكو". ثم تقدّم الرجل الجالس بالقرب منها: "هذا خطيبي، ريو" الذي أوقف محادثته مع شخص ما لفترة وجيزة، كانت كافية ليلوّح لي بيده.

قال كيتاي: "لا تقلقي يا ساتشي"، والتفت إليّ ليكمل كلامه: "لقد قرّرت أن أضعك تحت يدي". يستغرق الأمر منّي خمس ثوانٍ لأفهم مغزى رسالته، وصحّحت له: "أنا متأكّدة من أنّك تقصد أنّك ستضعني تحت جناحك".

سألني: "لماذا جناح؟".

تنفّس بعمق، سعيدة أن أوضح كلامه، فأخيرًا، هناك شيء أعرفه: "إنّهم يقولون: أضعك تحت جناحي".

بدا مستاءً، وقال: "لمَ أقول هذا؟ فليس لديّ أجنحة".

أجبته: "إنّ المصطلح لا يتكلّم عن البشر"، ليتذمّر حينها الرجل الذي يجلس إلى جانبي ويقول: "يا إلهي"، هذا الرجل يشبه كيتاي كثيرًا، لا بدّ أنّه أخوه، لكن شعره أقصر وظهره أكثر استقامة ويبدو أنّه يجلس متماسكًا جدًّا، ولا بدّ من أنّ هذا ناتج عن وسواس قهريّ بعض الشيء وذلك يتّضح من الطريقة التي يعدّل فيها موضع الأواني الفضّية أمامه، ويكمل: "من الواضح أنّ أصل هذه العبارة يأتي من مراقبة الطيور عندما تحمي صغارها تحت أجنحتها".

أكّد كيتاي شكوكي عندما قال: "لقد أمضى أخي أربع سنوات في إسكتلندا يدرس علم الطيور واللغويّات، فإن عانيت ذات يوم من مشكلة في النوم، اسأليه عن أطروحته عن تربية الطيهوج الأسود ووضعه في الأسر".

ضحكت ساشيكو، وبدا أخوهما غير سعيد بهذا الكلام، ومع ذلك، مدّ يده بغضب ليحييني، وقال في أثناء مصافحتنا: "أنا ماساهيتو"، لقد بدت عداوتهم مألوفة ومريحة، يجعلني أشعر كما لو أنّني أجلس مع أصدقاء قدماء.

سألني العم نوريهيتو: "هل تجدين غرفتك جيّدة؟".

أجبته: أكثر من جيّدة". عندها قدّم لي أحد الخدم منشفة ساخنة، وبنظرة سريعة على كيتاي أجد أنّه قد أخذ منشفته ومسح يديه بها، ليرميها بعد ذلك في وعاء من الفضّة يحمله خادم آخر خلفه، فأمسكت بالمنشفة من طرفها.

قالت العمّة إيكو: "لقد جُدّد هذا القصر حديثًا".

"أوه أجل، إنّه أشبه بمنازل الأحلام التي يصمّمها نيت بيركوس"، ثمّ ألتفتّ ووضعت منشفتي المستعملة في الوعاء الفضّيّ، وهمست بالشكر للخادم لكنّه لم ينتبه إلى ما قلته، فنظرته مثبّتة على مكان ما على الحائط.

تجعّد جبين العم نوريهيتو، فقد أربكتُ الرجل المسكين، ليسأل: "من هو نيت بيركوس؟".

ابتسمت ابتسامة مشرقة، وقلت: "إنّه مصمّم داخليّ مشهور في الولايات المتّحدة، أفضل صديق لأوبرا".

لمعت عينا العمّة إيكو، وقالت: "آه حسنًا، إنّه مثل شوجي ماتسوري، الذي يصمّم منازل القطط"، ولكزت زوجها وأكملت: "أتتذكّر، فقد صمّم شيئًا لي، هل تريدني أن أعطيك معلومات الاتّصال الخاصّة به؟"، ثم ينخفض صوتها ليصبح أشبه بالهمس: "إنّه رصين جدًا".

لست متأكّدة تمامًا ممّا عنته، ولكن من الأفضل أن تبقى بعض الأشياء غير معروفة، أجبت العمّة: "لا، شكرًا لك، فأنا فتاة تحبّ الكلاب".

لفت كيتاي انتباهي: "لديها قطّة وارهول أصليّة في ذلك المنزل"، قال ذلك وحرّك عينيه تلك الحركة الساخرة.

هدأ الحديث، ووُضع وعاء من الحساء شبه الصافي أمامي، تطفو فوقه

خضروات مقطّعة حول ورقة ذهبيّة مغطّاة بكافيار، أربكتني كثرة الأواني والملاعق فارتجفت أصابعي، فشعرت كما لو أنّ الشوك والسكاكين والملاعق جميعها تسخر منّي وكأنّها تقول: "مرحبا، يا فتاة، أنت لا تعرفين كيف تستخدمين أيًّا منا، أليس كذلك؟" فأنا سمكة خارج الماء أو بالأحرى فتاة خارج جبل شاستا.

هدأت أعصابي وصفّرت معدتي في الوقت ذاته، وعندما لاحظ أفراد العائلة تردّدي نظرت بعيدًا، وأنا أشعر وكأنّني نملة تحت عدسة مكبّرة.

جلست فتاتان في نهاية الطاولة، بالقرب من والدي، إنّهما التوأم، لابدّ أنّهما أكيكو ونوريكو الساحرتان في البلاط الإمبراطوريّ، أنا أرى السبب الآن وهو أنّهما ملفتتان للنظر، وجميلتان بوجهين بيضويين وشفاه زهريّة، وهما متشابهتان ومثاليّتان بشكل يلقي الرهبة في النفس بعض الشيء، كما لو أنّهما خرجتا كاملتين من إحدى شرانق الحرير، والدهما هو شقيق أبي والثاني في الترتيب لوراثة العرش، وقد جلس في نهاية الطاولة أيضًا مع زوجته، والتي على الرغم من أنّها ترتدي ملابس أنيقة، بدا وجهها متشنّجًا وشاحبًا كما بدت منعزلة وهي تختار طعامها. لفت التوأم انتباهي، فقد كانتا تنظران إليّ بغضب وتمعنان النظر إليّ طوال الوقت، وقد أخذتا تهمسان من خلف أيديهما.

أنا أعلم أنّه لا أحد يقول أيّ شيء جيّد من خلف يديه.

أشعر بركبة تصطدم بركبتي من تحت الطاولة، إنّه كيتاي الذي يرفع بشكل متعمّد الملعقة الرابعة من اليمين، ويقول لي بصمت: "تحت يدي".

ابتسم له، بينما أعد نفسي أن أسمّي ابني البكر كيتاي، وأجلس بشكل مستقيم وأنا لا أعلم لماذا لم أبدأ بتناول الطعام حتّى الآن، فأقول للطعام بينما أضع الملعقة في الوعاء: "فلتدخل إلى معدتي"، وفي الجهة المقابلة من الطاولة أرى ساشيكو تغمز لي، وأتواصل بصريًّا مع والدي، الذي يبدو قلقًا وينظر إليّ كما لو أنّه يسأل: "هل كلّ شيء على ما يرام؟" لأجيبه بإيماءة أنّ كلّ شيء بخير، وقد استخدمت إيماءة الأميرة وهي إشارة بالإبهام تدلّ على أنّ الأمور بخير.

كلّ شيء جيّد، فقد هدأت الأجواء في الغرفة، وعلى هذا المنوال سارت الأمور.

بدا الأمر كما لو أنّني أحلّ معادلات التفاضل والتكامل وأنّ أبناء أعمامي من الدرجة الثانية يأخذون دور المعلّمين الصبورين، فهم يوضحون لي مع كلّ طبق جديد من أجل ماذا وكيف أستخدم كلّ إناء، لينتهي العشاء ويبدأ تقديم طعام المطبخ الفرنسيّ الراقي، من الأطعمة الهلاميّة وذات الرغوة والبودرة، خلال الاستراحة بين تقديم الأطباق، يدور الحديث حول الإمبراطور والإمبراطورة اللذين يزوران محافظة أوكيناوا.

أسأل ابن عمي: "ألا تراهما كثيرًا في العادة؟"

يتفحّص ماساهيتو زجاج نظارته ويمسح البقع بمنديله قبل أن يجيب: "إنّ الواجب الأوّل لجلالتهما الإمبراطوريّة هو تجاه الشعب".

أمّا كيتاي فقال: "نعم، إنّهما الأم والأب لكلّ اليابانيين"، ثم يخفض صوته ليقول هامسًا: "إنّ الإمبراطور ليس إلهًا، لكنّه ليس رجلًا أيضًا، وقد يعيش على الأرض لكنّه لا يزال يعيش فوق السحاب".

بعد ذلك، قُدّمت التحلية وهي فاكهة على شكل زهرة السوسن، صنعت خصيصًا من أجلي، رسالة ترحيب أخرى، أستمتع بها، ولكن هناك شيء مظلم حولها، ربما هو الشكّ في النفس، فهذه اللحظة عابرة، وأنا أدرك ذلك منذ البداية، ولم أكن لأنجح لولا نعمة تواجد أبناء عمّي حولي.

قدِّمت مشروبات ما بعد العشاء في صالة الاستقبال، فغادرنا الطاولة، وأخيرًا هذه إشارتي، فقد أتاني ملاك النوم، إنّ النوم الجميل على بعد لحظات فقط، تمنّيت لوالدي ليلة سعيدة، بينما كان الأعمام والعمّات وأبناؤهم يراقبونني أغادر، لا يسعني سوى أن أشعر بثقل نظراتهم من خلفي وبمخاوفهم، فهم يسألونني السؤال نفسه الذي أطرحه على نفسي: هل سأرتقي إلى المكانة الإمبراطوريّة؟

ثرثرة طوكيو

تتّجه الأنظار في اليابان إلى الفرد الجديد من العائلة الإمبراطوريّة

---

23 آذار 2021

وصلت صاحبة السموّ الإمبراطوريّ الأميرة إيزومي (التي تظهر هنا) إلى مطار ناريتا الدوليّ بعد ظهر أمس وهي ترتدي لباسًا رياضيًّا غير رسميّ، وبنطالًا ضيّقًا وسترة ثقيلة، وكان المدوّن الإمبراطوريّ جونكو إينوغاشيرا حاضرًا ليقول: "لم تكن الملابس حسب البروتوكول بكلّ تأكيد، والأسوأ من ذلك أنّ الأميرة لم تتكلّم أو تلقي التحيّة على الحشود، فقد انتظر الكثير من الناس لساعات وأحسّوا بالإهانة تمامًا عندما غادرت على الفور، كما سمعت من أحد موظّفي المطار أنّ الأميرة كانت فظّة مع الحرس الإمبراطوريّ المرافق لها عندما توقّفوا لاستخدام المرحاض".

فهل تركت الأميرة لقبها الجديد يؤثّر عليها؟

بالنسبة لجانيتور تشي إينارو فهو لا يعتقد ذلك، فقد التقى الرجل بالأميرة في أثناء ذهابها إلى المرحاض، وفي مقابلة حصريّة مع جريدة ثرثرة طوكيو، لم يُوجّه إليها السيّد إينارو سوى المديح حيث قال مبتسمًا: "إنّها فتاة جميلة جدًّا، مثال الكياسة، لقد استخدمت منديلي لمسح يديها"، وأخرج قطعة قماش بيضاء مربّعة، وأكمل: "أرغب في أن أحتفظ بها، لكنّ ولدي يريد أن يبيعها بالمزاد، فهو يقول إنّنا سنجني ثروة منها"، وفي الحقيقة إنّها تساوي ثروة بالتأكيد، ففي الوقت الذي كُتب فيه هذا المقال، كان قد عُرض هذا المنديل مقابل 100.000 ين ياباني، إذ يخطّط إينارو أن يستخدم المال لتقاعده.

منذ وصولها إلى المطار، كانت الأميرة مؤمّنة بشدّة بعدم اتّباع البروتوكول الإمبراطوريّ، وقد رفض البلاط الإمبراطوريّ التعليق على حالها، ولا يسعنا إلّا أن نتساءل لماذا يتمّ إخفاء هذه الأميرة...

الفصل التاسع

مضى على تواجدي في اليابان ثمانٍ وأربعين ساعة ومع ذلك فإنّني لست قريبة حتّى من الوصول إلى الرفعة الإمبراطوريّة، ففي الواقع، توقّف نموي بشكل واضح.

حدّقتُ إلى ماريكو من مكاني، وقد بادلتني بدورها النظرات، بعينيها العسليّتين الباردتين، وقالت: "ركّزي، أوهيمي سما". قالت ذلك بصوت يوحي بأنّني أفعل أيّ شيء باستثناء التركيز، كما أوحت نظرتها بأنني شخص دخيل ولا فائدة منه، وهناك أشخاص آخرون هنا أيضًا، فها هو السيّد فوتشيجامي يبتسم بلطف بينما يقف رئيس الخدم باستقامة وصلابة، إنّه ذو كفاءة ومهذّب بشكل لافت.

تتساقط الأمطار على النوافذ، وأنا أراقب المشهد أمامي من مقعدي، وتنفّست بعمق، فحزام خصري ضيّق قليلًا، وقد أجبرتني ماريكو هذا الصباح على ارتداء تنّورة رسميّة ذات ثنيات.

ألقيت نظرة خاطفة على الطاولة وعلى اختيار كؤوس الكريستال وعلى الأواني الفضّيّة اللامعة والصحن الخزفيّ المرصّع بالأقحوانة الذهبيّة، فاندفعت يدي باتجاه الشوكة الثانية إلى يساري، ليصدر السيّد فوتشيجامي صوت تنفّس غريب من بين أسنانه، كان السيّد فوشيجامي يرتدي بذلة أنيقة، وشعره مخصّل بخصلات من الشيب ومصفّف بأناقة واتقان.

أبدّل اتجاه يديّ، لتعبس ماريكو.

لو كنّا في *مسلسل دوان تاون آبي*، لكانت ماريكو صديقة ماري، إنّها باردة قليلًا وجدّيّة في تعاملها مع الخطأ، فهي المسؤولة عن دروس آداب السلوك التي

تستغرق ثلاث ساعات في المساء، وقد توصّلت إلى الاستنتاج بأنّها لا تحبّني وذلك بناءً على سلوكها البارد نحوي، فنحن نتدرّب على الانحناء والأساليب المختلفة لقول شكرًا لك، كما يوجد اختيار الملابس الرسميّة والقفّازات الملائمة، ومعلومة سريعة: بصفتي فردًا من أفراد العائلة المالكة، ليس لدي الحقّ في التصويت أو حمل النقود أو امتلاك حسابات على وسائل التواصل الاجتماعيّ.

قالت ماريكو: "لن نتمكّن من التواجد معك في حفل الزفاف". حيث سيتزوّج رئيس الوزراء أداتشي بعد حوالي الأسبوع، ويجب أن أحضر الزفاف، إنّه واجبي الرسميّ الأوّل.

قال السيد فوتشيجامي موافقًا: "أجل، هذا صحيح، فأنت ستجلسين مع والدك، ومن المتوقّع أن تعلمي كلّ هذه الأمور". حسنًا، هذان الشخصان متّفقان تمامًا.

أضافت ماريكو: "لن تتمكّني من الاعتماد على أفراد الأسرة الآخرين ليقدّموا لك الدعم"، لابدّ من أنّها راقبتني في الليلة الأولى التي أمضيتها هنا، في عشاء العائلة عندما أخذني كيتاي تحت "يده"، في الحقيقة لم أرث شيئًا من هذا سوى دمي الملكيّ، وأحتاج إلى من يساعدني خلال سلوك طريقي.

أحاول أن أصل إلى صحن بسكويت السنباي في منتصف الطاولة، وهو نوع من بسكويت الأرز، لا يزال دافئًا وطازجًا فقد خرج لتوّه من الفرن، عندها قالت ماريكو وهي تسحب الصحن عن الطاولة: "لا مزيد من البسكويت"، فغرتُ فاهي من الدهشة عندما رأيت ماريكو تحتجز البسكويت رهينة، لتومئ بعد ذلك إليّ برأسها وتسألني: "والآن أيّ واحدة هي شوكة السمك؟".

حدّقت مرّة أخرى إلى أدوات المائدة، واحترت بين الشوك الصغيرة للغاية والصغيرة والمتوسّطة والكبيرة فبدأت بحذف الاحتمالات، الأداة الإضافيّة الصغيرة جدًّا عبارة عن شوكة المحار، أما الحجم الأكبر منها فهي شوكة السلطة، وهذا يترك خيار الشوكتين المتوسّطة الحجم والكبيرة، إنّ الاحتمال هو النصف

بالنصف، لكن في لحظة وضوح شديد، خطرت الإجابة في بالي فأرفع الشوكة بفخر وأقول: "هذه".

قطّبت ماريكو حاجبيها، وسألتني: "هل أنت متأكّدة؟".

أجبتها بسؤال: "هل أنا متأكّدة؟" كما لو أنّني أستغرب السؤال.

فردّت قائلة: "أنت محقّة". ولم تبدُ سعيدة، لكنّها أعادت بسكويت السنباي إلى الطاولة.

سعل السيّد فوتشيجامي، وخطا إلى الأمام ثمّ قال: "ربما ينبغي لنا ممارسة اليابانيّة" وتابع بعدها: "هاجيماشيتي؟".

عقدت ماريكو ذراعيها، فمن الواضح أنّها مستعدّة للاستمتاع بالعرض، بينما يزيل رئيس الخدم أدوات المائدة عن الطاولة.

انتقلنا الآن من آداب المائدة إلى تعلّم لغة ثانية، ولكنني هززت رأسي بقوّة، فبالإضافة إلى خضوعي لدورة مكثّفة في الثقافة والآداب والسلوك، ها أنا أتعلّم لغة ثانية، ابتداءً من تعلّم أبجدية الهيراغانا والكاتاكانا وحفظ العبارات الشائعة، مثل: "جينكي ديسو"، والتي تعني "أنا بخير"، وهي إجابة مثالية على سؤاله السابق الذي يعني "كيف حالك؟"، وفي الحقيقة كان الأمر أشبه بالتعرّف إلى تصريف الأفعال وإتقان الأحرف الصوتيّة ولفظها للإقلاع في تعلّم اللغة. فاليابانيّة لغة هرميّة، كما أنّ هناك مستويات مختلفة من الشكليّات تعتمد جميعها على المتحدّث وعلاقته بالشخص الذي يحدّثه، فقد بدأنا بالأساسيّات، مستغنين عن الألقاب في الوقت الحالي.

أومأ السيّد فوتشيجامي إليّ برأسه موافقًا: "يوي، يوي". وأشار إلى الطاولة، حيث يوجد إلى جانب بسكويت السنباي طبق فواكه مجفّفة ومجموعة من المكسّرات، وقال: "ناني كا مسياغاريماسو كا"

أملت رأسي وفكّرت جاهدة، وقلت: "آنو..."وهي كلمة لإضاعة وقت الصمت باليابانيّة، ما يعادل قول "أمم"، كلمة عبقريّة، وكثيرًا ما أستخدمها.

أشـفق السـيّد فوتشـيجامي علـيّ، وكـرّر: "نـاني كـا مسياغاريماسـو كـا؟" تعنـي أترغبين في تناول شيء؟".

تحمّست وأجبته: "هاي، مانكو جي أوسيشو ديسو ني" أطلب بعض المـانجو، ولكـن يتغيّـر لـون وجـه السـيّد فوتشـيجامي ويصـبح أحمـر مثـل لـون الطمـاطم، ولا ينظـر إلـى عينـيّ، كمـا تختنـق مـاريكو، ويسـقط الخـادم كأسًـا مصـنوعة مـن الكريستال، فلا تنكسر ولكنّها تصطدم بأدوات المائدة لتوقع خزفيّة صينية لا تقدّر بثمن، فسألته منزعجة: "ماذا؟ ما الأمر"، لكنّ السيّد فوتشيجامي لم يستطع أن ينظر إليّ.

فركت ماريكو حاجبها، وقالت: "لقد أخطأت في نطق كلمة مانجو".

فسألتها مستعجبة: "مانجو؟ إنّها تلفظ مـانكو، ألـيس كـذلك؟"، وكرّرتهـا عـدّة مرّات لأعتاد عليها: "مانكو، مانكو، مانكو".

اتّسعت عينا ماريكو متفاجئة وقالت: "توقّفي عن قول هذا".

أمّا السيّد فوتشيجامي فقال ببطء وعناية وهـدوء: "أوهيمـي سـاما"، إنّ النطق الصحيح لها هو مانجو، إنّ الكلمة التي قلتها تشير إلى... "لكنّه توقّـف ولـم يتمكّن من أن ينطق الكلمة التي تشير إليه حتّى، لينظر إلى ماريكو.

فلم تستطع أن تقولها أيضًا، لكنّها تنزل يدها إلى الأسفل، لتشـير إلـى عضـوها التناسليّ.

فقلـت متأسّـفة: "أوه"، وجحظـتْ عينـاي خجـلًا، لقـد غنيّـت للتـوّ للحاجـب الملكيّ والوصيفة الملكيّة: *مهبل، مهبل، مهبل*. "تبًّا"، أشعر بألم مفاجئ في معدتي، وأتمتم: "أعتذر"، فيكون رئيس الخدم قد غادر.

تفقّد السيّد فوتشيجامي ساعته، وقـال: "احتـاج.. أقصـد أنّـه لـدى اجتمـاع"، ألقيت نظرة على الساعة الأثريّة على الحـائط، التي تُحدّد فيهـا حيوانـات الأبـراج الوقت بدلًا من الأرقام، فكان من المقرّر أن يكون لدينا ساعة أخرى إلى أن يحين وقت الغداء مع والدي.

ناديت مرّة أخرى بينما كان السيّد فوتشيجامي على عجل وهو يغادر، وقلت: "متأسّفة"، لا أستطيع أن أجعله ينظر في عينيّ حتّى.

قالت ماريكو فجأة: "انتهينا"، ثم هرولت خلفه.

ابتعدت عن الطاولة وحدي، وخرجت من الغرفة مرورًا بغرفة الجلوس، فرأيت انعكاسي في مرآة سوداء مطليّة بالذهب، لا أزال أبدو بحال جيّدة، فلم يتغيّر مكياجي أبدًا، وكلّ شعرة لا تزال في مكانها، لكن أليس هذا هو حاله دائمًا؟ جميل من الخارج ويسوء ببطء من الداخل؟ قادتني خطواتي إلى المدخل حيث انزلق حذائي لأسقط وأصبح في الخارج، جلست على درجة رخاميّة واحتضنت قدميّ، كئيبة وغير مستقرّة، الهواء بارد كما أنّها تمطر قليلًا لكنّني أبقى جافّة، كوني محميّة تحت سقف الشرفة، فلفتت حركة ما انتباهي، إنّه أكيو، وسيم كالعادة، تبعثر الرياح بلطف شعره الرطب. إنّه يرتدي معطفًا أسود من نوع ما، عمومًا، إنّه يستحقّ أن يكون على غلاف مجلّة فوغ، وعلى كلّ حال، إنّه أمر مزعج جدًّا.

تلاقت نظراتنا، فرأيته عابسًا وحازمًا، فقد نمتُ كثيرًا البارحة، لذلك توجّب إعادة جدولة رحلة كانت مقرّرة إلى محميّة البطّ البرّيّ بالإضافة إلى رحلة صيد سمك لاحقًا، وقد أرسلت ساعة إلى غرفتي بناءً على طلب أكيو. فشبكت ذراعيّ وعبست في وجهه كما يفعل، ليزداد عبوسًا ردًّا على عبوسي، وبتّ متأكّدة تمامًا من أنّه يجمع قوّات ظلام ليقودها ضدّي، وسأعاملك بالمثل يا صديقي، سأعاملك بالمثل.

أبعدت نظراتي عنه، وأخرجت هاتفي من مشدّ الصدر، واستسلمت إلى حاجتي المرضيّة بأن أشارك فضيحتي وإذلالي لذلك راسلت نورا.

أنا: لقد أخطأت في تهجئة كلمةٍ اليوم وأخبرت الحاجب أنّ المهبل يبدو لذيذًا.

انتظرت ردّها، ووضعت الهاتف جانبًا وتساءلت ما الذي تفعله صديقاتي في أثناء غيابي، أتمنّى لو كان في استطاعتي التواصل معهنّ عبر وسائل التواصل الاجتماعيّ من خلال حساباتهنّ الخاصّة، ولكنّ السيّد فوتشيجامي جعلني أحذف

كـلّ حسـاباتي، إنّـه بروتوكـول ملكـيّ، كمـا يوجـد حظـر وسـائط الإعـلام علـى الممتلكات الإمبراطوريّة، فلا يوجد مجلّات ولا جرائد ولا تلفاز.

أخيرًا، أضاء اسم نورا شاشة هاتفي.

نورا: قد يحصل ذلك مع أيّ أحد.

أجبتها: لست متأكّدة من أنّني سأستطيع القيام بذلك.

نورا: لا أوافقك الرأي.

نورا: هل تتذكّرين عندما قالت غلوري إنّه لا يمكنك تناول فطيرة كاملة من بلاك بير، بينما راهنت أنّك ستتمكّنين منها وفي النهاية استطعت فعل ذلك؟

أنا: ماذا تقصدين...

نورا: أقصد أنّني أثق بك.

أنا: أجل بالطبع، لأنّه أن أكون أميرة أمر بسيط مثل تناول الفطيرة.

نورا: ليس كذلك، لكنّك لا تزالين تلك الفتاة الرائعة نفسها، الرجال يكون عند قدميك والنساء يردن أن يكنّ مكانك، وتتساقط الطيور من السماء مذهولة بمجدك.

نورا: هل تشعرين بأنّك بحال أفضل؟

مكتبة
t.me/t_pdf

أنا: نوعًا ما.

نورا: جيّد.

نورا تخفّف عنّي، كما أنّها لم توجّهني بشكل خاطئ من قبل، حسنًا، ما عدا تلك المرّة الوحيدة التي أقنعتني بها بحلق حاجبي ورسمهما.

رنّ هاتفي.

نورا: ما زلت أنتظر صورة الحارس أيضًا.

غلوري: وأنا أيضًا

هانساني: نعم من فضلك.

فقد انضمّت الفتيات إلى الحديث، ولذلك في كلّ مرّة تذكره إحداهنّ، أتفقّد أكيو بشكل سرّيّ من خلفي، إنّه يحدّق إليّ من مسافة ليست بعيدة، ويداه

متشابكتان أمامه، فأحمل هاتفي والتقط صورة له ثمّ أرسلها، يدير رأسه ويقول لي: "ناني وَ ستي ايماسو كا؟ هل التقطت لي صورة للتوّ؟".

أقف وأنفض تنّورتي وأقول: "لا، بالتأكيد لا"، صوتي جدّيّ كما لو أنّني أقول: كما لو كنت سأفعل ذلك، ثمّ تضيء الشاشة، فألقي نظرة سريعة عليها.

نورا: يا إلهي، افعليها معه فورًا.

هانساني: كنت لأغرق معه فورًا.

غلوري: أراهن أنّ رائحته رائعة، ولكنّها نادرة أيضًا، ربما صنع العطر الخاصّ به من دموع النمر. #كولونيا_النمر_الجذّاب

أكتم جميع الرسائل، ويهمهم أكيو، فيا له من رجل شابّ قلّ نظيره، لكن ليس بهذه السرعة، حيث أتذكّر الساعة التي كانت على منضدتي، فشعرت بجسمي يغلي وأنا أسير إلى جانبه، إنّه يقدّم عرضًا حول كيفيّة تفقّده القصر.

وكأنّه لا يراني، فناديته: "أكيو".

أجابني: "أوهيمي سما" إنّه شابّ قاسٍ جدًّا، ورسميّ جدًا.

سألته: "كيف يصبح المرء من الحرس الإمبراطوريّ؟".

تجهّم وجهه وكأنّني طرحت عليه أسوأ سؤال، أو ربّما هذا ما أتمنّاه، فأجابني: "أفضّل أن تناديني بضابط الحماية المباشرة، أعتقد أنّ السيّد فوشيجامي قد أخبرك بمؤهّلاتي".

رددت عليه: "لقد فعل، لكنّها كانت في الغالب أوراق اعتماد للشرطة"، مشيت على الإسمنت على عقبيّ الحساسين وقلت: "هل هناك بعض المدارس الإمبراطوريّة، آسفة، أقصد مدارس لضبّاط الحماية المباشرة التحقت بها؟". اتّسعت عيناي ووضعت يدي على فمي، وأكملت: "هل قتلت أحدهم من قبل؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل أعجبك الأمر؟ أراهن أنّك فعلت ذلك وأراهن أنّه أعجبك". دائمًا ما يخبّئ الأشخاص الصامتون الأقوياء شيئًا ما، فسألته: "قل لي، هل لديك غرفة مقفلة لا يسمح لأحد بالدخول إليها؟".

وقف مستقيمًا ووضع يديه أمام بطنه، وقال: "لا تكوني سخيفة، إنّه قبو، فهناك تحكّم أفضل في درجة الحرارة، من أجل الجثث كما تعلمين".

بدوت متفاجئة وغاضبة في الوقت ذاته وقلت: "إنّه أمر مخيف لأنّني لا أستطيع معرفة إن كنت تمزح أم لا".

تنفّس الصعداء، وتنهّد كما لو أنّ صبره قد نفد.

"أعتقد أنّنا يجب أن نوضح تسلسل القيادة، فهل أنا أشبه رئيسة لك في العمل؟". أرجوك قل أجل.

شعرت بتشنّج فكيه وهو يكتم غيظه، ربما حطّم حدّ أسنانه وهو يشدّ، إن كان الأمر كذلك، فأنا أعرف طبيب أسنان ملكيّ ممتاز، فقد أجرى لي السيّد فوشيجامي بالأمس فحصًا جسديًا كاملًا وفحصًا للأسنان، كما أنّني لم أزل الضمادة بعد فحص الدم، إنّ ما يقولونه في برامج الجريمة صحيح، فإنّ فحص الحمض النوويّ لا يكذب، فأنا ابنة الأمير.

قال أكيو: "إنّ أمنك وسلامتك أمران في غاية الأهمّيّة، يأتيان في المرتبة الأولى".

سألته: "ماذا تقصد؟".

ها قد استرعيت انتباهه بشكل كامل الآن، فأجابني: "من الناحية الفنّيّة أنا رئيسك".

أوه، إنّه متعجرف.

زممت شفتيّ، لا يهمّني هذا مطلقًا، وسألته: "هل أخبرك أحد من قبل أنّ الجاذبية ليست نقطة قوّتك؟".

نفد صبره، وقال: "الجاذبيّة لا تُبقي الملوك على قيد الحياة".

إنّه حسّاس أيضًا، قلت له: "أعتقد أنّنا تعارفنا بشكل خاطئ"، *لقد كُنت متأخّرة لذلك أرسلت ساعة إلى غرفتي، فدعنا ننهِ كلّ هذا*، وسألته: "ما هو فيلمك المفضّل؟".

"لماذا تريدين أن تعرفي ذلك؟". نظراته حادّة، مشبوهة. بدأ المطر بالهطول مرّة أخرى، وتساقطت قطرات المطر الكبيرة على الرصيف.

أجبته: "كلّ ما في الأمر أنّني أعتقد أنّه يجب أن نتعرّف إلى بعضنا أكثر، أنت تخبرني شيئًا عنك، وأنا أخبرك شيئًا عنّي، فأنت تعلم، هذه هي الطريقة التي يُصنع من خلالها الأصدقاء، إنّه ترابط"، *وبعد ذلك، وبمجرّد أن اكتشف كلّ أسرارك ونقاط ضعفك، سأستخدمها لتدميرك، إنّني أمزح، نوعًا ما.*

تشنجّت شفتاه، وجالت عيناه في أرجاء المكان مرّة أخرى، وسادّ الصمت إلى أن قال في النهاية وبحزن: "أنا مغرم بفيلم داي هارد (موت قاسٍ)".

رمشت عيناي مرّتين من الاستغراب: "داي هارد، مثل بروس ويليس عندما يقول: يبيي-كي-فاي، مازر فاكر؟". كنت أعتقد أنّه من محبّي أفلام المختلّين الأميركيّة، التي تعرض أشياء مثل البذلات، وبطاقات العمل، والميل إلى التقيّد بالنظام، وإخفاء الجثث في الخزائن.

تنهّد وأكمل: "لقد عمل والداي كثيرًا، كانا على شاشة التلفاز عندما كنت صغيرًا.."، فتتحرّك معدتي من التعاطف، ثمّ أومأ أكيو إليّ وسأل: "هل انتهينا، أوهيمي سما؟".

بعدها أشار إلى المدخل، إذ سمع شيئًا عبر سمّاعة أذنه، وبدا غاضبًا.

سألته: "هل كلّ شيء على ما يرام؟"، فقال في النهاية: "هناك بعض الجلبة عند البوابة".

سألته متعجّبة: "جلبة؟!".

أجابني: "بعض الصحفيّين الذين يأملون إلقاء نظرة عليك". ازدادت الثرثرة في سمّاعة أذنه، فسألني: "هل أنت مستعدّة للدخول؟ إنّهم يحتاجون إليّ عند البوابة".

أجبته باختصار، إذ بدا الأمر غير ضروريّ لأنّني لا أستطيع رؤية البوّابة من القصر: "بالتأكيد"، من السهل الإذعان إليه عندما لا يكون لديّ خيار سواه، بالإضافة إلى أنّه رئيسي على ما يبدو.

لامس بإصبعين الجزء الخلفيّ من مرفقي، ووجّهني إلى الداخل، فهناك شرارة صغيرة بيننا، أيًّا يكن الأمر لا يهمّني إن بدا الأمر كما لو أنّ ذا روك ودانييل داي كيم أنجبا طفلًا وربّياه في البرّيّة اليابانيّة، فأنا متأكّدة من أنّ هذا الشعور بالانجذاب من طرف واحد فقط، فقد كان لديّ الكثير من الذين أُعجبت بهم من دون أن يبادلوني الإعجاب، فأضيّع وقتي معهم، وبدلًا من ذلك قرّرت أن أركّز كلّ طاقتي على كرهه، والشيء الجيّد أنّ ذلك يجعل الأمر سهلًا.

قلت لأكيو: "خطرت في بالي فكرة".

تمتم: "تسلية خطيرة".

لكنّني تجاهلت تعليقه، فهناك قول مأثور في جبل شاستا مفاده: "لا تطعم الدبب".

سألته: "هل لديّ اسم رمزي؟ أنا متأكّدة من أنّني حصلت على اسم رمزي، أودّ أن أختاره بنفسي".

أبعد أصابعه عن مرفقي وقال: "نعم، في الواقع، لديك اسم رمزي".

قلت: "كنت أعلم ذلك"، وألتفتّ وأنا مليئة بالبهجة، وسألته: "ما هو؟ هل هو سايدويندر أو برق أو ربما بيغاسوس؟".

أجابني: "كنا نناديك بالفراشة"، وأردف: "ولكن بعد ذلك أعطتك الصحف الشعبيّة لقب الفراشة المفقودة، لذلك توجّب علينا تغيير هذا اللقب"، فتحمّست لأعلم ما هو.

قال ببرود: "أنا من اقترحت الاسم".

نظرت إلى أكيو وبدت ملامح الدهشة تعلو وجهي: "ماذا اقترحت؟"، الاحتمالات غير محدودة، ربما أشعّة الشمس أو عباد القمر أو زهرة الكرز، تسارعت أفكاري، ربما يستلطفني، وربما ليس لئيمًا كما يبدو عليه، ومن المحتمل أنّني أخطأت في الحكم عليه بشكل رهيب، وهذه مجرّد بداية لصداقة قد تتحوّل إلى حبّ يدوم عصورًا، وستلهم علاقتنا الناس ليكتبوا عنها أغاني المخيمات الشعبيّة.

إنّها المرّة الأولى التي أرى فيها ابتسامة أكي، لكن يبدو جزء منها شريرًا والآخر راضيًا، كما لو أنه قد ربح للتوّ رهانًا مع نفسه، ليقول في النهاية: "فجلة".

الفصل العاشر

تناولت الغداء مع والدي بمفردنا لكنّ محادثتي السابقة مع أكيو لم تفارق تفكيري مثل الحمّى. كان الجوّ جيّدًا بشكل عام، وهو جوّ غير رسميّ كما أنّ تجهيزات المكان غير رسميّة، فنحن اكتفينا باستخدام أعواد الطعام فقط، أهدأ واسترخي قليلًا، فقد أُعدّت وجبة خاصّة، وهي أسماك تشبه سمك السلمون المرقّط تُصطاد من نهر ناكارا في منطقة جيفو، لتقدّم السمكة كاملة على وعاء أرزّ كبير، والتي كانت في يوم من الأيّام عملة تُتداول، وأصبحت الآن طعامًا مقدّسًا.

أخبرنا الطاهي وقد اعتلت وجهه ابتسامة فخر: "إنّها سمكة طازجة جدًّا، اصطيدت هذا الصباح".

قال والدي في الوقت الذي غادر فيه الطاهي: "إنّها من الوصفات الشهيّة"، لم أتذوّقها حتّى الآن، فأنا أراقب والدي، وأشاهد كيف سيأكل السمكة.

قرّب الوعاء من وجهه، ثم استخدم أعواد الطعام للإمساك بالسمكة الحلوة الصغيرة وقضمها بدءًا من رأسها، فرمشت عيناي وقلت في نفسي حسنًا، هكذا يتمّ الأمر إذًا، فالتقطت أعواد الطعام وقلّدت حركاته.

عضّت أسناني السمكة فانغرزت فيها، وتوقّعت أن أشعر برغبة في التقيؤ، لكنّني لم أشعر بهذا، فقد كان جلد السمكة مقرمشًا ومالحًا، ولكن اللحم في الداخل حلو المذاق وأكثر نعومة مثل البطيخ، بعدها نشطت غددي اللعابية جدًّا، وأصبحت مولعة بهذا الطبق، فإن كان سمك الآيو العذب في قائمة الطعام فسأطلب طبقين.

وبدأنا بتناول الطعام.

شرح لي والدي كيف يصطادون هذه الأسماك، ليرسم صورة لهذه العمليّة في مخيّلتي من خلال كلماته، فبدت هذه الصورة مظلّلة باللونين البنفسجيّ والأزرق، ألوان الليل، لترتفع لعبة ناريّة واحدة فوق النهر، لعبة ناريّة واحدة فقط، لتشير إلى بدء وقت صيد الأسماك في المساء، كما ظهرت في تلك اللحظة معالم أبراج قلعة جيفو بوضوح، يرتدي الصيّادون التنانير العشبيّة والسترات النيليّة والقبّعات المدبّبة، ويحملون طيور الغاق في سلال مصنوعة تحديدًا من الخيزران، وهي طيور ذات ريش داكن معقوفة المناقير، ويخرجون إلى الماء في قارب خشبيّ طويل، حيث تتوهّج شعلة في مقدّمة القارب، وعندما يكون طائر الغاق مقيّدًا، يغوص تحت الماء ويصطاد الأسماك ويحتفظ بها في حوصلة خاصّة في حلقه، وهي تمنع الطائر من ابتلاع السمك، ثمّ يقول والدي: "إن العلاقة بين طائر الغاق والصيّاد مهمّة جدًّا، وبالنسبة إلى شيكيبوشوكو أوشو، تعتبر الطيور عائلته. ويعيش طائر الغاق في البرّيّة من سبع إلى ثماني سنوات، ولكن مع الصيّادين يمكن أن يعيش لفترة أطول بكثير، وقد يصل عمره إلى ثلاثين عامًا".

وعائي فارغ ومعدتي ممتلئة، وقد تاقت روحي إلى الخروج في الليل، كما تاق جسدي إلى أن يكون على ضفاف نهر ناجارا، فأمسح فمي بمنديلي وأقول: "أرغب في أن أراها في وقت ما".

أجابني والدي: "إنّ موسم الذروة لها في الصيف، سأطلب من السيّد فوتشيجامي أن يدرجها ضمن جدول مواعيدك". في تلك اللحظة أدركنا وفي الوقت نفسه أنّني لن أكون متواجدة هنا، فأنا سأرحل في غضون أسبوعين.

بعد الغداء، خرجنا في جولة، سلكنا المسار ذاته الذي سلكناه في المرّة الماضية ولكن بدلًا من الانحراف إلى اليسار نحو البركة اتّجهنا يمينًا إلى منطقة غير مدوّنة على الخريطة، الشمس مشرقة وأسوأ ما في ذلك أنّها رفعت حرارة شعري الأسود، ولا تزال الحصى رطبة تحت قدميّ، وتنتشر برك صغيرة في الحديقة. إنّ طقس اليابان متقلّب، ومتى اخترت درجة حرارة فستجدها هنا.

سألني أبي: "هل تبلي وصيفتك حسنًا وتنجح في عملها؟ أتسير دروسك على ما يرام؟" لقد خلع والدي سترته وربطة عنقه، وطوى كمّيه ووضع يديه في جيبي بنطاله، إنّه أكثر راحة في الهواء الطلق، أتذكّر أنّه يحبّ الجبال والمشي لمسافات طويلة فيها وما إلى ذلك، فهذا هو مكانه المفضّل.

أجبته: "نعم"، فإنّ ماريكو تبلي حسنًا، ولكنّ السؤال الحقيقيّ هنا هو: هل أنا أتدرّب؟ أعتقد أنّ الأمر انتهى، وأنا ألعق بقعة نوتيلا كانت على إبهامي، إنّها ما تبقى من الحلوى التي أصبحت هوسي الجديد، فقد قدّم الطاهي الدوراياكي في الليلة الماضية بعد العشاء، وهي عبارة عن نوتيلا بين شرائح فطائر الكاستيلا. إنّها مذهلة، فقد تناولتها وارتقيت إلى مستوى أعلى، ليستمرّ الطاهي بتزويدي بإمدادات ثابتة من هذه الحلوى منذ ذلك الحين، ولذلك أنا أحبّه كثيرًا.

سألت والدي: "هل هذه هي الطريقة التي تعلّمت بها سابقًا؟ أقصد هل كان لديك مدرّسون يأتون إلى القصر، وهل كان لديك دروس آداب مثل تلك التي تلقيتها؟".

أجابني: "لا بل ذهبت إلى كاكوشوين، حيث انتُقي لي زملاء الدراسة الخمسة"، أتساءل كيف يجب أن يبدو ذلك، وأنت تعلم أنّ كلّ شخص في حياتك قد اختير ليكون حولك، ينتظر لحظة ثم يكمل: "لقد ألقيت نظرة على جدول نشاطاتك، إنّ السيّد فوتشيجامي يبقيك مشغولة جدًّا، آمل ألا يكون جدولًا صارمًا جدًّا".

تتدلّى أغصان الأشجار فوق المسار الذي نسير عليه لتشكّل قنطرة، فيختفي الضوء وتظلّلنا الأشجار، ورأسي الذي كان قد بدأ يحترق يشعر بالارتياح الآن، فقلت لوالدي: "أنا ممتنة جدًّا لفرصة التعلّم هذه". أحيانًا عندما أتحدّث إلى والدي لا أبدو أشبه نفسي، إنّها ليست النبرة ذاتها التي كنت أستخدمها مع أمّي، فلو إنّني برفقتها، لكنّا غارقتين في الدعابة الساخرة، أو بالأحرى سأكون أنا كذلك رغم أنّها تحب ذلك في سرّها، فأنا أعلم أنّها منحرفة في داخلها، ويجب أن تعيش بجوار جونز لتلاحظ هذا.

يتّسع المسار وتمتدّ الطرق المرصوفة بالحصى لتصبح على شكل دائرة، لقد وصلنا إلى مكان مفتوح، أرى مبنى يلمع تحت أشعّة الشمس، ويلفّه الزجاج من جميع الجهات، قال والدي: "أفترض أنّك تشاركين والدتك حبّها للنباتات، لذلك اعتقدت أنّك قد ترغبين في رؤية الدفيئة"، أجل أشاركها حبّها للنبات، أجل، أجل، وبعد أن أشرقت ابتسامتي العريضة، يفتح يده ويمدّها أمامي ويقول: "من بعدك".

لا يحتاج إلى أن يسألني مرّتين، إنّ الباب ثقيل، فيفتحه مصدرًا صريرًا، وصحيح أنّه يوجد لدى أمّي دفيئات في الحرم الجامعيّ لكنّها عبارة عن أعمدة وأغطية بلاستيكية، أمّا هذه الدفيئة فهي جميلة، قطعة فنّيّة وتصلح لـ... حسنًا، تصلح لأن تكون لأمير على ما أعتقد، هناك ثلاثة صفوف من الطاولات الخشبيّة الطويلة، كما أنّ رائحتها مثل رائحة الطين، مثل رائحة الأرض بعد المطر، وأشبه برائحة والدتي عندما تعود إلى المنزل من العمل أحيانًا، والتراب تحت أظافرها، إنّي أفتقدها، لقد تراسلنا وتحدّثنا عبر الهاتف، لكنّ الأمر ليس سيّان، فالتحدّث عبر الهاتف لا يبعث في نفسي الشعور كما لو أنّني إلى جانبها. فعندما تعتاد على رؤية أشخاص معيّنين كلّ يوم يصعب عليك فراقهم. تدور المراوح بتكاسل لتوزّع الهواء الساخن، لذلك أشعر كما لو أنّ بقعتين ورديّتين تشكّلتا على خدّي.

وأسير بين صفّين، وأنا أشاهد الأواني الصغيرة وأوراق الأشجار العريضة والسيقان الملتوية التي تتدلّى منها أزهار حمراء وبيضاء وزهريّة متنوّعة، "الأوركيد" أقول متفاجئة وأكمل: "إنّها المفضّلة لدى أمّي".

وقف والدي خلفي عند الباب، ورفع حاجبًا وقال: "حقًّا؟".

راقبته، حسنًا هل هذه صدفة؟ أم أنّه زرعها لأنّها تذكّره بأمّي؟ عبّرت ملامح وجهه عن أنّه لا يريد التحدّث بشأن هذا، فأسأله: "أخبرني المزيد عن مدرستك"، لكنّني أراهن أنّي في اللحظة التي تتاح لي فيها الفرصة، سأراسل والدتي وأقول لها: *لمعلوماتك يا والدتي، أنا حصلت على نتيجةً تمنحني الامتيازات لحصولي على معلومات خاصّة وهي أنّ والدي، حبيبك السابق وليّ العهد، يحتفظ بدفيئة مليئة*

بأزهار الأوركيد، أليست تلك الزهرة المفضّلة لديك؟ كلّ ما في الأمر هو أنّني أعتقدت أنّك قد ترغبين في معرفة ذلك.

أخرج ما في داخله وغاص في الحديث عن دراسته، أجرينا محادثة قصيرة ليمتلئ الهواء في الدفيئة بكلّ الأشياء التي لم تُقلْ من قبل، لكن لا يمكنه إخباري عن الوقت الذي قضاه مع والدتي وأنا لا أستطيع أن أخبره كيف أشعر حقًّا، وكيف أنّني لست متأكّدةً من أنّني مؤهّلة لأكون أميرة ولست متأكّدة إن كنت أنتمي إلى هذا المكان، فيجب أن تنتظر الأشياء الصعبة وقتًا أطول.

في النهاية، أشعر بحرارة الدفيئة على وجهي، جلسنا على كرسيّين مائلتين مريحتين في طرف الحديقة، فتداعب الرياح الباردة خدّيّ ما أشعرني بالارتياح، كانت أمّي تحبّ هذا حقًّا، إنّه ما تحبّه تمامًا، أردت أن أقول ذلك بصوت عالٍ، لكنّني أحتفظ بهذا لنفسي، فهي الشخص الذي من غير الممكن ألّا تلاحظه في هذه الحديقة المعقّدة ولكن لا أحد يريد التحدّث عنه، إذًا هل يشعر بوجودها هو الآخر؟ هذا الشيء بيننا، والدتي، عشيقته السابقة؟ لا أحبّ عدم القدرة على التحدّث عنها، ولا أحبّ اعتبار ذكرها بمثابة تجديف، لأنّ الحقيقة (رغم أنّي لا أهتم إذا كانت تجعلني حمقاء تمامًا) أنا أحبّ أمّي، فهي من الأشخاص المفضّلين لديّ.

قال: "تبدين هادئة".

أجبته: "كنت أفكّر في أمّي..." وتوقّفت قبل أن أتابع.

أسند والدي ظهره إلى الوراء، وتنهّد وقال: "أجل".

قلت: "أنت لا... أعني، لا بأس بالأمر إن لم ترد التحدّث عنها". لكنّي في الحقيقة أريد أن نتحدّث عنها وعن كم أحببتها ومقدار حبّه لها الآن، دعنا نتحدّث عن مدى روعتها وسعادتها، وعن أنّها تكون حزينة قليلًا في بعض الأحيان أيضًا، دعنا نتحدّث كيف تظهر النظرة نفسها في عينيكما عندما يذكر أحدكما الآخر.

حدّق إلى الدفيئة وفكّر طويلًا، وقال: "الحقيقة هي أنّني أحببت الكلّية وأميركا ووالدتك، لكن من الصعب تذكّر تلك الفترة من حياتي، فمنذ بداية علاقتنا، كنت

أعلم أنّها لن تدوم، كان كلّ شيء بمثابة حلم جميل، لكنّ حاله كحال جميع الأحلام، لا بدّ لها أن تنتهي، وأنا أتعامل معه الآن على هذا النحو فهو شيء لم يكن ملكي أبدًا لأتمسّك به".

أشبك يديّ للحيلولة دون إظهار شدّة انزعاجي، لا يمكنه حتى التفكير في إمكان وجود علاقة مع أمّي، بإمكاني الشعور بذلك من صوته فقد انتهى الحلم.

إذًا ماذا يجعلني ذلك؟ قلت: "ومع ذلك فأنا هنا"، وهو دليل ملموس على وجود علاقة له بوالدتي.

ابتسم وقال: "أجل أنتِ هنا وذلك بمثابة هديّة من السماء، من الصعب التوفيق بين الحدثين، بين وجودك هنا الآن وحالتي في ذلك الوقت، آمل أن يبدو الأمر منطقيًّا".

أجبته: "إنّه منطقيّ، بشكل غريب".

ربّت على ذراع كرسيّه، وسألني: "هل يمكنك أن تكوني صبورة معي؟".

أجبته بلطف وخفّة: "فقط إذا وعدت بأن تكون صبورًا معي بدورك". لقد وصلنا إلى المكان المناسب وتحدّدت لكلّ منا طبيعة علاقتنا الآن.

وعدني: "بالطبع"، وحدّق مجدّدًا إلى الدفيئة وتابع: "إذًا، ما هي مخطّطاتك للغد؟".

أجبته: "حسنًا، أعتقد أن السيّد فوتشيجامي قال شيئًا عن تربية دودة القز؟". إنّ ملفّي الملكيّ لا يحوي الكثير، لذلك يجب أن أحصل على هواية، واقترح السيّد فوتشيجامي تربية الأسماك مع التركيز على سمك الشبّوط، فكرة غير جدّيّة كبداية، لذلك أخبرته كم استمتعت بخبز المعجّنات، لكنّه أمر شائع كثيرًا، لذلك سنحاول تربية دودة القز غدًا، في الحقيقة لست متأكّدةً تمامًا من أنّني أعلم ما هي تربية دودة القز، وسأقترح في المرّة القادمة الصيد بالصقور، أعتقد أنّ الأسرة الإمبراطوريّة توظّف صيادًا بالصقور، فالجميع يعلم أنّ جميع المهامّ الملحميّة تبدأ بالطيور الجارحة.

قال والدي: "حظًّا موفّقًا، على الرغم من أنّني لا أعتقد أنّك بحاجة إلى الحظّ، فقد أبلغني السيّد فوشيجامي أنّك أبليت بلاءً حسنًا مع تدريبات المأدبة الوهميّة هذا الصباح، وأعتقد أنّ جميع الأعين ستتّجه إليك في حفل الزفاف وليس إلى العروس". ابتسم بفخر مرّة أخرى، إنّه عمليًّا يقولها بحماسة وكأنّه يصرّح بهذا، لذلك ليس لديّ الرغبة في إطفاء حماسته.

وافقته ورددت على ابتسامته بابتسامة عريضة، وقلت: "أجل"، ثمّ جلست وإيّاه في الدفيئة التي قد تكون قد بنيت من أجل والدتي.

الفصل الحادي عشر

يجب أن تُوجّه تحذيرات عديدة لمن يرغب في تربية دودة القزّ.

التحذير الأول: يشمل الحدث مواجهة أميرتين توأم مميّزتين لا يمكنك مقارنة نفسك بهما.

التحذير الثاني: ستُلتقط الصور لتوثيق الحدث، وإرسالها إلى الصحافة، وبعبارة أدقّ لا يجب أن يُفسد الأمر.

التحذير الثالث: هناك ديدان، ديدان، ديدان، ولم يذكر أحد أنّ تربية دودة القزّ من أجل عمليّة إنتاج الحرير تتطلّب تربية الكثير من ديدان القزّ، لكن لا بأس بذلك.

أقف أمام طاولة، بينما تقف أكيكو ونوريكو في الجهة المقابلة، وكانت نظراتهما تشبه نظرات الصقور، إنّه حقًا شكل من أشكال الفنّ أن تنظر إلى شخص بنفس طولك من أسفل أنفك باستعلاء، وبيننا قطعة من ورق البرشمان مليئة بأوراق الشجر وأجساد متلوّية من حوالي ألف دودة قزّ، ويحيط بنا مشرفون إمبراطوريّون: وصيفات (لي وللتوأم)، وأمناء غرف ومصوّرون وحارس أو اثنان، أكيو من بينهم، وبدأت أتعامل وإيّاه بطريقة صامتة، نتواصل حصريًا من خلال طرف ثالث.

لمع وميض كاميرا، إنّها الصورة الرابعة، وأنا لست في أفضل أيّامي، فالجوّ في اليابان مكفهرّ هذا الصباح بسبب سوء المزاج، فقد اجتاح إعصار أطراف طوكيو، كما جعلني عويل الرياح والأمطار أتقلّب وأتحرّك في سريري ما قادني إلى حالة من الغضب، فما زال يتردّد صوت الهواء في الغرفة المفتوحة ثقيلًا ويسبّب العبوس، كما تنبعث منه رائحة حموضة، أشبه برائحة عصير التاتامي الرطب.

أهذه نوريكو أم أكيكو التي تهمس إلى توأمتها؟ حيث تمتلكان عظام الوجنتين المرتفعة وابتسامات النصر نفسها، وحتّى الأسنان نفسها.

شفاههما ترتعش من الضحك، يا إلهي، حتّى ضحكتهما جميلة، تُذكّر بصوت أجراس المعبد، فقالت إحداهما بصوت منخفض، ولكنّه يكفي لأتمكّن وحدي من سماعه: "ابنة عمي"، إنّ حركاتهما الفظّة تبدو واضحة من ملامح وجهيهما المثاليّين، وأومضت كاميرا أخرى، فأرسم على شفتيّ ابتسامة لطيفة، بينما تراقب ماريكو بقلق وانزعاج طفيف، فمن الصعب معرفة ما يجول في بالها الآن لكنّني أراها، وأشعر وكأنّها ترى من خلالي.

قالت ابنة عمي الثانية بصوت خافت: "كنّا فقط نقول كم أنّ فستانك جميل".

نظرت إلى الأسفل، ومسّدت القماش الورديّ الفاتح عند معدتي، وتحسّست طرفيّ الكمّين اللذين يصلان إلى المرفقين وقلت: "أوه حسنًا، شكرًا".

وافقت التوأم الأخرى، بشكل ساخر ومتعجرف: "طبعًا، فهو يجعلك تبدين في غاية النحافة".

أغرز حينها أظافري في راحة يدي، وأرغب في أن ألكم أنفيهما، ما مدى صعوبة إخراج الدم من الكتّان؟ كما تنطلق الكثير من اللعنات من فمي.

دخل مربّي دودة القز ومساعداه إلى الغرفة، وهم يرتدون من قمّة رؤوسهم حتّى أخمص أقدامهم ثيابًا باللون الكاكي مثل حرّاس الحيوانات الغريبة النوع، ويحملون سلالًا مليئة بأوراق التوت.

همس أحد المصوّرين الإمبراطوريّين بشيء إلى السيّد فوتشيجامي، فابتسم حينها الحاجب الملكيّ وقال: "فكرة ممتازة، سنلتقط صورة للأميرات الثلاث معًا يا أوهيمي سما".

تتحرّك كلّ من أكيكو ونوريكو حول الطاولة برشاقة تامةّ، بينما أقفز قفزًا، الآن سأسمّيهما إلى الأبد التوأم اللامع.

تركت دودة حرير جريئة مهد التوت والبرشمان لتشقّ طريقها نحو خنصر يدي، فذكّرتني هذه المتطفّلة الصغيرة ذات اللون الطباشيريّ، والجسم المستدير والمشعّر قليلًا، كيف تشعر معدتي في كلّ عيد شكر، فلننسَ أمر الرفاق ومطاعم بلاك بير داينر، فإنّ هذه الديدان الملعونة يتعيش حقًّا أفضل أيّام حياتها، وهي تنهش أوراق التوت بينما تتدفّأ براحة تحت الأضواء، وها هي ومضة أخرى، وقد وقف التوأم اللامع بهدوء أمام الكاميرا، التي التقطت صورة وجهي وأنا أنظر إلى الأسفل، ليقول لي السيّد فوتشيجامي بنبرة تحذير: "أوهيمي سما"، فأرفع ذقني إلى الأعلى، ويقترب التوأم اللامع منّي.

قالت إحداهما: "لقد أُعجبت بك خلال العشاء العائليّ".

بينما قالت الأخرى: "أتمنّى لو استطعت أن آكل مثلك".

هكذا إذًا، إنّهما تطلقان النار عليّ، ومع ذلك، أبتسم بلطف للكاميرا، ليلمع وميضها ثمّ التفتُ قليلًا إلى اليسار، فألاحظ شامة صغيرة تحت عين إحداهما، وهي علامة جمال، وأقول: "أراهنّ أنني أستطيع أن أجبرك على أن تأكلي مثلي"، وأقولها بصوت عالٍ بما يكفي لتسمعه كلتاهما.

في النهاية، قالت إحداهما من خلفي: "أوه، أكيكو، إنّ ابنة عمّنا مضحكة".

ركّزت من جديد على ديدان القزّ، لأجد أنّ الدودة التي كانت تزحف نحوي قد اختفت.

قالت أكيكو: "لابدّ أنك تعلّمت ذلك من والدك".

لم أتعلّم ذلك من والدي، ومن غير الممكن أن أكون قد تعلّمت ذلك منه، فقد التقينا للتوّ، إنّ التوأم اللامع تريدان تذكيري بأنّني مجرّد دخيلة في حياة وليّ العهد، وأنّني تسبّبت بنشر الفوضى العارمة في حياته، وأنهما هنا لتنظيم هذه الفوضى التي سبّبها وجودي، فتتشنّج عيناي، وأتساءل، ما مشكلتهما؟ هل هي الأضواء؟ ولا يمكنهما تحمّل أن أشاركهما إيّاها؟ أم هل أطأ على أقدامهما المغطّاة بالحرير؟ في كلتا الحالتين، أنا الآن متأكّدة من أن هذا اليوم سينتهي بدخول إحدى الفتيات

الثلاث السجن، ويُرجّح أن أكون أنا، حسنًا، تلك الفتاة ستكون أنـا.

رفعنا سلال أوراق التوت معًا، لتزداد ومضات الكاميرا لمعانًا، فهذه هي اللحظة التي كانوا ينتظرونها، ثـمّ نضع أوراق التوت فوق ديدان القزّ لتأكلها، ونتشارك طقوسًا قديمة عمرها ستّة آلاف عام، وستوضح هذه الصور الملتقطة أنّني لست سوى عصا في دولاب عربة قطار، حيث يعمل كلّ شيء بانسجام وانتظام، في حين أبدو مجرّد غريبة تثير الفوضى، إنّه لأمر رائع ومرعب بعض الشيء في الوقت ذاته، وهو أن تكون جزءًا من شيء أكبر منك في هذه الحياة، وأن يدوم هذا اللقب الذي يطغى على وجودي، ما جعل ركبتيّ تنثنيان وأشعر بأنّني صغيرة، ولا أرقى إلى مستوى المهمّة، ولا سيّما بعد أن لدغ شيء ما ذراعي، فأنظر إلى الأسفل، لأرى دودة قزّ عيد الشكر، وقد تقوّس ظهرها لتندفع إلى الأعلى، كما لو كانت كلبًا يستعدّ للانقضاض على فريسته، فتشتمّ رائحة التوت ولكنّها لم تستطع العثور عليه، لذا فإنّها استأنفت مسارًا ثابتًا ودقيقًا متسلقةً أعلى ذراعي.

أنا أعلم في داخلي أنّها لا تستطيع إيذائي، ولكنّ ما أشعر به تجاهها هو العداء، فبدت كما لو أنّها أعلنت حربًا شاملة، فأردتها أن تنزل عن يدي، الآن.

هزت بذراعي، لكنّ هذه الدودة ترفض أن تتزحزح، اللعنة، إنّ أرجلها اللزجة تكيّفت على مدى عقود مع تسلّق الأشجار، ولذلك فإنّ أكثر ما أكرهه في هذه اللحظة من أيّ شيء آخر هو التطوّر.

وضع التوأم أغصان التوت على ديدان القزّ بسهولة، وكان يبدو الأمر بسيطًا جدًّا، فهما هادئتان للغاية، وهذا ما يجعلني مرتابة من تصرّفهما، لكن لا وقت لأن أحلّل ما إذا كانتا المسؤولتين، وإن كان عقلي يؤكّد ذلك، فلا تزال هذه الدودة تزحف سالكة طريقها نحو كمّي، يا إلهي، إذا تمكّنت من التسلّل إلى داخل ثوبي فسأموت.

استرجعت في الحال ذكرى المخيّم الصيفيّ الذي التحقت به عندما كنت في الصفّ السادس، عندما تمكّنت نحلة من أن تشقّ طريقها إلى داخل سترتي، فشعرت

بالذعر حينها، وكدت أخلع ملابسي كلّها، إلّا أنّي لم أكن أرتدي قميصًا داخليًّا ولا حتّى صدريّة، لأنّ والدتي رفضت شراء صدريّة لي، إذ قالت إنّ الفتاة التي تبلغ أحد عشر عامًا من العمر لا تزال صغيرة جدًّا على ارتداء صدريّة، كما أنّها ألقت خطابًا حول كيف أنّ حمالات الصدر أشبه بأداة للنظام الذكوريّ، وقد وعدت بأن أحصل على واحدة عندما تشعر بأنها ستكون دليلًا على أنوثتي، وعلى أيّ حال، لم أسامحها حتّى يومنا هذا، فقد انتهى بي الأمر بتخريب غرفة الطعام بأكملها في مخيّم سويني، والآن، أنا على وشك مواجهة حالة مشابهة.

أرفع يدي استعدادًا لنفض دودة قزّ كويشيمارو النادرة، وبقدر ما أنا قلقة، إلّا إنّني لا أهتمّ ما إذا كانت الشرنقة التي ستنسجها ستُستخدم لترميم القطع الأثريّة القديمة التي لا تقدّر بثمن، أو إذا كانت تُعتبر كنزًا وطنيًّا، واتّخذت قراري، فإما أنا أو أنتِ أيّتها الدودة، سايونارا يا دودة القزّ.

انتصب فجأة جسد وقف بيني وبين أكيكو، ومسحت يدٌ ذراعي والتقطت دودة القزّ، وحين نظرت إلى الأعلى رأيت أنّ ماريكو هبّت لتنقذني، فكانت شفتاها مزمومتين، ثمّ فتحت يدها ورمت الدودة بين أوراق التوت مجدّدًا، فاختفت بين المجموعة، وعادت ماريكو إلى الخلف مجدّدًا.

لوّح السيد فوشيجامي بيديه، وقال شيئًا باللغة اليابانيّة، فأنزل مصوّرو البلاط كاميراتهم، وخرجوا من غرفة تربية الشرانق، فأنا متأكّدة بنسبة ألف بالمئة أنّني أخفقت، وأكّد السيد فوشيجامي هذا عندما قال: "لا تقلقي، سموّك، إذا لم نحصل على صورة جيّدة فسنعدّلها"، لقد دمّرت فرصة إثبات وجودي.

يا لهما من متعجرفتين! فأنا أدرك الآن أنّهما قلبتا موازين القوى لصالحهما: وأنا بتّ منهارة في القاع.

الوقت يزحف بطيئًا، وأشعر بالدم يتدفّق من وجهي، ويستقرّ في أصابع قدميّ ثمّ ينساب من جسدي، وها قد بدأت الدموع، تتجمع في عينيّ حارّة، فبكيت أمام التوأم اللامع وكأنّ الأمر لا يمكن أن يصبح أسوأ من ذلك.

استلقيت تلك الظهيرة في غرفة الجلوس، وراقبت كقطّة جريحة ماريكو وهي تصنّف أنواع عدد كبير من القفّازات، وحين وصلت إلى هاتفي رسالة نصّيّة، ثبّتتني ماريكو في مكاني بنظرة حادّة، وكأنّها أيقنت بعد أن رنّ الهاتف أنّني أكنّ مشاعر خاصّة لهاتفي، وأنّ ارتباطي به مرضيّ.

لا تزال عيناي منتفختين، فقد نحبت في السيّارة طوال طريق العودة إلى القصر، بينما كان يجرى السيّد فوتشيجامي وماريكو محادثة باللغة اليابانيّة. يا إلهي، هذا غير مريح، وقد شعرت ماريكو باستيائي، فمنحتني المزيد من الاستقلاليّة، فانكمشت على نفسي، واستلقيت على الأريكة، وقد تدلّت ساقاي من فوق طرفها.

رقم مجهول: هل أنت جاهزة لتخرجي بعيدًا عن الضوء الساطع الملكيّ؟

أنا: من أنت؟

رقم مجهول: أنا محطّم، أنا مُهان، أنا مجروح في أعماقي، وأنا أبتسم على الرغم من مزاجي العكر، أنا كيتاي.

أنا: كيف حصلت على هذا الرقم؟

كيتاي: محرّك البحث غوغل صديقي.

أنا: حقًّا؟

كيتاي: لا، أنا طلبته، ولم يسألني أحد عن السبب، فمن المذهل أن يعطيك الناس ما تريدينه، عندما تكونين من أفراد العائلة الملكيّة، ولكنّني سألفت انتباهك إلى أنّك تستطيعين حقًّا إيجاد ما تريدينه عبر الإنترنت هذه الأيّام، ولو تمكّنتُ من الحصول على شريط الفيديو المناسب، لأمكنني حينها إجراء عملية تعقيم لنفسي.

أنا: هل ستفعل ذلك حقًّا؟

كيتاي: بالطبع لا، هل يجب أن أحرم العالم من نِطافي المتفوّقة؟ هذا احتمال ضعيف.

كيتاي: لم تجيبي عن سؤالي.

أنا: ما كان سؤالك بالضبط؟

كيتاي: هل أنت مستعدّة للخروج من دائرة الضوء السماويّ؟

أنا: لا أعرف ما يعنيه هذا.

كيتاي: طوكيو، عزيزتي، أتحدّث عن ليلة في البلدة.

اتّجهت بنظري إلى ماريكو التي اختفت للحظات، لتعود وهي تجلب معها المزيد من القفّازات، يا إلهي.

أنا: لا أستطيع، لديّ جلسة تجريب القفّازات.

كيتاي: هل هذا شيء حقيقيّ؟ لا تهتمّي، فأنا لا أتحدّث بشأن هذه اللحظة، فلا يحدث شيء جيّد قبل أن تتجاوز الساعة التاسعة مساءً.

أنا: لا أعتقد أنّها فكرة سديدة.

كيتاي: لا أوافقك الرأي، إنّها على الأغلب أفضل فكرة خطرت على بالي في حياتي كلّها.

فكّرت في كلماته، وحدّقت إلى خارج النافذة، فأغصان الأشجار تتمايل بلطف مع النسيم، ما يدلّ على جمال الطقس الذي يعد بليلة ساحرة، ولكنّ الهروب مستحيل، فالمنظر في الخارج مرعب، حيث ينتشر عدد هائل من الحرّاس، ومن بينهم أكيو، وهناك عدد يوازي عددهم من الكاميرات، وأنا عالقة في هذا المكان، وتعبة وحزينة بعض الشيء، فزممتُ شفتيّ، إذ يجب أن أقاطع كلّ الفعاليّات خارج القصر، ولكنّ أحدًا لم يقل إنّه لا يُسمح لي بالخروج وحيدة، وإن كان من المعلوم أنّ الأميرات ينتمين إلى الأبراج المحروسة كما تُحرس الجواهر الثمينة.

أنا: لنقل إنّني أريد الخروج، فكيف سأتجاوز الحراسة المشدّدة؟

كيتاي: "اتركي الأمر لي فحسب، فقط رافقيني ولنكسر معًا بعض القواعد والقلوب، ولنستيقظ غدًا بعد أن نكون قد أمضينا ليلة مجنونة".

كيتاي: هل أنت موافقة أم لا؟

تذكّرت الرحلة من المطار إلى طوكيو، وكيف كانت كالنظر من ثَقب قفل الباب، بينما يعرض عليّ كيتاي كسر هذا القفل، وفتح الباب على مصراعيه، ولكن أليس هذا ما أردته؟ ألم أردْ أن تمتدّ المدينة أمام نظري؟ كنت ونورا سنفعل ذلك معًا، ولو كانت هنا لما تردّدنا في التسلّل ليلًا، وها هو الوعد بالمغامرة مستلقٍ في الزاوية، وقدا بدا كلّ شيء متناغمًا، وأنا مُلزمة بأن أقبل عرضه بسبب ما تفرضه علينا الصداقات من التزامات في هذا العالم، بالإضافة إلى أنّني بحاجة إلى الترويح عن النفس، وإلى رؤية وجه صديق يخفّف عنّي الألم، فاستجبت لطلبه، وقد أشعلت الحماسة قلبي.

أنا: موافقة.

الفصل الثاني عشر

غابت الشمس، وتجاوزت الساعة الثامنة والنصف، فأخبرت ماريكو أنّني متعبة، وتصنّعت التثاؤب بشدّة، وتمططت في كلامي متظاهرة بالنعاس، فأنا لست بممثّلة بارعة، ولكنّها صدّقت المسرحيّة. وكان التسلّل أسهل مما توقّعت، بعد أن أعطاني كيتاي توجيهات مفصّلة للخروج من القصر، كما حذّرني ممّا يجب ألّا أرتديه، فلا سترات بأزرار ولا حذاء مربّع الكعب، ولا ملابس تظهرني أقلّ وزنًا، لذلك لبست جينزًا وقميصًا كتب عليه (الشغب)، فكان من المريح ارتداء هذه الملابس مجدّدًا.

قادني الطريق إلى جدار حجريّ منخفض الارتفاع فقفزت فوقه، وهذا كان كلّ شيء، وها أنا خارج الأراضي الملكيّة، أقف على رصيف يحاذي طريقًا سريعًا، حيث تمرّ السيّارات بسرعة، وهناك حارس يقف على بعد مئة قدم، فتوقّفت خفقات قلبي عندما لاحظ وجودي، ثمّ عاد إلى الخفقان عندما استدار وتجاهلني، فلم أكن أعني له شيئًا، فأنا مجرّد شخص من بين العديد من المشاة الذين يتجوّلون في الشارع، ولماذا قد يشكّ في أمري على أيّ حال؟ أعتقد أنّ الناس يثقون بأنّ الأميرات سيبقين في أماكنهنّ وحسب، وهذا خطأ جسيم. ثمّ مشيت في الاتجاه المعاكس بخطوات عاديّة، وأخفضت رأسي، وتوقّفت عندما وصلت إلى إشارة كُتب عليها الرقم 40، وتحيط بها دائرة حمراء، إذ قال كيتاي إنّنا سنتقابل هنا.

بعد مضي وقت طويل توقّفت أمامي سيّارة قديمة، محرّكها يصدر ضجيجًا، ويتصاعد من نوافذها الدخان، وعندما فُتح الباب أطلّ كيتاي برأسه من المقعد

الأماميّ، وقال مبتسمًا ابتسامةً عريضة: "اصعدي"، وكان يضع نظّارة شمسيّة، ويرتدي سترة حريريّة ذات ألوان مختلفة، وعليها رسم ثلاثيّ الأبعاد يعود إلى نمر، وقد سرّح شعره إلى الأعلى، فبدا مظهره مدهشًا، وقلت وأنا أجلس في المقعد الخلفيّ: "أعجبني لباسك".

قال كيتاي: "أرجوك، لقد حضّرت نفسي في غضون ثلاث دقائق".

جلس رجل نحيل يرتدي سترة مخمليّة في مقعد السائق، وهو يضع سيجارة بين شفتيه، وصدح المذياع بموسيقى الجاز، وانطلقت السيّارة، وسط سيل السيّارات في الطريق المزدحم.

قال كيتاي: "هذا تاكا"، فأحنى الرجل رأسه وهو ينظر إلى المرآة تحيةً لي، وتابع: "إنّه سائق سيّارة أجرة في النهار وصانع خزف في الليل"، وانحنى ابن عمّي فوق المقعد ووضع يده على فمه قائلًا: "لا تطلبي رؤية أيّ من أعماله الفنّيّة، لأنّها رهيبة"، لقد قال ذلك بصوت عالٍ بما يكفي ليسمعه تاكا.

فتجهّم وجه تاكا، وأشار بإصبعه إلى رأسه اللامع: "أنا لست أصلع، فهذا خياري، هل تفهمان؟"، غرور الرجال مؤثّر جدًّا.

قهقه كيتاي: "أنت لعين غريب الأطوار يا تاكا".

ابتسم تاكا، فبدت سنّاه الأماميّتان ذهبيّتين وتلائمان وجهه.

سألت وأنا أتحقّق من حزام الأمان: "منذ متى وأنتما صديقان؟"، ظننت أنّ قيادة نورا سيّئة ولكن كان هناك من يقود أسوأ منها. فقد أصبحنا في المدينة بلمح البصر، حيث فندق ريتز كارلتون، وبيوت الضيافة، ومتاجر الألبسة اليابانيّة التقليديّة، والمتاجر التي تبيع حقائب اليد الجلديّة.

انعكست أضواء النيون على نظّارة كيتاي، وهو يقول: "لقد التقينا الليلة الفائتة"، وتابع كلامه بسبب ما ظهر على وجهي من قلق: "لا تقلقي، أنت بين يدين أمينتين، بالإضافة إلى أنّنا أصبحنا في الخارج بالفعل، وبمجرّد أن تفتحي الكيمونو لا يمكنك إغلاقه".

صحيح، يتوجّب عليّ على الأغلب أن أخبر أحدًا ما بمكاني، تحسّبًا فقط، فالمجموعة لها سياسة صارمة وهي عدم إخفاء أيّ حدث عن الآخرين، فكتبت رسالة نصّيّة إلى أفرادها.

أنا: أنا في الخارج مع ابن عمّي في سيّارة أجرة غريبة، وإذا متّ فمن فضلكنّ اكتبن على شاهد قبري: قتلها دبّ أو أيّ شيء ملحميّ كهذا.

أجبنَ بأصابع إبهام مرفوعة إلى الأعلى، لقد رُتّب كلّ شيء، والآن سأسترخي وسأستمتع، فالليلة صافيةٌ، والمدينة مضاءةٌ، وفي غضون فترة قصيرة توقّفنا خارج أحد المطاعم، فركن تاكا السيّارة في موقعٍ صغيرٍ للغاية بالنسبة إلى سيّارته، لكنّه بطريقةٍ ما حشرها فيه، وفتح كيتاي باب السيّارة ومدّ يده إليّ، فأمسكت بها وأنزلني بحركةٍ رشيقة، ثمّ أشعل تاكا سيجارةً أخرى.

لا أزال أشعر بشيء من الدوار وأنا أتبع الرجلين إلى مطعمٍ في الجهة المقابلة من الشارع، فلا يوجد خلف السياج الكثير لمشاهدته، كانت الواجهة حجريّةً، وأنار مصباحان لافتةً بسيطةً بيضاء عليها كتابةٌ بأحرف يابانيّة، وفوانيس حمراء اللون تتدلّى من الأعلى، وقوائم الطعام تظهر الأسعار، وتطلّ نافذةٌ كبيرةٌ على المطبخ، وفي الداخل هناك رجلٌ يرتدي معطفًا نيليّ اللون، ويضع وشاح هاشيماكيّ حول رأسه، وهو يتصبّب عرقًا أمام الأوعية التي تنبعث منها الأبخرة والشوّاية المشتعلة.

وصل كيتاي أوّلًا إلى مجموعةٍ من الأبواب المزدوجة، فدخلنا عبر أحدها، وكانت تُعزَف في الداخل موسيقى الهيب هوب بصوتٍ منخفض، وتختلط الأصوات مع بعضها، فالمكان مكتظّ، والقوارير تُطرق ببعضها، أما الفوانيس الحمراء فظلّت ترافق دربنا حتى الداخل باعثة في الغرفة ضبابًا قرمزيًّا دافئًا. وما إن دخلنا حتى لاحظ الزبائن وجودنا، بعد أن شعّ نورنا الملكيّ معلنًا هويّتنا، فقد تمكّنوا من التعرّف إليّ وإلى كيتاي، فازدردت لعابي، وبدأت بالتراجع إلى الوراء، ولكن كيتاي أوقفني، وقال: "أيزاكاياس أكثر مكانٍ ديمقراطيّ ستجدينه في طوكيو"،

وما أثبت وجهة نظره، هو متابعة الحشد الثرثرة، واحتساء الشراب، وتناول الطعام بصخب من دون اكتراث لمكانتنا.

توجّهنا إلى طاولة المشرب، وجلست بين كيتاي وتاكا، وفي نهاية الطاولة جلس عدد من الموظّفين، وإلى يسارنا مجموعة فتياتٍ ذوات شعرٍ ورديٍّ فاتح، يرتدين تنانير ذات طيّات، وقمصانًا متشابهة بيضاء عليها صورة وجه شابٍّ شبيه بالجنّ، وله ذقن حادّة وشعر ورديّ مثل شعر الفتيات.

أمسكتُ بقائمة الطعام، ولكنّها كانت مكتوبةٌ باليابانيّة، وخطّتي هي الإشارة بيدي، ثم القول مرحبًا، وانتظار حصول الأفضل، فانتزع كيتاي القائمة من يدي، وقال: "لستِ بحاجةٍ إلى هذه"، ورماها جانبًا، ثمّ طلب لنا جميعًا ما اختاره بنفسه، وبدأنا باحتساء الشراب المؤلّف من قارورة نيليّة اللون وُضعت أمامنا، فرفع كيتاي القارورة وأحد أكواب السيراميك المتطابقة، وقال: "القاعدة الأولى في شرب الساكي هي ألا تسكب لنفسك أبدًا"، وسكب جرعةً لتاكا وأخرى لي، وبالمثل، سكبت واحدةً لكيتاي.

حملنا الأكواب وقرّبناها من أنوفنا لنشمّ رائحة الشراب الزكيّة، وتصاعدت النغمات الجميلة، ونحن نقول: "نخب كامباي"، ثمّ ارتشفنا رشفة، فبدا نبيذ الأرزّ باردًا لكنّه أدفأ معدتي، وبعد بضع رشفاتٍ أخرى انتقل الدفء إلى أطرافي كلّها. وبعد ذلك قدّموا لنا طبقًا من المأكولات البحريّة النيئة، وهو عبارةٌ عن محار صدفي وسمك الذيل الأصفر، فارتشفنا المزيد من الساكي في أثناء تناولها، وعند وصول لحم الدجاج المشويّ، فرغت قاروراتنا، وانبعثت الحرارة من خديّ، وأصبح الموظّفون صاخبين، وارتخت ربطات أعناقهم، وغمز كيتاي الفتيات ذوات الشعر الورديّ، فصدرت عنهنّ نوبة ضحك، ربّاه، يا لهذه السيطرة التي يملكها على الجنس الآخر!

طبق الجايوزا هو التالي، زلابيّة لحم الخنزير المقليّ المغمورة بزيت الفلفل الحارّ الذي ألهب فمي، لكنّ شرب بعض الساكي أطفأ بعض هذا اللهيب، وفي

الوقت المناسب قدّم لنا النادل شراب الشوتشو، وهو شرابٌ حادّ أكثر من الساكي، ولكنّ الشرابين كليهما لذيذان على حدٍّ سواء. فشربنا نخب الجميع، ونخب الحانة والليلة الممتعة وطوكيو. كانت معدتي على وشك الانفجار عندما وضع النادل طبق الأجوداشي أمامنا، وهو عبارةٌ عن توفو مقليّ، وفي النهاية، طلب تاكا أحشاء الحبّار المتخمّرة، ولكنّني لم أذقها بل اكتفيت بالضحك لرؤيته يلتهمها.

دفع كيتاي حسابنا، فسألته: "ماذا سنفعل الآن؟" فلستُ مستعدّةً لاختتام هذه الليلة، وأشعر بالراحة والحرّيّة والسعادة لدرجة أن آلمني خداي من شدّة الضحك، والاحتمالات لا حصر لها، فاقترح تاكا التوجّه إلى مدرسةٍ محلّيةٍ، حيث هناك متعبّدٌ جبليّ يعتنق الديانتين البوذّية والشنتويّة اللتين يمزج بينهما معًا، وهو يمشي على الفحم المشتعل، وكنتُ متحمّسة لمشاهدة ذلك.

صفق كيتاي ما بقي من شرابه على الطاولة، بينما كان يفرك تاكا معدته، ثم قال: "لا، لديّ فكرةٌ أفضل"، وابتسم لي قريبي ابتسامةً غير مُطَمئِنةٍ بأيّ شكلٍ من الأشكال.

لحقنا بكيتاي متعثّرين إلى حانة كاريوكي مجاورة، وانضمّ إلينا فريق من الموظّفين مع الفتيات ذوات الشعر الورديّ، فلفّ كيتاي ذراعيه حول اثنتين منهنّ.

سار أحد الموظّفين بجواري، وكانت ياقته مفتوحة، وهو شابٌ ظريف، ينسدل شعره الداكن على عينيه، وقد رغب في أن يتعلّم بعض الكلمات الإنكليزيّة.

قال: "سوبا" مشيرًا إلى الجهة المقابلة من الشارع.

أردّ عليه قائلةً: "سوبرماركت".

فقال ببطء: "سوبرماركت".

ثمّ قال مشيرًا إلى مقدّمة صدري: "سموّك".

قلت له: "ايزومي".

هزّ برأسه قائلًا: "لا، سموّك".

فقال تاكا من خلفنا: "الأميرة".

مكتبة
t.me/t_pdf

وردّد فريق الموظّفين: "الأميرة".

راودتني كلّ الأفكار المحرّمة التي حُذّرت منها سابقًا، ولكن يبدو أن كيتاي يعتقد أنّ كلّ شيءٍ على ما يرام، ولم يحاول أحدٌ أن يرفع الكاميرا ليلتقط صورة، لذا سأتماشى مع الموقف، وسأدع الكحول تثبّط كبوتي وهواجسي.

حانة الكاريوكي صاخبة، بل أكثر صخبًا من الحانة الأولى، والجدران زجاجيّةٌ وتبدو وكأنّها مكان ظهر في فيلم مصّاصي دماءٍ من المستقبل، وها نحن نصعد الأدراج الضيّقة المؤدّية إلى الحجرات الخاصّة، ونجلس على مقاعد من الجلد الصناعيّ، منتظرين وصول مشروباتنا، وها قد أحضر النادل شراب الساكي مع الكيوي، والمارتيني مع رقائق الشوكولا، وزجاجات جعة.

فسألني كيتاي عن لوني المفضّل، وبرجي الفلكيّ، واسم الصالون الذي أقصّ فيه شعري، بالإضافة إلى زمرة دمي.

فقلت له: "إنّها ب إيجابيّ"، وهو كذلك شعاري في الحياة أي (كن إيجابيًّا)، فغنّت الفتيات ذوات الشعر الورديّ أغنية لهيديتو ماتسوموتو، وهو صاحب الصورة المطبوعة على قمصانهنّ، إنّه مغنّي الروك الذي أصبح رمزًا للثورة وقد انتحر في سنّ الثالثة والثلاثين، وقد حضر جنازته خمسون ألف شخص، وصار فنّه بعد ذلك تراثًا.

قال متجهّمًا: "لسنا متوافقين على الإطلاق، فزمرة دمي هي أ"، وسألني وهو ينزع الملصق عن عبوة جعته: "ألا تتحدّثين اليابانيّة أبدًا؟".

ابتلعت المشروب، وشعرت بطعم الشوكولا في المارتيني، وقلت: "لا أتحدّثها بشكل جيّد، وأنا أتعلّمها الآن". يخز الإحساس القديم بعدم الأمان مؤخّرة عنقي، إنّه إحساسٌ غريبٌ بالاندماج في هذه الحانة، والشعور بأنّني لا أزال دخيلةً في الوقت نفسه. فأنا أستطيع تمييز نفسي في الوجه، والشعر والعينين الداكنتين، ولون البشرة، ولكن ليس في أيّ شيءٍ آخر، فلا أتميّز بالتصنّع، والتمسّك بالتقاليد. لقد اعتقدتُ أنّ اليابان ستكون مختلفة، وأنّني سأندمج فيها ببساطة كاندماجي مع

صديقاتي، أو كارتداء معطفٍ قديم، وعلى الرغم من أنّ بعض الأمور كانت مألوفةً بالنسبة إليّ، إلّا أنّ هناك أمورًا أخرى لن أتقبّلها مطلقًا، ولن أتمكّن من فهمها. لقد خرجتُ الليلة من الباب منطلقة إلى طوكيو، لكنّها ليست منزلي، فقدّمتُ لكيتاي خلاصةً موجزةً عن تاريخيّ العائليّ، الذي فقدْته قبل أن أولد.

حدّق إلى عنق زجاجة الجعة الخاصّة به، ثم نظر إليّ وقال: "أوضاعٌ صعبة، أتفهّم ذلك، وأعتقد أنّنا نتشابه أكثر ممّا نختلف، فلا أستطيع تخيّل المتاجرة بعائلتي، ولكنّني أستطيع تصوّر تغيّر الظروف"، وأنا أفكّر في الشيء نفسه على ما أعتقد، ثم تابع قائلًا: "لم أشعر ولا مرّة وأنا في القصر بأنّني أمير".

أومأتُ إليه برأسي، لأنّه لم يكن هناك ما يقال أكثر من ذلك، فكيتاي يفهم ما يعنيه أن تكون جزءًا من شيءٍ من دون أن تنتمي إليه بكلّ جوارحك، ولا أستطيع إلّا أن أتساءل إن كان ذلك مقدّرًا لي أيضًا، فهل أطارد شبحًا؟ وهل حُكم عليّ بالتجوّل وحيدة إلى الأبد؟

أخذ تاكا مكبّر الصوت، وبدأ بأداء أغنيةٍ هادئةٍ وحزينةٍ بعض الشيء، فبدت بصوته وكأنّها تهويدة، فنزع الموظّفون سترات بذلاتهم ورقصوا ببطءٍ مع معجبات هيديتو، وتساقطت قصاصات الورق الملوّن من السقف.

قال كيتاي: "أفتقد شقّتي في المدينة".

ابتسمت له بلطف، فأنا أعرف هذا الشعور جيّدًا، وأعرف هذا الشعور العميق، والرغبة في الحصول على شيءٍ مختلف، ومكانٍ خاصّ بك وحدك، فقلت له: "أرغب في رؤيتها".

هزّ بكتفيه قائلًا: "لم تكن مكانًا فخمًا، لكنّها كانت ملكي وحدي، آتي وأذهب كيفما أشاء، وما من حرّاس يحومون في الأرجاء، ليراقبوني ويجرّوني من مناسبةٍ إلى أخرى، وماذا عنكِ؟"

"ماذا عنّي أنا؟".

قال كيتاي: "أنا أفتقد شقّتي القذرة، وما الذي تفتقدينه أنتِ؟".

يجعل الكحول المرء دومًا أكثر صدقًا، فأفصحت له من دون تفكير عمّا في داخلي: "أفتقد جبل شاستا"، وأدركت أن ذلك حقيقيّ، فأنا أفتقد منزلي، وصديقاتي، وأمّي، وكلبي نتن الرائحة، وأفتقد الشعور بالراحة المنبعث من كلّ ما هو مألوف. فلا تدرك قيمة ما تملكه حتّى تفقده، كما أخبرته بأنّني أفتقد أيضًا الحياة الهادئة في بلدةٍ صغيرة، حيث يسير كلّ شيءٍ ببطء.

فقال كيتاي وهو ينزع الملصق عن قنينة جعته: "إذًا، عودي إلى وطنك، فهو يبدو مكانًا جيّدًا كفايةً".

شعرت بجفافٍ في حلقي وأنا أقول: "الأمر ليس بهذه البساطة"، واحتسيت القليل، ثمّ أكملت: "لا أدري، لا تستمع إليّ"، ثمّ عبست وأشحت عنه وجهي، فإنّني حقًّا أفسد البهجة.

ضحك كيتاي: "نحن ثنائيٌّ حزين، ألسنا كذلك؟".

حدقّت بكآبةٍ إلى الطاولة المليئة بالأكواب الفارغة وقلت: "حزينٌ جدًّا".

قال: "لا تقلقي، لقد أتيت إلى هنا سابقًا، وأعرف تمامًا ما علينا فعله لتحسين الوضع".

رددت قائلةً: "ماذا علينا أن نفعل؟".

ربّت كيتاي على ظهري قائلًا: "نغنّي، سنغنّي"، ثمّ وقف بالقرب من جهاز الكاريوكي، وأشار إليّ لكي أنضمّ إليه، فنقّلنا الخيارات، وتحمّست عندما وجدت شيئًا أعرفه عن ظهر قلب، وإن سألت أيّ شخصٍ في جبل شاستا، إذا كنتُ قادرةً على أداء كلمات أغنية الراب (ريغيوليت) التي يؤدّيها (وارن جي) بشكلٍ كامل، فالجواب سيكون بالتأكيد نعم، نعم أنا أستطيع فعل هذا.

وتساقطت القصاصات الملوّنة من جديد من السقف، والتصقت إحداها بشعري، فدفنت أنا وكيتاي أحزاننا، بعد أن تلاشى أثر محادثتنا السابقة في فضاء الليل، وغنّيتُ الراب، وبذلتُ أفضل ما لديّ في أثناء أداء أغنية هيديتو ماتسوموتو. إنّ الوقت بدا ضبابيًّا، فما من ساعاتٍ في حانة الكاريوكي تحدّده بوضوح. وقد

انحرفت يد تاكا قرب حافّة تنورة إحدى الفتيات ذوات الشعر الورديّ، وغاب كيتاي عن وعيه، كما أدّى الموظّفون أغنيةً للمغنّي بروس سبرنغستين مخصّصة لي، ولا أدري سبب هذه المبادرة اللطيفة، وحين حاولت أن أوضح لهم أنّ أصول المغنّي من نيوجيرسي، أصرّوا على مخالفتي الرأي، فمن أكون لأجادلهم؟ ثمّ وقفت وأنا أترنّح.

ما إن فتح كيتاي عينيه حتّى قلت له: "المرحاض".

قال: "إلى اليسار، عبر الباب، تمامًا في أسفل الرواق"، ونهض وهو يقول: "أتريدين أن أرافقك؟".

هزت برأسي رافضة، ومشيت وأنا أترنّح، فاستندت إلى الحائط، عجبًا، إنّني ثملة، فتوجّهت ببطءٍ إلى المرحاض، وعلى الرغم من أنّ المشهد أمامي كان ضبابيًّا، فقد حصلت معجزة المعجزات، ووجدته أخيرًا، إنّه مؤلّف من حجرة واحدة، ضوؤها خفيف، وفيها كرسيّ من الكروم. وعند عودتي إلى الرواق لم أتمكّن من تذكّر أيّ طريقٍ قادني إلى هذا المكان، أهو الأيسر أم الأيمن؟ واحتمالاتي كانت النصف بالنصف، فتوجّهت يسارًا، ومررت عبر بابٍ أسود اللون.

تبدّدت أصوات الموسيقى، وأدركت في الحال أنّني ارتكبت خطأً، وفجأة صُفق الباب بقوّةٍ خلفي وأنا أحاول الإمساك به، ولكن كان قد فات الأوان، فأنا في الخارج الآن، والزقاق ضيّق، ويحوي زوجًا من حاويات النفايات وأقفاصًا مكوّمة بجوار الحائط، فانقلبت معدتي من الرائحة الكريهة، وبتُّ أعلم الآن إلى أين تذهب بقايا الأسماك، وحاولتُ بالطبع فتح الباب، لكنّه مقفل. حسنًا، سيكون عليّ فقط الالتفاف حول المكان، لأجد طريق العودة إلى مقدّمة حانة الكاريوكي، فلا مشكلة، وسيكون كلّ شيءٍ بخير، ولكن برزت عقبة جديدة أعاقت تنفيذ خطّتي، وهي أنّه يوجد سياجٌ شائكٌ يحيط بالمكان، وبوّابة عريضةٌ تكفي لمرور حاوية نفاياتٍ عبرها، ولكنّها مُحكمة الإقفال، فنظرت إلى الأعلى بحثًا عن حلّ، فكان هنالك سياجٌ شائكٌ أيضًا، وهكذا أدركتُ أنّني بتّ محتجزة بين مكبّي النفايات.

ولكنّ هاتفي في جيبي الخلفيّ، فأخرجته محاولةً الاتّصال بكيتاي، ولكن ما من إجابة، فأمهلته دقيقةً أو اثنتين، ثمّ حاولت مجدّدًا ومجدّدًا ومجدّدًا، ولا إجابة: "هذه أنا، أجب"، وبدأت أتنقّل من قدمٍ إلى أخرى، وسرت رعشةٌ في جسدي، فسقطت قصاصة ورقٍ من شعري على الرصيف، وحتّى الآن لم يجب كيتاي، وفجأة انفتح الباب، ولكن من المحال أن يكون قد وصل بهذه السرعة.

إنّني على حقّ، ليس هو، إنّه الموظّف الشابّ الذي رغب في تعلّم الإنكليزيّة، ولا بدّ أنّه تائهٌ أيضًا. فعلى حانة الكاريوكي القيام بأمرٍ ما حيال هذا، كوضع حارسٍ على الباب أو خزّانٍ مليءٍ بأسماك القرش أو دبٍّ مقيّد ليدلّ على الخطر الذي يقبع في هذا المكان.

تمايل الموظّف يمينًا ويسارًا، وتجشّأ ثمّ فكّ سحّاب بنطاله، فأدرت وجهي، في حين استدار باتّجاه إحدى حاويات القمامة وأراح نفسه، وما إن أنهى التبوّل حتّى ترنّح وتعثّر فوقع إلى الخلف، واصطدم بي فأصدرت صوتًا عاليًا ما دفعه إلى الالتفات إليّ.

قال: "ساين".

ضممت يديّ ورفعتهما قائلةً: "لا أعلم ما يعنيه ذلك".

اقترب وقال ضاحكًا: "ساين"، فتردّد الصدى، وارتدّ إلى المبنى، فكنت مدركةً تمامًا أنّني محتجزةٌ مع شخصٍ غريب أضخم وأقوى منّي، فومض ضوء التحذير في رأسي، خطر، خطر، خطر، وتسارعت أنفاسي، إنّه يدفعني الآن إلى الخلف، وأستطيع شمّ رائحة الجعة المنبعثة من أنفاسه، كما أستطيع رؤية بعض الطعام العالق بين أسنانه.

قلت: "قف"، وتراجعت قليلًا فاصطدم جسدي بحاوية النفايات، لقد حصرت نفسي في الزاوية، وقلت: "أنت تخترق مساحتي الآمنة هنا، يا صديقي"، فرفعت ذراعي إلى الأعلى، فدفعني، وبدأت أرتجف وأنا مغمضة عينيّ لاستجمع قواي، ثمّ سمعت نقرًا على الباب، فهنالك صوت صرير، وأقدامٌ تتحرّك، فاختفى الثقل المنبعث من جسد الموظّف، وفتحت إحدى عينيّ، ثمّ الأخرى، ووضعت كفّي على صدري.

إنه أكيو، يرتدي سترةً رماديّةً بسيطة وبنطال جينز وحذاء كرة المضرب، وهو غاضب بشكلٍ كبير، فحمل الموظّف من عنقه ودفع به باتّجاه حائط الطوب. إنّ القراءة عن مؤهّلات أكيو على الورق شيء، ومشاهدتها على أرض الواقع شيءٌ آخر تمامًا، وقد كان جسدي يرتعش وأنا أتأمّله، ولكن لم يكن الوقت مناسبًا لأبدي إعجابي بجاذبيّته، فهذا التوقيتُ خاطئ.

قال باليابانيّة: "هل أنت فعلًا خائفة يا سيّدتي؟"، لم أفهم طبعًا أيّ كلمةً ممّا قال، لكن عمومًا، يبدو أنّه تهديد جدّيّ.

غطّت البقع الحمراء والأرجوانيّة إلى جانب لون أزرق خفيف وجه الموظّف، فأرخى يديه اللتين انسدلتا على كلا جانبيه، وقال بصوتٍ مختنق: "توقيع، أردت الحصول على توقيع سموّ الأميرة"، فرفع الموظّف يده وفتحها، ليفلت منها ورقةٌ وقلم، وما كان الأمر يستدعي أن أكون طليقةً باللغة اليابانيّة لأفهم أنّه أراد الحصول على توقيعي، فالتوقيع كان كلّ ما أراده، ولكن كان يتوجّب على شخصٍ ما التحدّث إليه بشكلٍ جدّيٍّ حول احترام الحدود الشخصيّة.

بدا فم أكيو كخطٍّ أبيض ضيّق، وفي الحال أفلته، فسقط الموظّف أرضًا، وهو يمسك بعنقه، فانحنى أكيو قائلًا: "محفظتك"، ونقّب الموظّف عن محفظة نقوده في جيبه، ففتحها أكيو، وأخرج هويّته، ثمّ رماها إليه وقال: "أنا أعرفك، انهض وانسَ كلّ شيءٍ من فضلك".

نهض، وكانت عيناه مغمضتين، وما زلت مصدومةً بعض الشيء، فقلت له وقد اتّسعت عيناي: "ماذا تفعل هنا؟ وكيف عثرت عليّ؟".

إلّا أنه لم يملك الوقت للإجابة، فترنّحتُ إلى الأمام، إذ لا تزال رائحة السمك المتعفّن تنبعث من مكبّ النفايات، كما أنّني بالتأكيد تناولتُ طعامًا وشرابًا يفوق قدرة معدتي على التحمّل، وليس لديّ خيار، فقد اتّخذ المالك قرار إخلاء معدتي، بعد أن تأخّر وقت تسديد الإيجار، فليخرج الجميع فورًا، وهذا ما حصل، فقد تقيّأت.

الفصل الثالث عشر

أنا جالسةٌ في سيّارةٍ فخمة معتمة ذات نوافذ زجاجها أسود داكن، أنتظر أكيو في المقعد الخلفيّ برفقة السائقِ، بعد أن توجّه إلى محلّ بقالة. وكنّا في شارعٍ هادئ، فلفتت نظري جريدة مجعّدة مرميّةٌ على الرصيف، تظهر عليها صورتي. فتحت باب السيّارة، والتقطتها عن الرصيف، وفي هذه اللحظة ظهر أكيو مجدّدًا، وفي يده كيسٌ بلاستيكيّ أسود اللون، فأسرعتُ عائدةً إلى السيّارة وهو يتبعني إلى الداخل.

قال: "أخبرتكِ أن تبقي في السيّارة"، ثمّ نقر على الحاجز الزجاجيّ، مشيرًا إلى السائق للانطلاق، وابتعدنا عن المكان.

كان فمي جافًّا وربما كانت أنفاسي حارّةً كأنفاس التنّين، ومع ذلك تمكّنت من أن أتكلّم: "هل ينفع ذلك معك عادةً؟ تُملي على الناس ما يفعلون، وتتوقّع منهم تقديم الطاعة العمياء لك؟".

صرَّح بشكلٍ قاطع: "نعم".

أطلقتُ زفرةً، وقلت: "هذا سخيف"، كنت أرتعش على الرغم من أنّ التدفئة مشتعلةٌ، لكنّني لم أحظَ بالدفء، فتذمّر أكيو، ثم تحرّك من مكانه، وخلع سترته، فارتفع القميص الأبيض الذي يرتديه تحت السترة إلى الأعلى، فاسترقتُ النظر إلى جسده العاري، وراقبتُ عضلاته وهي تنثني وتتمدّد، فتلاقت نظراتنا، وسحب على الفور قميصه إلى الأسفل، فتورّدتُ خجلًا، وقال وهو يعطيني سترته: "خذي".

رفعتُ ذقني، وشبكتُ ذراعيّ، وقلت له: "لا شكرًا، فأنا بخير".

"حسنًا، سأستخدمها لأنظّف القيء عن بنطالي".

أُصبتُ بالجفول، إذ كانت توجد بقع قيءٍ صغيرةٌ على بنطاله، فما هو ذلك الشيء ذو اللون البرتقاليّ الذي تناولته؟

حسنًا، إن استخدامها من أجل ذلك، يبدو خسارةً لقطعة ملابس رائعة، وليس عليه معاقبة السترة، والاستخفاف بقيمتها وجعلها ممسحةً للقيء، وأنا واثقةٌ من أنّها ستفضّلني على ذلك، فارتديتُ السترة، وكنتُ محقّةً، فرائحتها فوّاحة بالفعل، وليست رائحة العطر، بل رائحة النظافة، رائحة موادّ للتنظيف، على عكس رائحة شعري الكريهة، والتي التقطها من رائحة الحلزون المقليّ في طبق المأكولات البحريّة.

أصدر كيس البلاستيك الأسود صوت خشخشة بينما كان أكيو يخرج منه زجاجةً تحوي سائلًا شفّافًا، وكان عليها ملصقٌ أزرق اللون، وسألني: "أتشربين؟".

شعرتُ ببرودة الزجاجة وأنا أحملها بين يديّ، وقرأت الملصق، ثمّ قلت: "بوكاري سوت؟".

"إنّه شرابٌ رياضيّ، ويحتوي على مقويّات".

نزعتُ الغطاء، وشممته، ثم رشفت منه رشفة، إنّه لذيذ، بنكهة الليمون الهنديّ، ولم أكن مدركةً كم كنتُ عطشى، وخلال وقتٍ قصير أفرغتُ نصف محتوى الزجاجة، ثمّ سحب أكيو علبةً مثلّثة الشكل مغلّفةً بالبلاستيك، في داخلها الأرزّ الحلو المحشوّ بالزنجبيل، وقال: "عليكِ أن تأكلي شيئًا ما أيضًا".

عند إلقاء نظرةٍ واحدةٍ على الطعام انقلبت معدتي، فهي ليست مستعدّةً بعد، وربما لن تكون مستعدّةً أبدًا.

قلتُ له: "لا، شكرًا".

هزّ أكيو كتفيه وأعادها إلى الكيس، وجلسنا صامتين، ثمّ شربت ما تبقّى من البوكاري سوت، وراقبت انعكاس أضواء النيون من المدينة على وجه أكيو التي تجعله يبدو أزرق.

سألته: "كيف عثرتَ عليّ؟".

قال أكيو: "لم تكوني ضائعة مطلقًا، على الأقلّ بالنسبة إليّ"، فكان الجواب أكثر غموضًا، وفركتُ عينيّ، فالظلام يحيط بي من كلّ جانب، وأنا صاحية ومتعبة، ولم أكن في مزاجٍ مناسبٍ للألغاز، فتابع كلامه قائلًا: "وضعتُ جهاز تعقّبٍ لأثَرك".

تدلّى فكيّ وتسمّرت في مكاني، وقلت: "وضعتَ لي جهاز تعقّب؟".

أومأ إليّ إيجابًا، فازداد حنقي أكثر.

سألته وقد ارتفع مستوى صوتي: "أين؟".

لمعت عيناه وهو يقول: "في هاتفك المحمول".

ألقيت بالهاتف من يدي وكأنّه حبّة بطاطا ساخنة، ثم التقطته ودفعته إليه قائلةً: "أزله".

رمق السقف بنظرة انزعاج وقال: "إنّه النظام المتّبع".

هززت بيديّ أمامه وأنا أقول: "أزله الآن".

أخذ الهاتف، ونزع الغطاء، وأخرج شيئًا ما من جيبه، وهي أداة صغيرة من نوعٍ ما، وقد استخدمها لفتح الهاتف، واستخرج قرصًا معدنيًّا صغيرًا من أحشائه، ثمّ أعاده كما كان عليه، ولوّح لي به، ثمّ قوّسَ أحد حاجبيه.

انتزعت الهاتف من بين أصابعه، وقلت بحدّةٍ: "هذا ليس جيّدًا، لقد تجاوزتَ الحدود، أهنالك المزيد من أجهزة التعقّب؟".

"لا يوجد أيّ منها على حدّ علمي".

طنّ هاتفي، إنّه كيتاي يراسلني.

كيتاي: إلى أين ذهبتِ؟

كيتاي: رجاءً أخبريني بأنّك بخير.

كيتاي: كنت أعلم أنّه كان عليّ الذهاب معك إلى المرحاض.

كيتاي: يا إلهي، هل سقطتِ في المرحاض؟

كتبت له ردًّا بما معناه أنّني بخير، وأنّني سأراه غدًا ثمّ أنهيت الرسالة بشكره على هذه الأمسية الرائعة، فما كان من حاجةٍ للدخول في التفاصيل المتعلّقة بقفص

مكبّ النفايات، وعمليّة الإنقاذ الملكيّة، كما لا أريد أن أتذكّر تلك الإهانة مجدّدًا في الوقت الحاضر.

أخبرت أكيو بعد دقيقةٍ، بينما كان الغضب لا يزال يتأجّج في داخلي: "أتعلم، ربما لم يكن جهاز التعقّب كافيًا، فهل أستطيع أن أقترح عليك استخدام الطوق المكهرب؟"، إنّه اختراع مريع، وتابعت: "ربما تصبح الأمور أسهل بهذه الطريقة، وبإمكانك بكلّ بساطةٍ أن تضغط الزرّ فتصعقني كلّما اعتقدتَ أنّني اقترفتُ خطأً ما".

ضغط على أسنانه.

سألته: "ما رأيك؟".

"هل تنتظرين فعلًا إجابة؟ اعتقدت أنّه مجرّد سؤالٍ مجازيّ".

يا رجل، لو كان في استطاعتي إطلاق أشعّة ليزر من عينيّ، وأنا أحدّق إليك لفعلت، وبينما كنت أرميه بنظرات سخط، مرّر يده فوق رأسه، وقال: "أنا آسف".

رمشت عيناي، وانتظرت الأرض لتبتلعني كلّيًّا، كما انتظرت الظلال السوداء أن تعبر في السماء معلنةً نهاية الظلام، هل اعتذر أكيو للتوّ؟ لقد استغرق الأمر دقيقةً لأستوعب ذلك، نعم، لقد فعل، فمسَّدتُ بنطالي، ونظرت خارج النافذة إلى المنتزه الذي كنّا نمرّ عبره، حيث كان هناك شخصان يتبادلان القبلتحت شجرة كرز، وقد رفرفت الأزهار حولهما وكأنّها رقاقات ثلجٍ ورقيّة، فكانت البراعم قد تفتّحت لتوّها، وها هي تعود لتموت من جديد، فأحاديّة المشاعر لا تدلّ على عمقها، إنّها عبارةٌ يابانية، وهي تعبّر عن حبّ الثبات، وعن الطبيعة السريعة الزوال لكلّ شيء.

قلت: "التسلّل، واستخدام المرحاض، وعبور طريقٍ خاطئ، لا تدلّ على نهاية العالم".

قال بصوتٍ هادئ متّزن: "أنت محقّة، وأكرّر اعتذاري، فلستُ غاضبًا منك، أنا غاضب من نفسي، إذ كان من الممكن أن تتعرّضي للأذى وكنت سأعتبر مخطئًا".

عندما كنتُ في الخامسة من عمري، قرّرت أنّني لم أعد أريد عجلات الحماية على دراجتي بعد الآن، ولهذا أزلتها من دون موافقة أمّي، وقدت الدراجة وحدي من دون مساعدتها لمدّة خمس ثوانٍ عظيمةٍ ومن دون خوذة، ثم سقطت سقوطًا مدوّيًا، فاحتاج رأسي إلى قطبتين في مؤخّره، ومع أنّ الدم كان يسيل غزيرًا ولكنّه كان مجيدًا، وكذلك كان خوف أمي، ودفاعها الوحيد ضدّ هذا العجز، أنّها أصبحت غاضبةً بشكلٍ كبير.

كلّ ما قلته له بعدها: "انسَ الأمر".

توقّفنا عن الحديث لفترة، وتعبت من التحديق إلى النافذة، لكنّني لم أرد النظر إلى أكيو، فيحتك مقال الجريدة الشعبيّة بفخذي، وتظهر صورةٌ لي في المطار، والفضول كاد يحرقني، ويسيطر عليّ، فدفعت الجريدة إلى أكيو وقلت: "ما هذا؟"، وليس لديه خيارٌ سوى أن يأخذها.

تأمّلها لدقيقة متفاجئًا، وقال: "إنها صورةٌ لكِ في المطار، عند وصولك".

لا بدّ من أنّ أكيو خضع لتدريبٍ في كيفية التشتيت، وفي فنّ المراوغة.

"مفيدٌ للغاية، ماذا كتب؟".

قال: "لا أعتقد أنّه عليّ إخبارك".

هل هو سيّئ إلى هذه الدرجة؟ يجب أن أعلم الآن، وقلت: "أخبرتني أنّك آسف، وإذا أردت أن تعوّض عليّ، أخبرني ما الذي كتب في المقال".

"هل ستسامحينني إن قرأت هذا لكِ؟".

أومأتُ إليه موافقة.

فرك أكيو وجهه بيده وقال: "إنّها جريدة تدعى ثرثرة طوكيو، لا تعتبر من الصحف الحسنة السمعة".

"لاحظتُ ذلك".

"لِعِلمك، أنا ضدّ هذا".

"لاحظت ذلك أيضًا، والآن، اقرأ".

أطلق تنهيدةً عميقة، ثمّ لخّص مضمون المقال، ولم يقرأه بشكلٍ حرفيّ، بل اكتفى بتقديم موجز قصير جدًّا، وقال: "إنّه تقريرٌ عن الملابس التي ارتديتها في المطار، أجروا لقاءً صحفيًّا مع مدوّنةٍ ملكيّة، ترى أنّه كان عليك ارتداء ملابس أفضل"، إنّه أمرٌ مؤلم، ثمّ تابع قائلًا: "بالإضافة إلى ذلك، لديها ملاحظاتٌ حول سلوكك، وتقول إنّك كنت فظّةً مع حارسك الملكيّ وأنّك رفضت تحيّة الحشود عند مغادرتك، وقد صورتك على أنّك مغرورةٌ ومتحدّية"، حسنًا، هذا يؤلم أكثر، أكثر بكثير، ثم أكمل: "على أيّ حال، يبدو أنّ البوّاب أُعجب بك، وهو يسعى إلى أن يبيع المنديل الذي استخدمته، ليساعده هذا المال بعد تقاعده، وينتهي المقال بالتساؤل، لمَ لمْ يرَك أحدٌ علنًا؟ ويتوقّعون أنك ستبقين مختفية".

لفظت أنفاسي المكبوتة، إذ إنّ الأمر كان أسوأ ممّا توقّعتُ. في الواقع لم أفكّر كثيرًا في هذا الخصوص، أي حول كيف سيصفني الصحفيّون في الصحف الشعبيّة، فقد كان الحظر على وسائل الإعلام يحول دون معرفة ذلك، وكنت أصبّ تركيزي كلّه على والدي... وإنّني مذهولة الآن، فصرخت: "إذًا، هل يكرهني اليابانيّون؟".

جعّد أكيو الجريدة وتركها تسقط على الأرض، وقال: "كما قلت لك، ليست ذات سمعةٍ حسنة، فالناس دومًا يحفرون لمن هم أعلى منهم شأنًا حتّى يسقطوا".

"أنا لم أطلب هذا، لم أطلب أيًّا من هذا".

"أفهم ذلك"، هل ضبطتُ القليل من الرقّة في ملامح أكيو الحادّة؟ ثمّ قال: "لكن لا يمكننا تغيير ظروف ولادتنا، أيمكننا القيام بذلك؟".

أفترض أنّنا لا نستطيع، بالإضافة إلى أنّني لم أكن لأقايض ذلك، ولم أكن لأعود بالزمن إلى الوراء، فإنّ الأمر يستحقّ كلّ التعب حتّى هذه اللحظة، ويكفيني أن أتعرّف إلى والدي، فتحقيق الأمنيات له ثمن على أيّة حال، وهذه المرّة يسدّد الثمن على شكل رقابة عامّة. ثمّ أسندت رأسي إلى ظهر المقعد، وقلت: "أتعلم، أنّني بارعةٌ في العديد من

الأمور، ومنها التهجئة، مثلًا؟ في الواقع، كنت بطلة لعبة الرجل المشنوق سابقًا عندما كنت في الولايات المتّحدة". وشرحت اللعبة خلال فترة صمته.

قال: "إذًا فقد كنتِ الأفضل في لعبةٍ تُعلم الأطفال أنّهم إن لم يهجّئوا الكلمات بشكلٍ صحيح فقد يُعدمون؟".

فتحتُ عينيّ وحدّقت إليه، فالتوت شفته إلى الأعلى بمقدار جزءٍ من الإنش، فقد كانت مزحة.

ردّدتُ بابتسامة: "أنت محقّ، فنحن في مجتمعنا، لا نناقش ذلك بشكلٍ كافٍ".

ضحك بصوتٍ منخفضٍ مبحوح، فهل أصبح بإمكاننا الانسجام معًا؟ حسنًا، المعجزات لا تتوقّف أبدًا، وأعتقد أنّه في داخل كلّ ذلك البرود يقبع قلبٌ ينبض، داخل هذا الصدر الرائع.

سألته: "ألا توجد أيّ عصا سحريّةٍ ملكية بإمكاننا التلويح بها لجعل الصحفيّين يقولون أمورًا جيّدةً عنّي؟ أو الأفضل من ذلك، ربما يجب أن أجري مقابلةً صحفيّة، لأضع الأمور في نصابها".

قال: "أحيانًا يكون الصمت أعظم سلاح، إنّها حكمةٌ يابانيّة".

"حقًّا؟".

ضحك مجدّدًا وقال: "لا، لقد اختلقتها للتوّ".

شبكت ذراعيّ، وقلت: "ألا تعتقد أنّ السخرية أدنى من مستواك؟".

نظر إليّ مباشرةً، وقال: "لا أدري، على الأغلب، فما أعرفه هو أنّك أرفع مقامًا من هذه المطبوعات الشعبيّة، ولا يستحقّون وقتك ولا اهتمامك".

لمست صدري، وقلت: "لماذا يا أكيو؟ أعتقد أنّ هذا ألطف شيءٍ قلته لي على الإطلاق". لم يقل شيئًا، وانقطع التواصل البصريّ بيننا، فنحن الآن في نفقٍ ما، مكسوّ بالسيراميك اللمّاع من كلّ الاتجاهات، وليس هناك الشيء الكثير لمشاهدته، لكن فجأةً أجده مذهلًا، فقلت: "أنا لست واثقة".

"ممَّ لستِ واثقة؟".

قلت بابتسامةٍ حزينة: "لست واثقةً إن كنتُ أرفع مقامًا من الجرائد الشعبيّة أم لا"، أشعر في أغلب الأوقات بأنّني صغيرةٌ للغاية.

انحنى أكيو إلى الأمام، فاستحوذ على أنظاري من جديد، وباعدَ بين ساقيه، ووضع مرفقيه على أعلى ركبتيه، وشبك يديه بينهما، وقال: "إنّهم كذلك، صدّقيني".

أومأت إليه إيماءةً رافضةً، وفي داخلي تيّارٌ متصاعدٌ من الامتعاض تجاه هدوئه، وقد امتدّ النفق وطال، فنظرت إلى الأعلى، وأنا أنقر بأصابعي على المقعد، فهل أجرؤ على طرح المزيد من الأسئلة عليه؟ ففي المرّة الأخيرة التي حاولتُ فيها أن أقيم صداقةً معه، نعتني بالفجلة.

قال بصوتٍ هادئ: "أنا آسف، تعلمين ذلك، فقد لمَّح لي شخصٌ أرفع مقامًا ذات مرةٍ أنّني لست شخصًا يسهل الانسجام معه".

رفعتُ رأسي ونظرت إليه قائلةً: "لا يفاجئني هذا".

قال وقد بدا عليه طيف ابتسامة: "أميل إلى أن أكون متشبّثًا بعاداتي".

وصلنا إلى نهاية النفق، فتمكّنتُ من التعرّف إلى تلك الجدران الصخريّة المنهارة المحيطة بالقصر الملكيّ، وصلنا تقريبًا إلى المنزل، فعضضتُ علي إبهامي، وقلت: "آسفة لأنّني تقيّأت عليك"، إذا كان يستطيع أن يحّسن سلوكه، فأنا أستطيع فعل هذا كذلك، وسأبدأ بضبط ساعتي ثلاثين دقيقةً إلى الأمام، وسأتوقّف عن مقارنته بمصّاصي الدماء والقتلة المتسلسلين في ذهني.

قال: "لقد رأيتُ أسوأ من هذا".

"في سلك الشرطة؟".

أخفض رأسه ولم يقل شيئًا آخر، لن أضغط عليه بخصوص هذا الأمر أيضًا، وربما سيرغب في إخباري عن هذا يومًا ما، وقلت له: "هذا ليس منصفًا، لقد رأيتني في أسوأ حالاتي، وأخشى أنّ الطريقة الوحيدة لموازنة كفتي الميزان بيننا هي بإخباري شيئًا محرجًا عنك".

فكّرَ للحظة، ثمّ نظر إليّ بعينين نصف مفتوحتين، وقال: "لست متأكّدًا من أنّه يجب عليّ الوثوق بكِ".

"إن لم تكن قادرًا على الوثوق بأميرةٍ تتأخّر دومًا وتتسلّل إلى الخارج، بمن ستثق؟".

صرّحَ بحقيقة الأمر قائلًا: "وجهة نظرٍ سديدة، وما رأيك في التالي: عندما كنت صغيرًا كان زملائي في المدرسة يدعونني شابوتا"، وعند رؤيته لوجهي الخالي من أيّ تعبير، قال: "هذه الكلمة تعني الخنزير البنّي، إذ كان لديّ خدان ممتلئان للغاية".

تموّجت أصابعي على المقعد الجلديّ البارد، وقلت: "عجبًا، وأنا حتمًا أرغب في رؤية صورة لك".

هزّ بكتفيه قائلًا: "أحبّ الكعك، ولا أخجل من ذلك".

توقّفت السيّارة، وفُتحت بوّابة القصر مصدرةً صوت صرير، وبدا من الإنصاف تمامًا أن أشاركه لقبي أيضًا، فقلت: "أمّي تدعونني زوم زوم".

قال مع نصف ابتسامة: "إنّه يلائمك".

استقمت قليلًا في مقعدي، وانطلقت السيّارة مجدّدًا، وبقي لدينا فقط بضع دقائق معًا، فهل بإمكاني الوثوق به؟ أينبغي عليّ الوثوق به؟ وقلت: "لستُ متأكّدةً من أنّني خلقتُ لأكون أميرة".

قال: "أفهم ذلك، وأنتِ الآن برفقة الصحبة المناسبة، فأنا أيضًا لستُ واثقًا من أنّه مقدّرٌ لي أن أكون حارسًا ملكيًّا".

إنّه جادّ، وهنالك نوعٌ من الهشاشة في اعترافه، ولستُ متأكّدة، لكنّني قد أكون أوّل من يخبره بهذا على الإطلاق.

توقّفت السيّارة، وتحرّكنا مبتعدين عن بعضنا، ولا أدري لماذا، لكنّني شعرت كما لو أنّه قد أُلقي القبض علينا، وفتح السائق الباب، وما إن ترجّلت حتّى عصف بي الهواء البارد، وفجأةً شعرتُ بالوحدة، وبأنّني تائهة مجدّدًا، فاستدرت، وقلت له وأنا ممسكة بالباب المفتوح: "شكرًا على إنقاذي".

تفاحة آدم تعمل في حنجرة أكيو، فأحنى رأسه بالطريقة المحترمة نفسها التي رأيتُ الآخرين يقومون بها مع والدي. ولم نعد إلى حيث بدأنا، ولكنّنا لسنا في المكان نفسه حيث انتهينا.

قال: "إنّه واجبي"، وخرجتُ من السيّارة وسرت باتّجاه الباب، فسمعت صوت أكيو قبل أن أتوجّه إلى الداخل، وهو يقول: "لكن... على الرحب والسعة".

الفصل الرابع عشر

وجدت نفسي فجأةً في يوم العطلة، إنّه أمرٌ نادر الحدوث وغير مسبوق ولا يمكن تصوّره، فقال السيّد فوتشيجامي إنّه ربما عليّ الذهاب إلى مكانٍ ما في طوكيو، وأنا أعرف تمامًا أين أرغب في قضاء يومي: مؤسّسة تربية الكلاب الملكيّة، فأنا بحاجةٍ إلى ذلك، بالرغم من أن أكيو أخبرني أنّ جريدة ثرثرة طوكيو كانت أدنى من مستواي، ولكنّ إخراج ذلك المقال من ذهني صعب، وكذلك من الصعب بصراحة، ألّا أستغرق في التفكير الزائد بشأن كلِّ شيءٍ خاطئٍ قد أرتكبه. وستنطلق غدًا سلسلةٌ من المناسبات، وسأرافق والدي في نزهاتٍ عامّةٍ خارج القصر، وستكون الصحافة حاضرة، وهي انطلاقة تجريبيّة من نوع ما قبل زفاف رئيس الوزراء، فشعرت بالقلق وتوتّر الأعصاب، فماذا ستقول الصحافة عنّي؟ وهل بالغتُ في الابتسام؟ ألم أبتسم بشكلٍ كافٍ؟ وفكرة رؤية مجموعة من الجراء الملكيّة فكرة سديدة حتّمًا.

نحن الآن في طريقنا إلى مؤسّسة تربية الكلاب الملكيّة. إنّه يومٌ جميل، فالشمس مشرقة، وما من غيومٍ ملبّدة في السماء، وأخيرًا أزهرت أشجار الكرز وأثقلت بوزنها أغصانها. وقد جلست ماريكو بجواري، وفضحتها حركات جسدها التي تعلن بوضوح أنّها تفضّل أن تكون في أيّ مكانٍ آخر، وقد وضعت لفافة من ضماداتٍ بشكلٍ بارزٍ في حقيبة يدها وعلبة مناديل لأنّه على حدّ قولها: "الكلاب تجعلها تعطس".

جلس أكيو في الجهة المقابلة لنا، وبدا مشتّتًا، وشاحبًا قليلًا اليوم، وأكثر غضبًا من المعتاد، وكان هاتفه يطنّ كلّ بضع دقائق، وهو يسحب إصبعه على شاشة الهاتف متجاهلًا المكالمة، ولكنّه لم يطفئه. هل ذكرتُ أنّه كان متجهّمًا؟ هذا جديرٌ بالملاحظة.

تساءلتُ إن كانت صديقته هي سبب تجهّمه، فلم يتطرّق سابقًا إلى ذكر أيّة فتاةٍ على الإطلاق، وتخيّلت المرأة التي قد يواعدها أكيو، نظيرته الأنثى، فأنا أعرف هذا النوع، أو أنّني قد رأيته في الكتب الهزليّة وأفلام الحركة، ولا بدّ أنّها جميلة، وعنيفة وتمارس الرياضات القتاليّة فقط من أجل المتعة، وطنّ هاتفه مجدّدًا.

أخيرًا سألته: "هل من خطبٍ ما؟"

هزّ برأسه لمرّةٍ واحدة، وقال: "لا، سيّدتي"، وشدّ قبضته على الهاتف.

تحدّثت إليه ماريكو باللغة اليابانيّة، فعبستُ في وجهها، إذ لا يعجبني قيامها بهذا التصرّف، وهي غالبًا ما تفعل ذلك عمدًا، وهدفها أن تخرجني من المحادثة، والأسوأ من هذا هو عندما أكون أدرك أنّها تتحدّث عنّي، حيث أسمع اسمي يُذكر بشكلٍ متقطعٍ بين الكلمات الغاضبة، ولم ينطلق اسمي هذه المرّة من بين شفتيها، ولكنّني فهمتُ كلمةً واحدة: أُمّ.

كان جواب أكيو لها سريعًا ومقتضبًا.

والتوى فم ماريكو من القلق.

يجب أن أعرف ما الذي يحدث بعد هذه التصرّفات المريبة، فوكزتُ وصيفتي بيدي، وسحبَت مرفقها بعيدًا عنّي، وأمسكت به، وفركته بقوّة وبدا أنّني آذيتها، ثمّ سألتُ بصوتٍ منخفض: "ماذا يحدث؟".

قالت ماريكو: "كلّ شيءٍ بخير"، من الواضح أنّه ليس كذلك.

حدّقتُ إلى أكيو بشكلٍ مباشر، وقلت: "هل من خطبٍ بخصوص والدتك؟".

كان بوضعيّةٍ متصلّبة، وقال: "ما من مشكلة يا سيّدتي، تحتاج والدتي إلى الدواء ووالدي لا يستطيع تركها الآن والذهاب إلى الصيدليّة، فطلب منّي أن أحضره، وأخبرته أنّني لا أستطيع مغادرة العمل".

استرخيت في مقعدي مجدّدًا، وأنا أفكّر، فبدا جليًّا ما ينبغي لنا القيام به، وسألتُه: "أين الصيدليّة؟".

قال أكيو: "عفوًا؟".

نطقتُ بشكلٍ مبالغ به: "أين هو مكان الصيدليّة؟".

انتصب، وهزّ برأسه.

ألححت عليه: "الاسم والعنوان من فضلك".

قالها بهدوءٍ، لكنّني سمعتها بوضوح، وقبل أن أنسى، سحبت الحاجز الذي يفصلنا عن السائق، وقلت له بصوتٍ مرتفع: "لقد حدث تغييرٌ في الخطط، وسنذهب إلى..." أعطيته عنوان الصيدليّة: "ثمّ سنذهب إلى...". استدرتُ نحو أكيو وقلت: "ما هو عنوان منزلك؟".

قال: "لا أعتقد...".

تدخّلت ماريكو وقالت: "إنه يسكن في كيجوي قرب المعبد"، وعند رؤيتها لوجه أكيو وقد ارتسمت عليه تعابير الذهول، قالت: "إذا كان هذا هو المكان الذي ترغب الأميرة في الذهاب إليه، فسنذهب إليه".

فكّر أكيو مليًّا في الوضع وبعد دقائق قال: "عشر دقائق في الصيدليّة وعشر دقائق أخرى في منزل والديّ، ثم نذهب إلى مؤسّسة تربية الكلاب الملكيّة".

هززتُ بكتفيّ وقلت: "أيًّا كان ما تريده"، وتذكّرت محادثتنا على الشرفة في القصر، وتذكّرت قوله: من الناحية التقنيّة أنا رئيسك، "أنت الرئيس في نهاية المطاف".

سرعان ما أصبحنا أمام الصيدليّة، وجعلني أكيو أعده مرّتين بأنّني لن أتزحزح مقدار إنشٍ واحد قبل أن يعود، وقالت ماريكو على مضض: "إنّ ما تفعلينه أمرٌ لطيفٌ للغاية"، ثمّ تابعت: "يعرف والدانا بعضهما، إنّ ما يحدث مع والدته...". خرجَت عن السياق وقالت: "هذا ليس منصفًا".

ازدردت لُعابي، إنّها أوّل كلمةٍ لطيفةٍ تقولها لي ماريكو وقد جعلتني عاطفيّة، فقلتُ لها: "من اللطف أن تقولي لي هذا".

تذكّرَت ماريكو أنّها لا تحبّني، وقالت: "نعم، حسنًا، سأفعل في الواقع أيّ شيءٍ يجنّبنا الذهاب إلى مؤسّسة تربية الكلاب".

فُتِحَ باب السيّارة ودخل أكيو، حاملًا بيده كيسًا ورقيًّا أبيض اللون.

توقّفنا بعد نصف ساعةٍ بجانب حاجزٍ حجريّ، حيث يقع المنزل الصغير بين برجين من الإسمنت، ووراء البوّابة، كان هنالك رجلٌ طويلٌ رماديُّ الشعر يختلس النظر من وراء الستائر، إنّه والد أكيو، وهما يتشاركان الفم المسطّح الرفيع نفسه، والعينين المبطّنتين، ومن الجيّد معرفة أنّ الحواجب الكثيفة صفةٌ متوارثةٌ في العائلة، ثمّ أضاءت شاشة هاتف أكيو، وقال: "رأى والدي السيّارة الملكيّة وعرف أنّك في داخلها، وهو يعرض استضافتك، ولكن لا تقلقي، فسأختلق له عذرًا"، وهمّ أكيو بالنزول من السيّارة، فتبعته منتظرة ماريكو التي تهزّ برأسها رافضة النزول، حسنًا، بإمكانها البقاء في السيّارة.

لم يلاحظني أكيو، وسوف يلعنني، فهو بالفعل يعتقد أنّه عندما يعطي أمرًا ما سيكون مطاعًا طاعةً عمياء، وعبرَ البوّابة وأنا ألحق به، فتردّد صدى خطواته على البلاط المكسو بالطحالب، وكذلك خطواتي، فالتفت إلى الخلف، وقال: "أنتِ لستِ في السيّارة؟".

ابتسمت له مع غمزةٍ، وقلت: "نعم، أكيو، أودّ أن أقابل والديك وأرى منزل طفولتك، وشكرًا جزيلًا لأنّك سألتني".

"والدتي مريضة".

"فهمت هذا، وهل هو مرضٌ معدٍ؟ هل من خطرٍ على صحّتي وسلامتي؟ أم على صحّتها وسلامتها؟".

هزّ برأسه، وقال: "لا، ولكن..."

مددت يدي وبسطت راحتي وقلت: "إذًا أرجوك، دلّني على الطريق".

تنهّد بصوتٍ مرتفعٍ قبل أن يواصل مسيره، فرحّب بنا والده عند الباب، وانحنى أمامي، ثمّ أسرع إلى إعداد الشاي بعد أن بقيت وحدي في غرفة الجلوس، وحالما جلست، اختفى أكيو في آخر الرواق، مع الكيس الأبيض في يده.

بالطبع، لم أبقَ حيث تُركت في الغرفة المفروشةِ بشكلٍ بسيط، فكان فيها أريكةٌ ذات لون أزرق داكن وكرسيٌّ خشبيّ ذو خطوطٍ واضحة، ورفوف الكتب تصطفّ

على الحائط، وهي مكتظّةٌ بأغراضٍ متنوّعة، وأغلفة الكتب ذات الألوان الزاهية، ما أضاف لمسة أناقة وإشراق.

هنالك صورٌ مؤطّرةٌ معلّقة على جدران الرواق، سرتُ باتّجاهها، فكانت المراحل العمريّة لحياة أكيو، وهو طفلٌ حديث الولادة، وهو يدرج، في مرحلة ما قبل المدرسة، في المدرسة الابتدائية، إنّه صحيحٌ فعلًا: كان لديه خدا سنجابٍ ويخبّئ البندق في فمه، إنّ ما يُمحي تلك الروعة هو عبسة أكيو الصغير، إذًا فهو كذلك منذ ولادته. كما أنّني لاحظت أنّه الابن الوحيد، نعم! عرفتُ ذلك، فبإمكاننا معرفة بعضنا، وربما لهذا السبب نتعارك كثيرًا، ونحن معتادان على أساليبنا الخاصّة، إلّا أنّني أفضل في المشاركة على الأرجح، وستؤكّد نورا ذلك كلّيًّا، أمّا الصورة الأخيرة فكانت حديثة، هي صورةٌ له وهو يبدو أنيقًا في بذلة الحرس الملكيّ، ووالداه يقفان إلى جانبه، وهما يشعران بالفخر.

هنالك بابان في آخر الرواق، وكلاهما متصدّعان، ثمّ ظهر أكيو، وقد ثنى جسده الكبير على كرسيّ بجوار سرير، وهو يمسك بيد أمّه، ويتكلّم معها برقّة، وعندما استدار قمتُ بحركةٍ سريعةٍ وانتقلت إلى الغرفة الأخرى.

هنالك أريكة، وتلفاز، ومكتب، وملصقاتٌ معلّقة، ونماذج طائراتٍ متناثرةٍ على كلّ سطحٍ متوفّر، فلمستُ مقدّمة إحداها، فأصدرت المروحة صوت طنين.

أجفلتُ عند سماع صوت أكيو يقول: "كانت هذه غرفتي".

طبقةٌ سميكةٌ من الغبار تغطّي الرفوف، قلت: "كانت؟"

"أعيش الآن في الأراضي الملكيّة، في مساكن الموظّفين".

أومأتُ إليه بنظرةٍ خاوية، فبالرغم من أنّني متفاجئة، يبدو أنّني لم أفكّر بعمقٍ في التعرّف إلى حارسي الملكيّ، وما من وقتٍ أنسب من الوقت الحاضر لذلك، فقلت: "هل تحبّ نماذج الطائراتِ إذًا؟".

بقي صامتًا، حسنًا، سأتحدّث في موضوعٍ آخر، وقلت: "هل والدتك على ما يرام؟"

"إنّها بخير"، وخطا داخل الغرفة، ولا يزال الباب نصف مغلق، والجوّ هادئ جدًّا في المنزل، وبدا الأمر وكأنّنا بمفردنا... وكأنّنا الشخصان الوحيدان في هذا الكون، وقال: "تعاني من بداية خرفٍ مبكر"، أوقف المروحة عن الدوران بإصبعٍ واحدة، وقال: "تقاعد والدي من الحرس الملكيّ من أجلها، وهو الآن يمضي أيّامه في تمريضها، ليملأ الفراغات في ذاكرتها".

مكتبة
t.me/t_pdf

"أنا آسفة".

رفع كتفيه مرّةً أخرى، كما لو أنّ ذلك لا يعني شيئًا، وكأنّه لا يعني أيّ شيء على الإطلاق، لكنّني تصوّرت كم كان الحمل كبيرًا، وقال: "تمرّ بأيام جيّدة وأخرى سيّئة، وأحيانًا تتجوّل، وهو لا يرغب في تركها وحدها"، توقّف ثمّ تابع: "شكرًا لكِ على هذا".

لقد حان دوري لأهزّ بكتفيّ استهجانًا: "لا شكر على واجب، فأنا من أشدّ المعجبين بالأمّهات بشكل عام"، أنا في الواقع من أشدّ المعجبين بالنساء، لأنّنا رائعات، فالتوت زاوية فمه إلى الأعلى. كان من اللطيف أن أراه يبتسم مجدّدًا، وهذا يعني لي شيئًا ما، يجعلني سعيدة، فنظرت إلى حذائي قائلةً: "أتعلم؟ اعتقدت أنّ صديقتك من تتّصل بك".

ظهرت الخفّة في صوته وهو يقول: "هل اعتقدت ذلك فعلًا؟".

خاطرت بأن ألقي نظرة سريعة عليه، نعم، لا بدّ أنّه مستمع: "هذا لا يعني أنّه شيء مهمّ بالنسبة إليّ بالضرورة، إلّا أنّني أعتقد أنّه يجب أن أعلم إن كان لديك التزامات أخرى قد تشتّتك وتبعدك عن عملك"، فزممت شفتيّ، ونظرت بإمعان إلى الغرفة وتصرّفت بطبيعيّة.

شرح ما بدا أنّه صحيح: "لن تشتّتني صديقة ما، ما كنت لأسمح بذلك، وليكن بعلمك، ليس لديّ صديقة".

ارتعشت شفتاي ولكنّني حافظت على تكشيرتي.

"ماذا عنك؟ هل هناك شخص ما في حياتك في موطنك؟"، صمت لحظة، ثمّ تابع: "هل لديك من قد يلهيك عن واجباتك الملكيّة؟ أعتقد أنّه يجب أن أعلم

بذلك أيضًا، تحسّبًا فقط، لاعتبارات أمنيّة"، وقد بدت نبرة صوته عاديّة.

هذا منصف بما فيه الكفاية: "لا، كان لديّ صديق، ولكنّنا افترقنا منذ عام، فكان يلتقط الكثير من الصور له، وهو واقف أمام المرآة".

مجرّد التقاط صورة واحدة بهذا الشكل يعتبر كثيرًا.

أظهر تعبيرًا غريبًا وقال: "لم ألتقط في حياتي كلّها مثل هذه الصور".

"من الجيّد معرفة هذا".

أنهيت دورة كاملة حول الغرفة، ووقفت مجدّدًا أمام أكيو.

قال: "لم ألتقط في حياتي حتّى صورة لنفسي".

"هذا أفضل"، بالرغم من أنّ هاتفي مليء بمثل هذه الصور، وأظهر في معظمها مع نورا متظاهرتين بأنّنا نمسك بجبل شاستا بين سبابتينا وإبهامينا، وتفحّصت طائرة خضراء لها جسم فضّيّ وشرائط صفراء على جناحيها.

"هذه طائرة ميتسوبيشي إي-6-إم، حلّقت خلال الحرب، وتحوّلت معظمها إلى طائرات انتحاريّة في النهاية".

أنا أعرف مصطلح (الطائرات الانتحاريّة) أو الرياح الإلهيّة، فعقلي مليء بصور طائرات تهبط من السماء كالزنابير التي تهبط من أعشاشها مهاجمةً، ثمّ تصطدم بالأرض وتنفجر والطيّارون في داخلها: "هل من الممكن أن تفعل ذلك؟".

رمشت عيناه: "أتقصدين، هل أموت من أجل بلدي؟ أجل بالطبع"، ولابدّ أنّ هذا من متطلّبات أن تكون حارسًا ملكيًّا.

إنّ فكرة أن يتلقّى أكيو طلقةً دفاعًا عنّي أكثر ممّا أحتمل التفكير فيه، أصبح حلقي جافًّا، ولا أريد التحدّث حول هذا بعد الآن، وقلت له: "قالت ماريكو إنّ والدك عمل مع والدها".

"معظم المناصب الملكيّة وراثيّة، تورّث مع مرور الوقت".

قلت: "كأنّها مُلكيّات".

"أجل".

هذا شيء آخر نتشاركه، لقد ولدنا كلانا لنؤدي أدوارًا محدّدة، وأقدارنا محدّدة مسبقًا.

وقفنا أقرب إلى بعضنا، وحدّق إليّ لفترة طويلة، فتساءلت إن كان يشعر بما أشعر به أيضًا، هل يشعر بهذا التيّار الكهربائيّ الذي يجذبنا؟ وبدأت أشعر بالخجل: "هل هناك شيء ما على وجهي؟"، مسحت خديّ باحثةً عن فتات، أو ربما بقعة من مورّد الخدود موضوعة بشكل خاطئ، ولكن ما الذي أقوله؟ ما كانت ماريكو لتسمح بحدوث مثل هذا.

هزّ برأسه: "لا".

"لماذا تحدّق إليّ إذًا؟"، فأصبحنا أقرب أكثر، وكاد صدرانا أن يتلامسا، فمسّدت باطن راحة يدي بإبهامي، بعد أن شعرت بحرارة أنفاسه.

"أنا أحاول اكتشافك وحسب".

هل هذا هو كلّ شيء؟ حظًّا موفّقًا في ذلك، فقد حاول رجال أفضل منك فعل هذا، وهذا ليس صحيحًا، لقد قبّلت عددًا عاديًّا من الضفادع بالنسبة إلى أميرة، وانخفض صوتي: "أخبرني عندما تصل إلى فكرة ما".

"اعتقدت أنّك سخيفة بعض الشيء في البداية"، مذهل! قل كلّ شيء بشكل مباشر، ثمّ تابع: "لكنّني كنت مخطئًا، وأعتقد أنّك ملتزمة جدًّا تجاه الأشياء التي تهتمين بها، كما أعتقد أنّك تنجرّين وراء قلبك".

حدّقنا إلى بعضنا صامتين.

سمعنا صوت نحنحة قادمًا من جهة الباب، فقفزنا مبتعدين عن بعضنا، كما حدث في السيّارة ليلًا، وتبدّد وانفصّ التيّار الكهربائيّ، حين تحدّث والد أكيو باللغة اليابانيّة.

قال بخشونة لأكيو: "الشاي جاهز".

قُدِّمَ الشاي في غرفة الجلوس، فكان شاي ماتشا الأخضر اللامع مع إنشٍ من الرغوة المخفوقة في وعاءٍ صينيٍّ مصقولٍ أزرق اللون، وبينما كنّا نرتشفه معًا، استرقت النظر إلى أكيو، فاحمررت خجلًا، وأشحت بنظري بعيدًا، إذ لا يزال صدى كلماته الأخيرة يتردّد في رأسي. (أعتقد أنّك تنجرّين وراء قلبك).

ثرثرة طوكيو

مشاهدة الفراشة الضائعة ووالدها وليّ العهد في أرجاء المدينة

الثاني من نيسان – 2021

خلال مغادرة صاحب الجلالة وصاحبة الجلالة هايهيتو البلاد في زيارةٍ رسميّةٍ إلى فيتنام، خرج ابنهما صاحب السموّ وليّ العهد هايهيتو إلى المدينة لحضور سلسلة من المناسبات العامّة غير الرسميّة مع ابنته، صاحبة السموّ الأميرة إيزومي.

حضر الاثنان في يوم الاثنين مهرجان آسيا والمحيط الهادئ الثاني والأربعين وبازار طوكيو الخيريّ، وبينما كانت الأميرة تسير وهي تتفرّج، سبقت والدها لتحيّي سعادة السفير سام سورم في كشك الحرف اليدويّة الكمبوديّة في السفارة الملكيّة، وكان تصرفًا خاطئًا بالمعنى الحرفيّ، فما من أحدٍ قد أعلَمَ الأميرة بأنّه كان عليها انتظار أن يرحّب سعادته أوّلًا بوالدها، وليّ العهد، وعلى الأرجح أنّ الأميرة إيزومي كانت فقط تنفّذ أحد تقاليدها الأميركيّة، السيّدات أوّلًا، أليس هذا ما يقوله الغربيّون في معظم الأوقات؟

يوم الأربعاء، حضر الاثنان افتتاح معرضٍ فنّيٍّ وتبادلت الأميرة إيزومي أطراف الحديث مع أحد الحضور، وهو الفنّان يوكو فوجيتا المثير للجدل، الذي كان معارضًا ناقدًا للعائلة الملكيّة، فسارع مسؤولو العائلة الملكيّة إلى إنهاء هذا الحوار، إلّا أنّ جريدة ثرثرة طوكيو حرصت على الحصول على صورةٍ حصريّة لهما وهما يدردشان.

في النهاية، رصد الأب والابنة يوم الخميس في مباراة الموسم الافتتاحيّة للبيسبول، وشوهدا في المقصورة الملكيّة، مرتديين قبّعتين متطابقتين ويتشاركان كوبًا من المثلّجات (صورة للأميرة إيزومي وهي تشير بيدها إلى اللاعبين). وفي وقتٍ لاحق، حيّا الاثنان الفريقين المتنافسين، وبدا على الأميرة إيزومي الإعجاب بأحد اللاعبين أكثر من الآخرين.

الحدث التالي هو حفل زفاف رئيس الوزراء أداتشي، وستحضر العائلة الملكيّة بأكملها بصفةٍ رسميّة باستثناء الإمبراطور والإمبراطورة، فهل هناك أحدٌ ما اسمه ليس موجودًا على قائمة الضيوف؟ إنّها شقيقة رئيس الوزراء، ساداكو أداتشي، لأنّ العداوة مستحكمة بين الاثنين منذ أن كتبت ساداكو بيانًا لاذعًا اتّهمت فيه رئيس الوزراء بالخيانة وإخفاء وجهات نظرٍ رجعيّةٍ عن التاريخ اليابانيّ (إنكار استخدام نساء المتعة خلال حرب المحيط الهادئ). وتفيد الشائعات أنّ رئيس الوزراء طرد موظّفًا لتطرّقه إلى ذكر شقيقته أمامه، وللأسف لن يُسمح للمراسلين بالدخول إلى الزفاف وحفلة الاستقبال الفاخرة، ومثل باقي صحافة طوكيو، سنكون قادرين على المشاركة فقط من خلف الكواليس، ولكن يا له من منظر واعد...!

الفصل الخامس عشر

دفعت ماريكو بحذر دبوس الشعر اللؤلؤيّ الأخير في شعري، ثـم خطـت إلـى الخلف لتعاينني، ما منعني من رؤية المرآة ذات الطـول الكامـل، ثـمّ خفضـت ذقنهـا دلالةً على موافقتها، وقالت: "والآن، أنتِ جاهزة".

وما إن ابتعدت عن مكانها حتّى رأيـت انعكـاس صـورتي علـى المـرآة، حسـنًا، لابدّ أنّها رمتني بسحرها، بعد أن صقلت أظافري ولمّعتها وطلتها بلونٍ خفيف، فـلا مزيـد مـن اللـون الـورديّ الغريـب بعـد الآن، ثـمّ قَصَّـت غـرّتي حتّـى حافّـة حـاجبيّ، وصفّفت شعري بشكل كعكةٍ منخفضـة إلـى الخلـف، وزيّنتـه بلآلـئ الميـاه العذبـة، وكان ردائي الطويل حتّى الأرض مصنوعًا من الحرير والأحجار الكريمة ويتلألأ في الضوء.

وضعت ماريكو في يدي حقيبةً مطابقةً للون الثوب، فكانت خفيفةً، وقالت لي: "فيها أحمر شفاه وكريم التغطية في حال احتجتِ إلى إضفاء بعض الإشـراق، نعـم، وضعتُ هاتفك هنا، لكن رجاءً أبقِه صامتًا"، فقوّستُ أحد حاجبي وكأنّني أقول لهـا إنّني لا أستطيع تصديق ذلك، في أغلب الأيّام كانت تخبّئ هاتفي، وتستمتع بإخفائـه بعيدًا عنّي حتّى أنهي مهامي اليوميّة.

تبعتني حتّى الباب الأماميّ وألقت عليّ مزيدًا من التعليمـات: "تأكـدّي مـن أن تسيري خلف والـدك عنـد دخـول القاعـة. ولا تتحـدّثي مـع أحـدٍ سـوى الأشـخاص الذين تعرفينهم أو الذين سبق لك أن التقيت بهم، كنت أتمنّى لـو كنّـا نملـك الوقـت لمراجعة صور كلّ الحضـور وتصـنيفهم حسـب انتمـائهم السياسيّ، ولا تبـدي أيّ تحيّز، ولا تشيري بيدك". خلال الأيّام القليلـة الماضـية، كانـت ماريكو تسـارع إلـى

تنبيهي عندما أقترف أيّ خطأ، وقد اقترفت الكثير من الأخطاء في البازار الخيريّ، وفي افتتاح المعرض الفنّيّ، وفي مباراة البيسبول.

ظللت أمشي، وقد ظهرت عقدةٌ عصبية بين حاجبيّ، قد يساعدني وجود والدي هنا، ولكن كان لديه مناسباتٌ متعاقبةٌ هذه الليلة، وسنلتقي في حفل الزفاف، وسيكون أكيو مرافقي، بالحديث عنه...

كان يقف في منتصف غرفة الجلوس يرتدي ملابس رسميّة واضعًا إحدى يديه في جيبه، فزال بعضٌ من قلقي، يا إلهي! رؤية أكيو بلباس رسميّ يستحقّ تصفيقًا حادًّا.

سألت ماريكو: "هل تحتاجين إلى أيّ شيء آخر؟"

"لا، شكرًا جزيلًا لك"، أبقيت نظراتي على أكيو.

تابعت: "تذكّري أن تجلسي باعتدال فحسب، وإذا احتجت إلى بعض الوقت بمفردك، اذهبي إلى المرحاض..."

ابتسم أكيو لي، وابتسمتُ له ببلاهة، وقال وهو مسمّر عينيه عليّ: "سأعلمك عندما نكون في طريقنا إلى المنزل".

قالت ماريكو بعد لحظة: "بالطبع، سأجهّز الغرفة لها عندما تعود".

أومأ أكيو إليها برأسه، وغادرت ماريكو، وكان ينبعث ضوء خافت من المصباحين في الغرفة، وقال: "يجب أن تكون السيّارة هنا قريبًا، سأتّصل وأرى أين أصبحت".

تمتمتُ لأوقفه: "لا، أحتاج إلى دقيقةً أخرى من فضلك"، أنا متوتّرة مرّة أخرى فجأةً، فحفل زفاف رئيس الوزراء حدث عظيم الأهمّيّة، وستكون الصحافة في الخارج، وسيكون أفراد عائلتي وشخصيّات مرموقة من المجتمع اليابانيّ في الداخل، وسأُراقب بدقّة، فتفحّصت أطراف ثوبي، وتساءلت، هل هو طويل جدًّا؟ هل سأتعثّر به؟ هذا كلّه حقيقيّ أكثر من اللازم.

تنفّست بعمق، وحاولت التحرّر من قلقي، وتذكّرت الحدث الأعظم الذي يثير انزعاجي: "حفلة التخرّج ليلة الغد"، لقد أرسلت لي البنات قبل عدّة أيّام صورًا وهنّ يجرّبن فساتينهنّ، لحضور الحفلة التي اتّخذت حقبة الثمانينيّات نموذجًا لها.

"هل هي في الغد حقًّا؟".

أنا متفاجئة من أنّه لا يجبرنا على الخروج من الباب، ولكنّني لست مستعجلة، ويبدو أنّه ليس مستعجلًا أيضًا.

أنا غاضبة وغير قادرة على تصفية أفكاري: "أتعلم ما الذي سأفتقده بعدم ذهابي؟"، إلى جانب المشروب الدافئ والإضاءة الخافتة وتلك اللحظة المربكة التي ألتقي فيها بصديقي السابق مع الفتاة التي خانني معها؟ "سأفتقد الرقص، هلّا رقصت معي؟"، أنا بلهاء بعض الشيء، ولكنّني أشعر بالشجاعة نوعًا ما، وبأنّني جميلة على الأقلّ.

نقّل وزنه بين رجليه وفرك ذقنه: "لست واثقًا من ذلك".

"أرجوك، رقصة واحدة فقط"، بالإضافة إلى القليل من الوقت الإضافيّ الذي أمضيه في مكان آمن ودافئ بعيدًا عن العيون المفترسة: "هذا كلّ ما أطلبه، لأجل الحفلة التي ستفوتني"، الحقيقة هي أنّني على الأغلب كنت سأرقص رقصة رومنسيّة مع نورا، لقد سبق لنا أن قمنا بذلك، ثمّ ستقاطعنا بعد ذلك هانساني وغلوري.

"لا يوجد موسيقى".

"أستطيع حلّ هذا"، أخذت هاتفي وبحثت بين الخيارات وضغطت زرّ تشغيل الأغنية ورفعت الصوت، ثمّ وضعت الهاتف والحقيبة على طاولة القهوة، وطويت ذراعي أمامي، فكان على أكيو أن يبدأ حركته الآن، فلن أجعله يرقص معي إن كان لا يريد ذلك.

لكنّه صار قبالتي حينها، واضعًا يديه على وركي، وقد شعرت بارتعاش بسيط قبل أن يشدّ قبضته، فوضعت يديّ على كتفيه وتمايلنا، هذا يشبه رقصات المدرسة المتوسّطة، فهمهم: "لم يسبق لي أن سمعت هذه الموسيقى".

"لم يسمعها كثيرون، إنّها جوقة الرجال غير الأسوياء من جبل شاستا".

"لا تبدو الأصوات صادرة عن جوقة كاملة".

"إنّها مؤلّفة في الواقع من شخصين، غلين وشريكه أدريان، إنّهما حطّابان، ويعتقدان أنّ بيتي ميدلر كنز وطنيّ، وسيحاربان أيّ شخص يقول العكس، ويتألف ألبومهما كاملًا من أعظم أغانيها ونحن الآن نستمع إلى أغنية (ذا روز)".

"إنّها لطيفة، أحبّ صوتيهما، وخصوصًا الصوت الأعمق".

"أجل، إنّه صوت أدريان، يؤدّي عادةً الغناء الفرديّ"، يذكّرني أكيو بغلين، وهو من النوع المتزمّت.

صمتنا واستمعنا إلى الموسيقى، واقتربنا أكثر من بعضنا، ووجدت رأسي على صدره بطريقة ما، وأحسست بيديه المتصلّبتين على ظهري، ولعقت شفتيّ واستمتعت بتألّق السعادة.

"هل اكتشفتَ أيّ شيء آخر عنّي؟".

أصدرَ صوتًا من مؤخّرة حنجرته وقال: "حسنًا، دعينا نرَ... لديكِ تلك العادة بتحريك يديك وأنت تتحدّثين، فأصابعك معبّرةٌ للغاية، وأنتِ تهمهمين أيضًا عندما تأكلين، وكأنّك لا تستطيعين التحكّم بذلك، فكم يجعلك الطعام سعيدةً! ويعجبني أنّك تجدين البهجة في مثل هذه الأمور البسيطة".

أردتُ أن أخبره بأنّني أنا أيضًا أصبحت أعرفه، وهو يحبّ بعمق، ورأيت الطريقة التي انحنى بها تجاه أمّه، الطريقة الحنون التي لمس بها حاجبها، وكيف قدّم لها كأس الماء.

قلت: "أكيو؟" فاهتزَّ صدره، وبدأت الأغنية مرّة أخرى، فقد وضعتُها على وضعيّة التكرار، يا لي من ذكيّة! ثم تابعت: "بما أنّنا بدأنا ننسجم معًا، هنالك أمرٌ كنت أنوي أن أحادثك بخصوصه"، وقمنا بنصف التفاتةٍ نحو بعضنا، وانتظرتُ لثانية، ثم قلت: "إنّه اسمي الحركيّ، الفجلة".

أصدر صوت دمدمةٍ من صدره قائلًا: "ألا يعجبك؟".

قلت: "لا، لا يعجبني، في الواقع، أنا أكرهه نوعًا ما"، وخصوصًا وأنّ جذوره معروفةٌ بأنّها تهيّج الجهاز الهضميّ.

قال: "إنّ الفجل نوعٌ رائعٌ من الخضار"، ثمّ أضاف بهدوء: "في الواقع إنّه المفضّل لديّ".

قلت: "حقًّا؟" كنتُ سعيدةً لأنّه لم يرَ ابتسامتي.

قال: "لم يكن كذلك دومًا، لكنّني اكتشفت أنّه بدأ يعجبني، غالبًا ما نغفل عن حقيقة أنّ الفجل مفيدٌ وغنيٌّ بفيتامين ج".

تسارع نبضي، وأخذ يتلاحق، وهو كذلك، دقَّ قلبه، واستطعت الشعور بذلك، ثمّ قال: "ولكنّنا نستطيع تغييره إن أردتِ ذلك".

قلت: "لا، أعتقد أنّه جيّد"، نظرتُ إلى الأعلى، وأسندتُ ذقني إلى صدره، ولففتُ أصابعي على طيّات قميصه، ثمّ قلت: "عندما التقينا للمرّة الأولى اعتقدت أنّك لم تعجب بي".

توقّفنا عن الرقص، وتلامست أصابع أقدامنا، وصدرانا، فكانت نظرته رقيقةً، ولكنّها قلقة بعض الشيء، وقال: "ربما كنت معجبًا بكِ أكثر من اللازم".

تجمّدت في مكاني، وكانت عيناه نصف مفتوحتين، وغامضتين، فكان في استطاعتي تقبيله، يجب عليّ تقبيله، فوقفتُ على رؤوس أصابع قدميّ، فأحنى رأسه، واقترب كثيرًا.

لكنّه فجأة تراجع إلى الخلف، وهزّ برأسه، وتنحنح وقال: "علينا بالذهاب، لا أريد تأخيركِ".

ازدردت لعابي، وقلت: "صحيح، بالطبع"، ما الذي حدث للتوّ؟ رأسي يدور، وقلت: "شكرًا لك على الرقصة".

قال: "على الرحب والسعة".

ابتسمتُ ابتسامةً خفيفةً، غير واثقةٍ، وقلت: "أصبحتُ الآن أقلّ توتّرًا بكثير".

قال بطريقةٍ صارمةٍ لكن بكلماتٍ رقيقةٍ: "يجب ألّا تكوني قلقة، وسيكون أيّ شخصٍ محظوظًا بالتحدّث إليك".

ارتسمت ابتسامةٌ حقيقيّةٌ على فمي، ثمّ تحرّك وفتح الباب، وانزلقتُ عبره، تمامًا كأميرةٍ ذاهبةٍ إلى الحفل الراقص.

الفصل السادس عشر

كان هنالك موكبٌ من السيّارات الفاخرة اللمّاعة خارج فندق أوتاني الجديد، ورجالٌ يرتدون المعاطف، ونساءٌ ملفوفاتٌ بالفراء، ترجّل الجميع من سيّارات المرسيدس، البينتلي، والمايباخ، فقد دُعِيَ ما يقارب مئتين وخمسين شخصًا من نخبة المجتمع اليابانيّ، وظهر المراقبون الملكيّون في مجموعات، وخلف أحد المتاريس، لوّحوا بأعلامٍ صغيرةٍ منقوشةٍ بشموسٍ مشرقة فوق رؤوسهم، والتقطوا صورًا للضيوف.

انسلّت سيارة الرولز رويس الملكيّة عبر الحواجز ثمّ توقّفت، وفُتِحَ الباب، فكان أكيو هناك، يضع سمّاعةً في أذنه وينظر بتجهّمٍ في أرجاء المكان، وجلس في الأمام بدلًا من الجلوس إلى جانبي في الخلف، فهو يفعل ذلك أحيانًا، لاسيّما عندما يشعر بالتوتّر بخصوص الحماية، ومدّ يده لي، فوضعت أصابعي المغطّاة بقفازٍ في يده وتركته يسحبني خارج السيّارة، وشعرتُ بأنّني كنت في مسرحيّةٍ عالميةٍ قديمة، وكان كلّ شيءٍ عظيمًا للغاية كما لو كنّا في رواية (غاتسبي العظيم).

ارتفعت الكاميرات، وأصوات طقطقة أزرارها، وأصوات أضواء الفلاش وبدأ التقاط الصور.

قال أكيو: "لا يعجبني اكتظاظ المكان هنا"، وبأمرٍ صامتٍ أحاط بي الحرّاس الملكيّون، فشققنا طريقنا بين الحشود، وبعد ذلك لا مزيد من الصور. كنت أشعر بأنّني قطعة صغيرة من الحرير عالقة في عاصفةٍ من الرياح، وحين انسللنا عبر الأبواب الزجاجيّة المزدوجة، انبعثت من جديد أضواء الكاميرات، ثمّ انغلقت الأبواب، وتضاءلت الحشود، إذ وجّه الجميع انتباههم إلى السيّارة التي توقّفت،

وفي داخلها ممثّلة سينمائيّة شهيرة، وخارج قاعة الرقص نقر عازف القيثارة على وترٍ خاطئ، وتوسّعت الأعين التي حدّقت بخوفٍ إلى أكيو الذي كان يتقدّم، ويبدو وكأنّه يلتهم القرويّين الصغار.

عبرنا العتبة، والتفّت ذراعٌ حولي، وسرقتني من جانب أكيو: "وأخيرًا أنتِ هنا، كانت هذه الأمسية بغيضةً حتّى الآن، لقد حاصرني العمّ أداتشي ولم يتوقّف عن التحدّث عن ديكه الثمين"، فارتفع حاجباي تعجّبًا حتّى وصلا إلى مقدّمة شعر رأسي، ثمّ قال كيتاي محتجًّا: "إنّ كلّ ما يتكلّم بشأنه هو دجاجاته وديكته"، ثمّ نظر إلى أكيو وكأنّه يتساءل، لماذا لا تزال هنا؟ ثمّ قال: "استرخِ يا رجل، يا إلهي، إنّنا في حفلة، وحاول أن تبدو سعيدًا".

لم يقل أكيو شيئًا، بل انحنى فقط ثمّ اختفى بين الحشد. كانت الكؤوس تطرق والنساء يضحكن، وهناك رجل يرتدي بذلة يعزف على البيانو، فاقترب منّا والدا كيتاي، العمّة أيكو والعم ميناموتو.

قالت العمّة أيكو وهي تلعب باللآلئ النائمة التي تطوّق عنقها: "هل تستطيعون تصديق ذلك؟ هل تستطيعون تصديق زواج رئيس الوزراء المنحدر من عشيرة توكوغاوا من امرأة حديثة النعمة؟ لم أعتقد في حياتي كلّها أنّني سأشهد هذا اليوم".

همهم العمّ ميناموتو موافقًا، وبدآ يتحدّثان عن العروس، فبالإضافة إلى أنّها حديثة النعمة، فهي أصغر من رئيس الوزراء بكثير. ثمّ نظرت فتاة في الطرف الآخر من الغرفة إلى كيتاي نظرة احتقار، وكان مظهرها قاسيًا ولكنّها كانت جميلة وترتدي فستانًا أسود ناعمًا، فهمست وأنا ألكز كيتاي: "من هي تلك الفتاة؟".

أخذ كيتاي كأسين من الشامبانيا من نادل يحمل صينيّة، وقال: "إنّها حارسي الملكيّ رينا".

سمعه العمّ ميناموتو وقال: "لقد عيّنها كيتاي بنفسه".

"أصررت على امرأة لأنّني من مناصري حقوق المرأة"، يرتدي كيتاي بذلةً رسميّةً مثل كلّ شخص آخر، ولكن هناك نثرات لامعة بين طيّاتها، وتابع: "ترتدي

أجمل البذلات الرسميّة ذات البناطيل، وتمارس الحرف اليدويّة في وقت فراغها، وتصنع كتبًا للذكرى من القصاصات الورقيّة، وتعرف عشر طرق مختلفة لقتل رجل باستخدام قطعة من الورق، إنّها تُخيفني وأنا أحبّ ذلك"، وارتجف بسخرية.

قالت العمّة أيكو بتساهل: "كيتاي يحبّها تقريبًا".

ابتسم كيتاي بوجهها ابتسامةً لامعةً فكشّرت، من الواضح أنّ الشعور ليس متبادلًا بينهما.

لوّحت العمّة أيكو إلى امرأة منغمسة في نقاش مع رجل أكبر منها بكثير يرتدي زيًّا عسكريًّا كاملًا، هل هما أب وابنته؟ قال العمّ ميناموتو بعد أن رأى تعجّبي: "إنّهم عائلة فوكاداس، إنّه جنرال في الجيش الملكيّ، وابنته تلك هي الابن الذي لطالما أراده".

قلت والشامبانيا تدفّئ معدتي وخديّ: "يبدوان وكأنّهما يصطادان البشر كنوع من الرياضة".

ضحك الثلاثة وشعرت بشعور جيّد، وكأنّني صرت منهم.

هناك مجموعة من الفتيات مقابل الأب والابنة اللذين يصطادان البشر كنوع من الرياضة، والتوأم المشعّ بينهنّ، فتلاقت نظراتنا، وهمستا في الحال بشيء ما إلى صديقاتهما ثمّ ضحكن، لا شكّ في أنهنّ يضحكن عليّ.

قال كيتاي وهو يشهق: "يا للاشمئزاز، لقد جذبتِ اهتمام عصابة مدرسة غاكوشوين، وعليك أن تحذري الآن، فأشيحي بنظراتك ببطء عنهنّ، لأنّ القمر مكتمل الليلة، وهذا يعني أنّ قواهن في مجدها".

فعلت كما قال، غاكوشوين، أتذكّر الاسم من والدي والسيّد فوتشيجامي، إنّه المكان الذي تذهب إليه ماريكو، وسألت بصوت أقوى ممّا أردته: "غاكوشوين؟".

لمست العمّة أيكو السوار الملفوف حول رسغها والمكوّن من مجموعة من الجواهر والياقوت، إنّه يكمّل فستانها. "إنّها أفضل مدرسة في اليابان، وربما في العالم كلّه".

أومأ العم ميناموتو إليها برأسه، وقال: "يرتادها كلّ أفراد العائلة الملكيّة الشباب وأبناء العائلات المرموقة، وكان كيتاي الأوّل على دفعته عندما تخرّج منها".

نظرت أيكو إليّ من أعلى رأسي إلى أخمص قدميّ وقالت: "من المرجّح أنّك كنت سترتادينها، فأيّ مدرسة كنت ترتادين؟ سمعت أنّ كاليفورنيا فيها بعض أروع المعاهد الخاصّة".

"ارتدت مدرسة جبل شاستا الثانويّة بعد أن أنهيت الدراسة في مدرسة شاستا الإعداديّة".

غابت ابتسامتها عن وجهها، وقالت متجهّمة: "هل درست في مدرسة عامّة؟".

قلت بصراحة: "نعم".

"حسنًا، إن سألك أحد ما عن هذا، قولي إنّك درست في الخارج".

قال كيتاي: "احذري يا أمّي، إنّ نخبويّتك ظاهرة هنا".

لمست العمّة أيكو صدرها واستدارت إلى زوجها، بينما سحبني كيتاي من أمامها وهي تسأله: "ماذا؟ ما الذي قلته؟".

قال كيتاي: "أعتذر نيابةً عن عائلتي".

"لا بأس"، لا بأس بذلك فعلًا، فلست خجولة من المدارس التي التحقت بها.

"لا، هذا ليس جيّدًا، لا تحاولي إخفاء مشاعرك، ومن الواضح أنّك محطّمة"، وابتسم ابتسامةً من جانب فمه ورددت عليه بمثلها، فأنا سعيدة جدًّا لأنّه هنا معي.

قادني إلى أعماق الحشد، وطفنا حول أحد أبطال مصارعة السومو، وكان هائل الحجم، ثمّ مررنا بطاولة تكدّست عليها مغلّفات منمّقة، فالمال سيّد الموقف في الأعراس اليابانية، وسيوزّع رئيس الوزراء وعروسه الهدايا، ويوجد على كلّ طاولة حقيبة ورقيّة جميلة مصنوعة يدويًّا، محشوّة بغنائم صغيرة، فابتسم كيتاي في وجه الضيوف ثمّ أعطاني معلومات خاصّة عن كلّ واحد منهم عرّفتني أكثر بهويّاتهم، ثمّ تحدّث عن رئيس بنك طوكيو وعن مُصنّع خلّ الأرزّ، وعن الأخوين

مالكي أقدم وأكبر شركة للويسكي واللذين قدما من هوكايدو التي تعتبر الغرب الوحشيّ في اليابان.

إنّهما فردان من عائلتي كوغو وكيزوكو الأسياد السابقين لليابان، فكانوا نبلاء ونبيلات جرّدوا من ألقابهم بعد الحرب العالميّة الثانيّة، وقد خسروا ألقابهم، ولكنّهم لم يخسروا غرورهم ومعاييرهم الاجتماعيّة. إنهم يحقدون على جدّي وأبي وعمّي وابن عمّي ساكيكو لأنّهم يقيمون علاقات اجتماعيّة مع العامّة، وهم يحقدون عليّ أيضًا امتدادًا لذلك لم يقل كيتاي هذا ولكنّني أستطيع قراءة ما بين السطور، وهذا مفهوم على الرغم من أنّني يابانيّة بالكامل، ولكنّني أميركيّة أكثر من اللازم، فلا دماء يابانيّة كافية في عروقي.

وانتهى حديثنا بجماعة كاسوميغاسكي، المجموعة البيروقراطيّة في اليابان وسادة الصناعات، كمُصنّعي التكنولوجيّات المشاهير الذين يبدأ اسم شركتهم بالحرف(سين) وعملاق السيّارات الذي يبدأ اسم عائلته بالحرف (تاء).

وصلنا إلى الطاولات الدائريّة المغطّاة بالقماش الأبيض، والتي وضعت عليها مزهريّات ذات ارتفاع قليل فيها أزهار زنبق وفروع من أشجار الصنوبر التي تمثّل شارتي العائلتين المجتمعتين على المقاعد المخصّصة لهم. وانحشر الناس متفحّصين بطاقات المقاعد، فافترقنا أنا وكيتاي، إذ سيكون مع أفراد العائلة الملكيّة الممتدّة على طاولة أخرى. يُعطى أفراد العائلة المرموقون في المجتمع شرف الجلوس مع العروسين، إنّه أمر هرميّ، وهذا يعني أنّ وليّ العهد وابنته وشقيقه وعصفورتيه المعروفتين باسم التوأم اللامع سيجلسون مع رئيس الوزراء وعروسه، ويجب أن تكون عمّتي والدة التوأم هنا ولكنّها غائبة، فهل هي مريضة؟ سأحاول أن أتذكّر سؤال ماريكو عنها.

جلست على كرسيٍّ أسود، وحاولت ألّا أحترق وأتحوّل إلى رماد تحت نار التحديق اللاذع إلى ابنتي عمّي، وما أتمنّى أن أتمكّن من قوله لهما هو: ألا تعتقدان أنّ هذا مبتذل؟ ألا تعتقدان أنّ التصرّف بدناءة مع الدخيل أمر مبتذل؟ العداء في

العلاقات هو طاعون رهيب ينتشر بين النساء اليافعات، ومتى أصبح تعذيب الآخرين طَقس التقدّم؟

دخل رئيس الوزراء وأبي بجواره، فتبعتهما العروس زوجة رئيس الوزراء الجديدة المرتدية فستانًا أبيض مرصّعًا باللآلئ، وهي مخلوق سحريّ تغطّيه الموادّ البرّاقة، فتاجها المرصّع بالجواهر يلمع تحت ضوء الشموع وهي تجلس.

حيّاني والدي قائلًا: "تبدين جميلة".

"شكرًا لك، وتبدو وسيمًا أيضًا، أقصد... تبدو لطيفًا"، أشعر بالتألّق وأنا محطّ اهتمامه، ابتسمنا إلى بعضنا، وانتظر جميع من في الغرفة أبي ليجلس قبل أن يجلسوا، فأُلقيت الكلمات ورفع والدي نخب العروس والعريس، وتحدّث باليابانيّة ولم أفهم معظم كلامه، فهمست احدى ابنتي عمّي إلى الأخرى عندما انتهى من خطابه، بصوت عالٍ بما يكفي لأسمعه.

قالت أكيكو: "لقد نسي ذكر أخت أداتشي".

تنهّدت نوريكو وقالت: "كان عليه أن يقول شيئًا عن عدم تواجدها هنا، كم هو مؤسف أنّها ليست معنا".

ارتكب والدي خطأً، وأتساءل كيف يحدث ذلك، ولكنّ هذا جعلني أشعر بشكل أفضل، فكلّنا خطّاؤون على ما أعتقد.

بدأت مراسم العشاء، فبدا تنقّل النُدُل الذين يضعون قفّازات بيضاء ويرتدون سترات طويلة الذيول كرقصة متناغمة أنيقة، وهم يتنقّلون بين الضيوف، بعد أن أُلقيت العديد من الكلمات، ودردش أبي مع رئيس الوزراء، ودردشت مع العروس، فتبيّن أنّها دبلوماسيّة سابقة، ولكنّها الآن تخطّط للبقاء في المنزل دائمًا ودعم زوجها. وتناولنا حساءً مع الفطائر، وأكلنا كاسترد لذيذ المذاق مع الأنقليس والفطر وفراخ السمك المشويّة، بالإضافة إلى طبق من الأرزّ الدبق والفاصولياء الحمراء، وقد أخبرتني ماريكو أنّ إنهاء صحني فعل مهذّب، وهذا أمر أستطيع فعله.

مسح أبي فمه بمنديل خشن أبيض وقال: "إيزومي، تبدين سعيدة جدًّا هذا المساء".

رددت: "أنا كذلك فعلًا"، أنا في حفل زفاف، والموسيقى هادئة، وسأرقص في صالة الرقص، فما المزعج في هذا؟

"إمبراطوريّة اليابان تلائمك".

"إنّها تلائمني فعلًا"، استبدل أحد النُدُل أطباقنا، وكادت معدتي تنفجر: "لا أريد لهذا أن ينتهي".

"سموّك"، لقد استحوذ رئيس الوزراء على إعجابي، وإن كان أكبر سنًّا من عروسه، ويتخلّل الشيب شعره الأسود، فبعد أن ماتت زوجته الأولى بسبب مرض القلب المنتشر في هذه الأمّة، فما المشكلة في أن تكون زوجته الجديدة أصغر منه بعقدين؟ "أشكرك جزيل الشكر على حضورك هذا المساء، وتشرّفت أنا وزوجتي بوجودك".

من الناحية التقنيّة، لم يكن لديّ أيّ خيار في أمر الحضور، ولكنّني سعيدة لأنّني هنا: "إنّها مناسبة جميلة، شكرًا لك على استضافتي"، وتذكّرت تعليق أكيكو وماريكو السابق: "ومن المؤسف أنّ أختك لم تتمكّن من الحضور"، ابتسامتي مشرقة ومتلهّفة، وأنا جاهزة لاستقبال ترحيب رئيس الوزراء الحارّ، وربما سيجيبني بسرد موقف طريف عن أخته، وربما سيشكرني والدي لإنقاذه، وربما ينتظرني مستقبل واعد في السلك الدبلوماسيّ، وتابعت: "أراهن على أنّك تتمنّى لو أنّها استطاعت أن تكون هنا".

كاد أبي أن يختنق ببعض حبّات الأرز، وتلاشت المحادثات من حولي، فنظرت حولي ضائعة، إلى أن اخترق الصمت ضحكة ساخرة مشبوهة انطلقت من فاهي أكيكو وماريكو، فشعرت وكأنّ الطرف الحادّ من السكين قد انغرز في ظهري، وأخفض رئيس الوزراء رأسه، وكوّر قبضته حول منديله، ثمّ تحدّث باليابانيّة، برقّة في البداية، ثمّ بصوت أعنف بعدما اكتسب بعض العزم لفعل ذلك، فسارعت زوجته إلى تهدئته.

لا أفهم: "ما..."

"إيزومي!" جاءني صوت والدي خشنًا مليئًا باللوم، فهو لم يستخدم أبدًا هذه النبرة القاسية معي: "رئيس الوزراء وأخته ليسا على وفاق"، وأخفض صوته وقال لاهثًا: "لقد اتّهمته بأشياء فظيعة، ونحن لا... نحن لا نذكرها مطلقًا".

دخل أبي ساحة المعركة، وهو يحاول استرضاء رئيس الوزراء الذي تابع التحدّث بشدّة والتلويح بيده في وجهي، أعرف الآن ما تعنيه كلمة (كارثة)، إنّها أن تنطوي القاعة على نفسها، وتركّز عيون الضيوف علينا، فتابع رئيس الوزراء التصرّف باضطراب، واستمرّت ابنتا عمّي بالضحك، وقد غطّت كلّ واحدة منهما فمها بمنديل، ولم يكن بيدي شيء أستطيع القيام به لتهدئة رئيس الوزراء، الذي هدأ بعد قليل من تلقاء نفسه، ولكنّه لا يزال يرتجف من الغضب.

"أنا آسفة جدًّا يا رئيس الوزراء أداتشي"، لم يقل شيئًا، بالرغم من صمته، إلّا أنّه لا يزال غاضبًا، وكلّ ما أستطيع رؤيته هو أعلى رأسه، إنّه يتجاهلني الآن، فأنا منبوذة. لمست ذراع والدي، ولكنّه لم ينظر إليّ، صحيحٌ أنّ أكثر الضربات ألمًا هي تلك التي لم نتوقّعها، لقد انكسر شيء ما في داخلي: "أقدّم أصدق..." ثمّ ابتعدت عن الطاولة وأنا أقول متعثّرة في كلامي: "اعذروني"، فتعثّرت بفستاني الطويل، وأحاط الإذلال بي من كلّ جانب، وتمزّق صدري من الألم، الذي سلك طريقه إلى حلقي، فتذكّرت نصيحة ماريكو: "المرحاض"، واستطعت الرحيل.

همست أكيكو وأنا أمرّ من جانبها: "جايجين".

وكرّرت نوريكو: "جايجين"، تجنّبًا لاحتمال عدم سماعي هذه الكلمة في المرّة الأولى.

لقد أوقعت ابنتا عمّي بي.

هربت مطأطأة الرأس.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل السابع عشر

هروبي أسطوريّ، أنا سندريلا تهرب من حفلة راقصة، إلّا أنّني لن أرحل تاركةً خلفي حذاءً زجاجيًّا، ولن أنتظر أميرًا لينقذني.

لمعت عيناي بينما كنت أكبح جماح دموعي، أرفض أن أقدّم للتوأم اللامع هذا الرضى، وسأنهار في السيّارة أو في غرفتي أو في الحمّام، أو في أيّ مكان يصون ما بقي لي من الكرامة.

لحقني أكيو كظلّي وأغاظني، لا أغفل عن وضعيّة جسده وهو يحميني من الناس بينما نخرج وكأنّه درع، أتمنّى لو كنت أستطيع شكره، ولكنّني حينها قد أضعف وأنكسر وأفصح عن كلّ ما في داخلي. لقد أحرجت نفسي، ووالدي، واليابان.

كان عقلي وأنا في الطريق من غرفة الرقص إلى السيّارة مشوّشًا، ومن حسن الحظّ أنّ سّيارة الرولز رويس الملكيّة كانت منتظرة، فانطلقنا حالما ركبناها.

مدّ أكيو منديلًا إليّ وسألني: "ما الذي حصل؟".

وبدأ يمسح الدموع على خدّي المترقرقة من عينيّ، لا أريد قولها بصوت عالٍ، لا أريد أن أقول كم أنا فاشلة، يا إلهي، اعتقدت... اعتقدت أنّني فهمت كلّ شيء، غبيّة، أنا غبيّة جدًّا: "ما الذي تعنيه كلمة جايجين؟".

شهق وقال: "من أطلق عليك هذه الصفة؟".

"لا يهم"، لا أريده أن يعرف هذا، لا أريده أن يعرف كم تكرهني عائلتي، إنّه أمر محرج، "ما الذي تعنيه؟".

فكّ أزرار سترة بذلته ولوى شفتيه: "تعني الأجنبيّة، ولا تعني الأجنبيّة بطريقة إيجابيّة".

اصطكّت أسناني: "فهمت".

"ستخبرينني من قال هذا لك وسأهتمّ بأمره".

ارتسمت ابتسامة حزينة على شفتيّ جراء تأثّري بدفاعه عنّي: "ما الذي ستفعله؟ ستضرب الأميرات الأخريات لأنّهنّ كنّ لئيمات معي؟ أنت لطيف، ولكنّني أفضّل أن أحلّ مشاكلي بنفسي"، إلّا أنّني لا أعرف ما نوع الأسلحة التي تبقّت معي، لقد تمكّنت ابنتا عمّي التوأم اللامع من إيجاد أضعف منطقة في جسمي، ومزّقتاها بأظافرهما المطليّة باللون العاجيّ: "كما أنّهما ليستا مخطئتين..." هذا صحيح، أنا أجنبيّة بالفعل، ولو أنّني عشت في اليابان قبل الأسبوع الماضي لكنت سأعرف بأمر أخت رئيس الوزراء، وأنّه عليّ ارتداء لباس ألطف إلى المطار، وأنّه ينبغي لي أن أسير خلف والدي في بازار الحرف اليدويّة الغبيّ، وأنّ عليّ زيارة المعارض التي تعود إلى فنّاني العائلة الملكيّة، وأنّ حضور مباراة كرة القاعدة ومقابلة اللاعبين أمر دبلوماسيّ، وأنّ الإشارة باليد فعل وقح.

أطلق صرخة مدوّية، فلم أعلم أنّ البشر قادرين فعلًا على إطلاقها حتّى الآن، فاقتربت منه وأمسكت بيده: "كلّ شيء على ما يرام"، إلّا أنّ كلّ شيء لم يكن على ما يرام، لا يزال هناك وجع مؤلم في داخلي، نابع من نظرة والدي الخائبة، ومن طريقة تحدّثه إليّ، وقد جعلت الذكرى معدتي تتلوّى، ربما لا يُسمح بالبكاء في أثناء مشاهدة مباراة كرة القاعدة، ولكن من المؤكّد أنّه موجود دائمًا مكان مناسب عندما تكونين أميرةً.

شدّت أصابع أكيو على أصابعي، ثمّ انزلقت يده بعيدًا، وتنهّد وفرك عينيه: "هذا توقيت سيّئ"، ثبّتتني عيناه السوداوان في مكاني: "جعلتني أشتهي كلّ الأمور التي لا يتوجّب عليّ اشتهاؤها".

"حقًّا؟" لماذا لا يزال جالسًا قبالتي؟ لماذا يبدو بعيدًا جدًّا؟

"إيزومي".

"أكيو".

فهمت الأمر الآن، جسده لا يجاري جسدي، وأشعر بطعنات الرفض، فعدت إلى الخلف واستقمت في جلستي، وبقينا كلانا متصلّبين في مكاننا.

"لم يكن الأطباء الملكيّون قبل مئة عام يلمسون الإمبراطور والإمبراطورة من دون قفّازات". تكوّرت يداه وتحوّلتا إلى قبضتين: "عندما يمشي الأمير أو الأميرة في السيّارة في المدن كان القرويّون يشيحون بأنظارهم عنهما، فهم ليسوا جديرين بالنظر إلى أبناء الآلهة".

هناك تحفّظات مخيفة وقذرة وعميقة حيث يريد الوصول بكلامه، وقلت: "هذا عتيق بعض الشيء، ألا تعتقد هذا؟ هذا لا يحدث الآن".

كان وجهه خاليًا من أيّ تعبير: "أنت محقّة، إنّه لا يحدث، ولكنّ الفكرة لا تزال موجودة، إنّها شيء محرّم".

قلت بصوت ضعيف: "ما الذي تقوله؟".

"أعتقد أنّك تعلمين ما الذي أقوله".

"أعتقد أنّني أحتاج منك أن تقولها"، عندما خانني فوريست، جعلته يخبرني كلّ التفاصيل القذرة على الرغم من أنّني عرفت معظمها، أردت أن أقرأ ما بين السطور، حتّى أرى إن كنت أستطيع معرفة ما الأخطاء التي قادته بعيدًا، حتّى لا نلوم أنفسنا دائمًا؟

"الرقصة، كانت خطأً"، حسنًا، أفهم الأمر تمامًا الآن، يظهر الندم في وضعيّة كتفيه وفي توتّر فكّيه، أصبحت رؤيتي ضبابيّة: "لقد انجرفت، كان ذلك خطئي، لقد تجاوزت الخطّ الأحمر"، نبلٌ منه أن يُلقي اللوم على عاتقه: "لا يمكن أن يحدث هذا مجدّدًا، ولن يحدث".

تكوّرت أصابعي على راحتي يديّ، وأردت أن أخرج من السيّارة الآن، فقد أدفع كلّ عمري لأُنقل بطريقة سحريّة إلى غرفتي، وبدأت الدموع بالتساقط،

ولكنّني تجاهلتها، بعد أن أفسدت كلّ جهد ماريكو وخرّبت كلّ ما طُلي على وجهي، فركّزت انتباهي خارج النافذة، وحدّقت إلى الليلة التي هجرتها النجوم، وصلّيت لكي يمرّ الوقت أسرع.

قال بهدوء: "أرجوك لا تغضبي".

إيزومي ستغضب، إيزومي ستغضب بشدّة، شكرًا جزيلًا لك، لا يبدو أنّني أستطيع فعل أيّ شيء بشكل صحيح، فأنا رمز الإذلال.

عندما وصلنا إلى البوّابة قال أكيو: "قولي شيئًا".

قولي شيئًا؟ وماذا يمكن قوله؟ استغرقت القيادة إلى القصر دهرًا، استخدمت قفازيّ لأمسح وجهي، فمن المؤسف أنّه لا يمكنه أبدًا إعادة تنظيم كلّ الفوضى التي أحدثتها.

اتّجهت نحو الباب حالما أصبح القصر في مجال الرؤية، وتوقّفت السيّارة فضغطت على مقبض الباب، ورحلت سريعًا، ولكنّ أكيو طاردني.

قال: "أنا آسف".

استدرت إليه: "لا"، حاولت قولها بنبرة متساهلة حتّى إنّني حاولت أن أظهر ابتسامةً خفيفة، إلا أنّني لم أنجح في ذلك: "هذا خطئي بالكامل، أخطأت قراءة الإشارات، أنا غبيّة".

"إيزومي..."

عبثت الرياح بفستاني: "عليك بمناداتي بسيّدتي، أليس كذلك؟".

رمشت عينا أكيو وتراجع إلى الوراء، ولكنّني أفضّل التعامل مع غضبه على التعامل مع شفقته، فجعلت نبرة صوتي أرقّ: "لا نريد أن تكون أيّ من تصرّفاتنا ضبابيّة".

أخذ نفسًا عميقًا: "هل أنت بحاجة إلى شيء آخر الليلة؟".

ارتجفت شفتاي، وقلت: "لا، شكرًا لك".

"ليلة سعيدة إذًا، وسأنتظر هنا، وأتأكّد من أنّك أصبحت آمنة في الداخل إن كنت لا تمانعين ذلك"، هذا غير ضروريّ، ومع ذلك أومأت إليه بشدّة.

صعدت عشر درجات، وعبرت الباب، وأصغيت إلى صوت السيّارة وهي تغادر، إلّا أنّني أشعر أنّه لا يزال في الخارج، وأنا في الداخل، كما أشعر أنّ معدتي بدأت تشدّ وترخي، فانهرت على الأرض وأنا أبكي.

يا إلهي، كم أنا غبيّة.

الفصل الثامن عشر

هزّتني يدان صغيرتان، ولكنّهما قويّتان حتّى استفقت، ما هذا الجحيم الجديد؟ انفتح جفناي الرطبان بصعوبة، فقالت ماريكو: "يجب أن تستيقظي الآن يا سيّدتي".

جلستُ وعيناي غائمتان، اللعنة، أشعر وكأنّني جثّة مدهوسة ومرمية على قارعة الطريق، فلا شيء أسوأ من أن تبكي حتّى تنام: "ماذا..."

"وليّ العهد في انتظارك"، بدت ماريكو في غاية التوتّر، وجالت في أرجاء الغرفة وهي تحمل ثيابًا وأحذية، ثمّ وضعتها على السرير، فدفعتُها بساقيّ عنه.

ألبستني في أقلّ من خمس عشرة دقيقة، ولم أساعدها إلّا قليلًا، فيداي وقدماي متخشّبتان ومتصلّبتان وكأنّني دمية. سألتني ماريكو وهي تمسح خديّ بقطعة قماش باردة: "هل غسلت وجهك؟" فأيقظني ذلك من غفوتي على الرغم من أنّها كانت لطيفة معي، ووضعت لي قليلًا من مستحضرات التجميل، وسرّحت شعري بالفرشاة ثمّ دفعتني إلى خارج الباب.

بدا الرواق أكثر إضاءةً من العادة، أو من الممكن أن يكون هذا بسبب آثار ما بعد البكاء؟ فالدموع مؤثّرة حقًّا، والسيّد فوتشيجامي ومجموعة كاملة من حرّاس الأبواب كانوا مجتمعين خارج مكتب والدي، كما أنّ السقاة وعمّال المرأب يتجوّلون في الأنحاء، وهم يحمّلون الأمتعة وينقلونها إلى السيّارة الملكيّة.

قلت بقلق: "صباح الخير".

قال السيّد فوتشيجامي برصانة: "سيّدتي، وليّ العهد في مكتبه".

ازدردت لعابي وأومأت إليه برأسي، فخفق قلبي بشدّة بينما كنت أطرق الباب وأدخل.

زفر والدي عندما رآني: "إيزومي، ادخلي من فضلك، واجلسي"، تقدّمت بخطوات متثاقلة وجلست على الكرسيّ مطلقةً تنهيدة عميقة، بينما كان أبي يجلس خلف مكتبه، ويرتدي بذلة وربطة عنق، فكان لباسه أنيقًا إلّا أنّه يبدو متعبًا بعض الشيء، وأعتقد أنّنا كلينا قد عانينا من ليلة قاسية، وأنا متأكّدة من أنّ وجهي لا يزال منتفخًا، لدرجة أنّني لم أجرؤ على النظر إلى المرآة.

"أشعر وكأنّني قد أُرسلت إلى مكتب مدير المدرسة"، فوضعت يديّ أمامي، وقلت: "إذا كان هذا بشأن حفل زفاف رئيس الوزراء..."

"يجب أن نتحدّث..."

تحدّثنا في الوقت نفسه، ثمّ صمتنا وحدّقنا إلى بعضنا.

فقال والدي باسطًا ذراعيه: "أنت أوّلًا".

غرزت أظافري في راحتي يديّ، وحاولت أن أنظر إلى والدي، ولكنّ ذقني لم يطِعني ورفض التحرّك في ذلك الاتّجاه، وإنّه يشير عوضًا عن ذلك إلى ساقيّ في الأسفل: "بالنّسبة إلى ما جرى في حفل زفاف رئيس الوزراء... أنا آسفة".

احترقت وجنتاي، وأنا أفكّر في تلك اللحظة، وفي ابتسامة التوأم اللامع، وفي إحراجي والدي، وفي رفض أكيو المؤلم.

لم يقل والدي شيئًا، فأجبرت نفسي على رفع رأسي، وتمنّيت لو أنّني لم أفعل، ففمه بدا وكأنّه خطّ مستقيم، وهو يطرق بأصابعه على مكتبه الخشبيّ، وهو يقول: "نحن محظوظون لأنّه لم يحصل ذلك في حضور الصحفيّين، فلا يمكنني أن أتخيّل العواقب لو ملأت الأخبار الصحف، كنت سأحتلّ جميع الصفحات الأولى في كلّ الصحف، وكانت ستنتشر صورة لك وأنت تهربين من الحفلة، ليملأوا صفحات من التخمينات حول سبب ذلك، ولو عرفوا أنّ السبب الحقيقيّ يعود إلى إهانة رئيس الوزراء.."، هزّ برأسه، وأردف قائلًا: "لكان الأمر سيبدو فظيعًا".

قلت مجدّدًا: "أنا آسفة"، هل هناك كلمة تحدّد معنى أسفل سافلين؟ وتابعت: "كلّ ما في الأمر أنّ أكيكو ونوريكو قالتا إنّك لم تذكر أخت رئيس الوزراء في

كلمتك، لذلك اعتقدت أنّه قد يجدر بي ذكرها، فحاولت المساعدة فقط".

هزّ برأسه: "كان العداء منتشرًا بينهما، والوضع بدا شديد البشاعة، وأنا متأكّد من أنّك أسأت الفهم".

قلت ملوّحةً بيدي: "ولكن..."

أسند ظهره إلى مقعده فقد انتهى النقاش، ثمّ قال: "لا يهمّ كيف حدث الأمر، ويتوقّع منّا نحن أفراد العائلة الملكيّة أن نكون أسمى من التأنيب".

قلت على مضض: "أفهم ذلك"، إلّا أنّني لا أفهم ذلك نوعًا ما، لقد اعتذرت وبرّرت أفعالي، فهل هناك فرصة أمامي للنجاة في هذا العالم الجديد؟ هناك أشياء لا أعرفها، وسأُلام دائمًا لما سأفعله أو أقوله على ما أعتقد. ففرك وجهه بيده، ويبدو أنّه يفتقر إلى الكلمات.

هناك رؤوس تظهر من النافذة، رؤوس عمّال المرأب الذين يحمّلون الأمتعة، فنظرت عبر زجاج النافذة، وسألت أبي: "هل سيرحل أحد ما؟".

فأكّد كلامي قائلًا: "نعم"، وهو لا يزال منزعجًا بعض الشيء، بل لا نزال كلانا منزعجين بعض الشيء، وأردف قائلًا: "أنا راحل".

"أنت راحل!" عجبًا، امنحني لحظةً فقط لأعاود لملمة أشلاء قلبي عن الأرض: "متى؟ وإلى أين ستذهب؟".

"كان يُفترض بي أن أغادر في وقت أبكر من هذا الصباح، ولكنّني أخّرت موعد سفري حتّى أتمكّن من التحدّث إليك، إنّها رحلة طارئة خارج جدول أعمالي، لأنّ والدي الإمبراطور لا يشعر بأنّه على ما يرام"، ولوّح بيده بعد أن رأى نظرة القلق، وتابع: "لا يعاني من مرض خطير، إنّه متعب بسبب كثرة السفر، وطلب منّي أن أحلّ مكانه".

هززت برأسي متخدّرة: "كم يومًا ستستغرق رحلتك؟".

تنهّد وقال: "ستّة عشر يومًا".

من السهل إجراء الحسابات هنا، عودتي إلى المنزل بعد يومين، ففتحت ذراعيّ قائلةً: "أعتقد أنّه قد حان وقت الوداع إذًا"، وهممت بالنهوض.

"إيزومي، انتظري، توقّفي".

فغرقت في مقعدي، ورفعت ذقني عاليًا.

"أنا أتصرف بشكل خاطئ في كلّ شيء"، وأمسك بيده قلمًا فضّيًّا وبدأ يحرّكه بعصبيّة، وهو يقول: "لا أريد لهذا اليوم أن يكون يوم الوداع"، وتنحنح، فجلست في سكون تامّ، وأردف قائلًا: "أتساءل ما إن كان ينبغي لنا تمديد وقتنا معًا"، فتلاقت نظراتنا، وهو يقول: "أتمنّى أن تبقي بعد".

حبست أنفاسي، فلن أُرمى بعيدًا إذًا؟ وهذا غير متوقّع... وليس قرارًا يسهل اتّخاذه من ناحيتي، فلديّ والفتيات خطط عظيمة لهذا الربيع، كتناول الإفطار في مطعم بلاك بير، والسباحة في بحيرة سايل قبل أن نغادر إلى جامعاتنا، وقبل أن تفترق دروبنا، إذ سترتاد غلوري جامعة أوريغون أمّا هانساني فستذهب إلى جامعة يو- سي بيركلي، ونورا إلى جامعة كولومبيا، بينما أنا خطّطت للالتحاق بجامعة سيسكيوس المحلّيّة بالقرب من أمّي، ولم يتبقَّ لنا سوى أشهر بعد أن أمضينا عمرًا معًا.

تجهّمت وقلت: "لا أستطيع تفويت التخرّج، ويمكنك أن تأتي لزيارتي على ما أعتقد"، لا أعرف كيف ستشعر أمّي بشأن هذا، وربما سأترك الأمر مفاجأةً، فالجميع يحبّون المفاجآت، أليس هذا صحيحًا؟

أخفض رأسه، وهو يقول: "سأحتاج إلى التحقّق من جدول أعمالي".

فقلت بسرعة بعصبيّة: "حسنًا، يمكنك أن تأتي إن كان لديك بعض الوقت لذلك".

"سأتكلّم مع سكرتيرتي بشأن هذا"، وتوقّف وضغط على قلمه ثمّ أضاف: "لم تجيبي عن سؤالي، هلا بقيت؟".

قلت متردّدةً: "لا أعلم"، فلا أزال أشعر بالدوار بسبب الساعات الأربع والعشرين السابقة، وكأنّني في دحروجة كبيرة، فهل أبقى من دون أن أعرف كيف سينتهي بي الأمر؟ أنا أحاول التقاط أنفاسي فحسب الآن.

نظر إليّ بحذر: "إيزومي، هل لي أن أسألك، لماذا جئت إلى اليابان؟".

شددت أصابعي وحدّقت إلى سيف الساموراي الموضوع خلف مكتبه الذي كان نصله مصقولًا حتّى أصبح لامعًا، ما مكّنني من رؤية انعكاسي عليه، فظهر جزء من عينيّ، وهناك تنّين ملفوف على قبضته. ظننت في البداية أنّ مجيئي إلى هنا كان لأتعرّف إلى والدي، ولكنّ السبب كان أكبر من ذلك، فقلت: "جئت لأكتشف من أكون، وأتعرّف إلى تاريخ أجدادي"، ولأجد مكانًا أنتمي إليه.

قال: "التاريخ مهمّ"، وفكّر للحظة فوصل إلى استنتاج: "ابقِي قليلًا بعد، فقد اقترح السيّد فوتشيجامي أن تذهبي إلى كيوتو، وأعتقد أنّها فكرة ممتازة، فستمضين وقتًا ممتعًا في الريف، وستتعلّمين المزيد، وعندما أعود، نحضر عيد ميلاد الإمبراطور معًا، إنّه حدث عظيم، إنّها مناسبة وطنيّة، وسيتسنّى لك لقاء جدّيك".

لففت إبهاميّ حول بعضهما وأنا أشعر بالانجذاب إلى ما عرضه عليّ، ولكنّني لا أزال منزعجة، كما أنّني لا أستطيع ألّا أفكّر بأنّ السيّد فوتشيجامي ووالدي يخطّطان من دون علمي، وفهمت فجأةً رغبة كيتاي بالابتعاد عن العائلة الملكيّة. فمن الصعب أن تشعر وكأنّك بيدق على رقعة الشطرنج يحرّكها حرّاس الأبواب، كلّ هؤلاء الرجال يقرّرون ما هو الأفضل بالنسبة إليّ، فأجبته بفتور: "يجب أن أتحدّث إلى أمّي"، وانتظرت لحظةً، وفكّرت في الأمر جدّيًا، إنّ كيوتو جزء لم أرَه من البلاد، كما أعرف أنّ بحثي لم ينتهِ بعد، وأنّ هذه الفرصة أكبر من أن أتخلّى عنها لأنّني منزعجة فقط، فلا يقطع المرء أنفه ويتخلّى عن شيء ثمين لأنّه يكره شكل وجهه فحسب.

قال ببطء: "حسنًا"، من الواضح أنّه كان يتوقّع حماسًا أكبر، فليس لديه الكثير من الخبرة في التعامل مع المراهقين على ما أعتقد، وكلّ ما يمكنني قوله له هو: أهلًا بك في أدغال المراهقين الشرسة يا صديقي.

وقفت قائلةً: "هل هذا كلّ شيء؟".

وقف أيضًا وقال: "هذا كلّ شيء، سأتوجّه إلى المطار..."، تحقّق من ساعته وأكمل: "فبعد ساعة ستقلع الطائرة".

"سأعلمك بما أقرّره".

قال: "حسنًا".

قلت: "حسنًا إذًا"، وغادرت وظهري مستقيم وقلبي غير صافٍ.

وُضع الفطور في غرفتي بالقرب من النوافذ التي ترتفع من الأرض إلى السقف، وأخذت هاتفي واستقررت على الطاولة الصغيرة، واتّصلت بأمّي، وأنا أنظر إلى ما يوجد تحت الأغطية الفضّيّة، فكان اللحم البقريّ الطرّيّ، والبيض، والفطر الأسود، والثوم المعمَّر، وكلّها مكوّنات شهيّة، ولكن لا شهيّة لديّ.

أجابت أمّي من الرنّة الأولى قائلةً بصوت سعيد: "زوم زوم".

قلت: "أمّي".

"يا إلهي، ما الأمر؟".

يمكنها أن تعلم أنّ خطبًا ما ألمّ بي من نبرة صوتي فقط، يا إلهي كم أشتاق إليها، فأجبتها: "طلب منيّ والدي البقاء في اليابان، فهو يريدني أن أتعرّف إلى كيوتو"، وزفرت زفرة عميقة، وظهر طائر خارج النافذة فجأةً وهبط على سطح ماء البركة، وبالطبع لم أتفحّص الساحة بحثًا عن أكيو: "أمّي؟ هل أنت معي؟".

بدت مستاءة وهي تقول: "أنا هنا، احتجت إلى دقيقة تفكير فقط، هل يريدك والدك أن تبقي؟".

"نعم"، أنّت معدتي.

"فهمت، حسنًا، وما الذي تريدينه أنت؟".

"أريد أن أبقى، هل أريد ذلك؟"، هل عليّ أن أخبرها بشأن حفل الزفاف؟ بشأن والدي؟ بشأن شجارنا؟ كلّ هذه الأخبار على طرف لساني، كلّ هذه الأحداث الفوضويّة تكاد تخرج من فمي، ولكنّني تخيّلت ردّ فعلها، والقلق الذي سيلازمها، وكم سيكون من الصعب عليها أن تعرف أنّني مستاءة وأنا على بعد محيطات.

"عجبًا، كنت سأشعر بثقة أكبر في كلامك لو لم تجيبي بسؤال".

نظرت إلى طرف رقبة الطائر من خلال الزجاج، وقلت: لقد سألني والدي لماذا جئت إلى اليابان؟ وأريد أن أبقى، وإن كنت أعلم أنّ هذا يعني تفويت المزيد من الحصص الدراسيّة ولكنّني لم... لم أحظَ بوقت كافٍ هنا"، توقّفت قليلًا، واستجمعت قوّتي، وأنا أسمع صوت أنفاسها المتقطّعة، أتمنّى لو كنت أستطيع رؤيتها ودراسة ملامح وجهها.

ثمّ سمعت شهقة.

"يا إلهي! هل تبكين؟ إذا أردتني أن آتي إلى المنزل فسآتي فورًا، لماذا تبكين؟ هل هذا بسبب المدرسة؟ أتعتقدين أنّني سأفوّت تخرّجي، ولكنّني أعدك بأنّني سأكون في المنزل قريبًا، لا تبكي، أرجوك لا تبكي".

"لا يتعلق الأمر بأيٍّ من هذا"، صوت شهيقها وهي تحاول أن تكتمه وتنظّف أنفها: "لا أهتمّ حقًّا بحصصك الدراسيّة أو بتفويت تخرّجك، على الرغم من أنّني أودّ أن أراك وأنت تعتمرين قبعة التخرّج وترتدين الثوب، فأنا أريدك فقط أن تكوني سعيدة"، تنهّدت وأردفت قائلة: "أعتقد أنّني أجد تشاركك مع شخص آخر صعبًا، فلست مجهّزةً لتركك تذهبين، إنّ الأمومة صعبة، أتفهمين ما أقصده؟".

لا أفهمه ولكنّني أستطيع تخيّل الأمر: "نعم".

شهقت مرّة أخرى، وقالت: "أنا أتصرّف بسخافة، اذهبي إلى كيوتو".

"هل أنت متأكّدة؟".

"أنا متأكّدة، ولك مباركتي".

مكتبة
t.me/t_pdf

تنهّدت بارتياح: "شكرًا".

أصبح صوتها أضعف وهي تقول: "لا مشكلة، كما أنّني أريدك أن تستمتعي باستقلاليّتك أيضًا، ولكن ربما عليك أن تتواصلي معي أكثر؟".

"فهمت، سأفعل"، فجأةً أصبحت جائعةً، فأمسكت بالشوكة الفضّيّة الثقيلة، وغرزتها بالبيضة، ثمّ حدّقت إلى الطائر، الذي يرفع إحدى قائمتيه، ويخطو خطوة بطيئة ثمّ ينطلق مبتعدًا عن الماء، وأنا أخاطب نفسي: "أتعلمين أنّ هناك ترابطًا بين

ابتعاد الأطفال عن آبائهم وشعورهم بالأمان في علاقاتهم، ولكن هل تصرّفت مع والدي بشكل جيّد؟".

فأجبت نفسي: "بالطبع"، ولعقت شوكتي، وأنا أشعر بأنّني أكثر هدوءًا وثقةً، لقد حدّدت وجهتي، وأعرف إلى أين سأرحل، أعرف هذا الآن على الأقلّ، ثمّ استقررت في مكاني وأنا أراقب الطائر وهو يدور حول بركة الماء مرّة ويختفي مرّة أخرى خلف صفّ الأشجار.

الفصل التاسع عشر

الرسائل الساعة 9:17 صباحًا

أنا: أنا في طريقي إلى كيوتو، ربما لن أعود إلى الولاية قبل بعض الوقت.

نورا: أنا أغار منك، لقد أكلت لتوّي بيتزا كاملة وأنا مرتدية ملابسي الداخليّة فقط.

غلوري: رائع.

هانساني: هناك الكثير ممّا عليّ استيعابه هنا.

أنا: اشتقت إليكم يا رفيقات.

نورا: وأنا أيضًا، لقد سرقت اليابان أعزّ صديقاتي، يبدو هذا مثل طعنة سكّين في المعدة.

غلوري: يجب أن تقولي إنّ الطعنة في القلب لا في المعدة.

نورا: هذا ما سأقوله وأتمنّى منك دعم أقوالي.

أنا: على كلّ حال... هل أنتنّ غاضبات؟

هانساني: بالطبع لسنا كذلك.

غلوري: لا، فمن المقدّر أنّ تركض بعض الجياد بحرّيّة.

نورا: لا تغيبي عنا طويلًا، حتّى لا تصبحي غريبةً.

أنا: حسنًا، هناك شيء آخر.

نورا: ما هو؟

أنا: إن كنتنَّ ورودًا بدلًا من أن تكنّ بشرًا، هل تعلمنَ أيّ نوع من الورود ستكُنَّ؟

غلوري: هل هذه مزحة؟

أنا: ورود حياتي.

نورا: سأتحمّل أن أُقطف من أجلك.

غلوري: أرجوكما توقّفا.

هانساني: ما الذي حدث مع الحارس الشخصيّ الجذّاب؟

أنا: لا تسألي عن ذلك، لقد تصرّفت بغباء، وأصبح الأمر الآن مربكًا، هذا ما يحصل عندما أفكّر في أن أنثر عطري في الهواء.

نورا: لا تقلقي، أنا هنا، لن أتركك وحيدة.

غلوري: أنتما تحتاجان إلى مساعدة حقيقيّة.

ابتسمت وأنا أنظر إلى هاتفي، ثمّ رجعت إلى الخلف في مقعدي المخمليّ، واستمعت إلى صوت القطار وهو يشقّ طريقه سريعًا نحو كيوتو، فنحن الآن في مقصورة خاصّة، أنا وماريكو والسيّد فوتشيجامي وفريق أمن يرأسه أكيو. لقد خفّف الحارس الملكيّ من ظهوره أمامي، أمّا أنا فكنت أقفز من مكاني بشكل عفويّ في كلّ مرة يُفتح باب بين المقطورات، ثمّ أتقلّص في مقعدي متمنّيةً أن أتجنّبه، كم يثير ذلك الشفقة! فأنا لست حقيبةً من الأحزان تذرف الدموع باستمرار، بل أنا كذلك بالفعل.

رجّ هاتفي في يدي، إنّها رسالة من والدي: هل أنت بخير؟ فكتبت رسالة مقتضبة من ثلاثة أحرف: "نعم"، وبدل أن أخبره بنفسي بأنّني ذاهبة إلى كيوتو، جعلت السيّد فوتشيجامي يفعل ذلك، ونحن الآن نتواصل عبر الرسائل النصّيّة فقط. ربما طرح فكرة الذهاب إلى كيوتو على أنّها فرصة للتعلّم، ولكن يصعب عليّ ألّا أشعر بأنّني منفيّة، فهذه الرحلة كلّها تُشبه نفي العائلات الملكيّة أفرادها غير المرغوب فيهم إلى الريف وهجرهم.

وضعت هاتفي بعيدًا ونظرت خارج النافذة، إلى الريف اليابانيّ، وتأمّلت المناظر التي تقترب منّا بسرعة 320 كيلو مترًا في الساعة، لقد ظهر جبل فوجي ثمّ

اختفى، وكذلك المنازل التي ترتفع فوقها لافتات الأحزاب، وملاعب كرة القاعدة الجافّة، وحظيرة النعام، وأميال من حقول الأرزّ التي يهتمّ بها أناس يضعون القبّعات المخروطيّة المصنوعة من القشّ ويرتدون المعاطف. ترتدي اليابان أبهى حللها هذا الصباح، إنّها مشمسة ويهبّ فيها النسيم اللطيف، وهناك بعض الغيوم في السماء تزيّنها وكأنّها حِلى. إنّه اليوم الأوّل من الربيع، وقد اختفت براعم الكرز بعد أن تلاعبت بها الرياح، ونثرتها على الأرض، وسيبدأ موسم البامبو المسمّى تاكينوكو قريبًا.

جلس السيّد فوتشيجامي قبالتي، وأشار إلى خارج النافذة وقال: "أترين كيف يتعاون القرويّون معًا؟"، لقد لاحظت ذلك فعلًا، إنّهم متجمّعون معًا، وتحيط بهم حقول الأرزّ والأراضي الزراعيّة الواسعة، وأردف قائلًا: "لا يعيش الكثير من الناس في المناطق المرتفعة، فالجبال مناطق الآلهة"، الشنتوريّة هي الديانة الرسميّة في الإمبراطوريّة، وجدّي الإمبراطور هو زعيمها، ورمز الإمبراطوريّة وأعلى سلطة فيها، وتابع: "ومن المحرّم العيش في مناطق مرتفعة حتّى يومنا هذا".

تذكّرت عند قوله كلمة (المحرّمات) محادثتي الأخيرة مع أكيو، فوقفت بغتةً، وقلت: "اعذرني"، وغادرت ورأسي محنيّ.

غسلت يديّ في الحمّام، وفكّرت في رشق وجهي بالماء، لأرى إن كان سيبرّد حروق الإحراج، ولكنّ ماريكو أمضت نصف ساعة وهي تضع المساحيق التجميليّة عليه هذا الصباح، فانتظرت بضع دقائق، وتركت جسدي يترنّح مع حركة القطار، إنّه شعور لطيف تبعثه هزّاته، شعور يريح النّفس، ولكنّني لا أستطيع البقاء هنا إلى الأبد.

ضغطت على زرّ الباب فانفتح، وبينما كنت حانية رأسي ولا أنظر أمامي وأنا أمشي، اصطدمت بجسم صلب، اللعنة، إنّه حارسي الملكيّ وهو لا يزال وسيمًا كما عرفته دائمًا، إلّا أنّه كان أكثر عبوسًا، وهذا أفضل.

قال بصوت شديد الجدّيّة: "سيّدتي، أعتذر، فلم أرَكِ".

لم أستطع النظر إليه ولا أريد ذلك، فما العينان إلّا نافذة تطلّ على الروح، وقلت وأنا غاضّة طرفي: "لا بأس، سأتأكّد من أن أنبّهك على كلّ تحرّكاتي المستقبليّة"، بدوت غاضبة بعض الشيء، بل غاضبة جدًّا، ولكن الدفاع الأفضل هو إهانة جيّدة، وهذه هي المعادلة الوحيدة التي أعرفها من الرياضيّات.

درست نظراته المرتبكة وجهي، وهو يقول: "إن كنت ترغبين في حارس ملكيّ آخر فسأتفهّم ذلك، ويمكن أن يصل البديل إلى هنا...".

"لا أعتقد أنّ هذا ضروري"، ورفعت أحد كتفيّ وأنا أبذل قصارى جهدي لأظهر من خلال لغة الجسد أنّ ما حدث بيننا لا يعني شيئًا، لا يعني أيّ شيء، وتابعت كلامي: "لا سبب يمنعنا من العمل معًا، لقد نسيت الأمر بالفعل"، ولكنّها كذبة كبيرة، فلم أنسَ ولا أستطيع أن أنسى، فلا يزال قميصك معي، ولا أزال أشعر بيديك على خصري وبأصابعك تلامس وركيّ، وأردفت قائلة: "ما حدث كان خطأً، وسوء فهم".

زمّ شفتيه، وهو يقول: "صحيح".

فُتح الباب الذي يصل بين المقطورتين: "سيّدتي، الغداء على وشك أن يُقدّم".

قال أكيو وهو ينحني: "المعذرة، هناك موجز أمنيّ عليّ إنجازه".

حاولت أن أبتسم، ولكنّني واثقة من أنّني فشلت، أما أكيو فحدّق إليّ بعينين مليئتين بالألم للحظة، ثمّ رحل.

راقبته ماريكو، وربتُّ على ظهري فخورة بمحافظتي على نظراتي مثبّتة على النافذة، فأنا أخطو خطوات صغيرة نحو الأمام.

قالت متجهّمة وهي تتفحّص وجهي: "هل كلّ شيء على ما يرام؟ تبدين منزعجة".

أجبت: "إنّه لئيم بعض الشيء فحسب".

تنفّست بعمق، وقالت: "أكيو غاضب بعض الشيء الليلة".

قلت: "نعم، هل أنت جائعة؟ فأنا جائعة جدًّا".

تجاوزت ماريكو وجلست على مقعدي، فقد وُضع الغداء أمامي على صندوق مقسّم إلى عدّة أقسام، وعليه أنواع مختلفة من الأطعمة، وقد وقف أكيو في نهاية المقطورة. لا، لن أنظر إليه، ولكنّني أشعر بثقل تحديقه، أم هو مجرّد أمل؟ ارتفعت درجة حرارة وجهي، فنظرت إليه نظرة خاطفة، إنّه يراقبني حقًّا، بوجه خالٍ من أيّ تعبير، فذكّرت نفسي بأنّه عمله، وهذا كلّ ما عليه أن يفعله، ولا حاجة لإعطاء الأمر أكثر ممّا يستحقّ.

من الضروريّ أن أفعل شيئًا ما يشتّت انتباهي، يمكنني تمضية الوقت بحلّ واجباتي، فقد رتّبت أمر إنهاء حصصي الدراسيّة عبر الإنترنت، ولكنّني عوضًا عن حلّ الواجبات مددت يدي إلى حقيبتي، الحقيبة المصمّمة من قبل مصمّم ما، وتبدو كمغلّف كبير له مسكة، وسحبت سمّاعات الأذنين ووصلتهما بالهاتف، واستمعت إلى موسيقى الهيب هوب وأغنية (ذا روز) التي رقصنا معًا على أنغامها.

خفّفت الموسيقى من صوت القطار المزعج، وصوت خشخشة الجريدة التي يقلب السيّد فوتشيجامي صفحاتها، وصوت ماريكو وهي تتحدّث عبر الهاتف، والأهمّ من هذا كلّه، أنّها خفّفت من صوت أفكاري.

زفرت بإحباط، وكوّرت قطعة من الورق ورميتها جانبًا، لقد تأخّر الوقت، إنّ الوقت يقترب من منتصف الليل، فأطفأت الأنوار، وارتجفت وسط الغرفة التي تعصف بها الرياح. لقد بُنيت هذه الغرفة في نهاية عام القرن السابع عشر، وقد رُمّم قصر السينتو الملكيّ، ولكنّه حافظ على سحره ومظهره القديم، فحافظ على سقفه القرميديّ الذي ينتهي بانحناءات أنيقة، وعلى أبواب خارجيّة خشبيّة ضخمة وأرضيّات مصنوعة من الخشب النادر، كما زيّنته لوحات ذهبيّة تفصل بين الغرف، إنّه المكان الذي يمكنني فيه أن أجد الروح اليابانيّة في كلّ زاوية، حيث لا صحافة صفراء هنا، ولا مناسبات رفيعة المستوى ولا الهاءات.

كانت يداي ملطّختين بالحبر، وأغراضي متناثرة على السجّادة الزرقاء، حيث كنت أعمل طوال ساعة، وأتدرّب على فنّ الكانجي على طاولة عالية، وقد نام كلّ

من في المنزل منذ وقت طويل، وأنا وحيدة مع فشلي الذي يلازمني دومًا، فالتقطت قطعة أخرى من ورق الآشي ووضعتها على قماشة، وثبّتها بحجر التلميع.

غمّست الفرشاة بالحبر الذي قد تستغرق عمليّة صنعه ساعات، من طحن المسحوق إلى خلط الألوان (اللون الذهبيّ، والفضّيّ، واللازورديّ) ثمّ إضافة الصمغ، وقد أتمكّن يومًا ما من فعل هذا، ولكنّها مهارة تتطلّب محترفًا ولستُ سوى مبتدئة. إنّها طريقة الكاتا، وهي التدرّب على فعل شيء ما مرارًا وتكرارًا حتّى يصبح إنجازه سهلًا، وفنّ الخطّ جزء من الهويّة الملكيّة، لذلك فهو جزء منّي الآن. جذبت الفرشاة إلى الأسفل راسمةً الخطّ الأول من كلمة جبل ياما، وانتهى بي الأمر برسم بقعةٍ كبيرةٍ لا معنى لها، فرميت الفرشاة وتناثر الحبر على الورقة، وهذه ورقة أخرى سأرميها.

قالت ماريكو: "أنت تبالغين في التفكير في الأمر"، كانت مَنامتها المخطّطة مغلقة الأزرار حتّى أعلاها.

قلت: "ظننتُ الجميع نيامًا"، تردّدتْ في الدخول من الباب، فتنهّدت تنهيدة يأسٍ، وسألتها: "هل أنت جائعة؟"، وأشرت إلى صحن الحلوى الموضوع على طرف الطاولة.

"يمكنني أن آكل"، وتقدّمت إلى الأمام وانضمّت إليّ إلى الطاولة، وجلسنا في صمت لبعض الوقت، فتوهّج وجه ماريكو تحت ضوء المصباح، وقالت: "هل يمكنني أن أرى؟"، قرّبت منها قطعة الورق التي رسمت عليها رسمي المدمّر، وتشنّجت في مقعدي، فتفحّصتْ خطّ يدي ولم تحاول إخفاء استيائها، كم أتمنّى لو كان لديّ قوّة إحراق الأشياء بعينيّ! ثمّ علّقت قائلة: "عرفت ذلك، أنت تبالغين في التفكير في الأمر، وهذا ما يجعل يدك تفقد ليونتها، كما أنّك تجبرين نفسك على رسم الخطوط بدلًا من أن تجعلي الخطوط ترسم نفسها بانسيابيّة، دعيني أريك". أخذتْ الفرشاة، وغمّستها في الحبر، وضربتْ الخطّ الأوّل على الورقة نفسها، وقالت: "لا تفكّري في الشكل الذي ترسمينه، فكّري في الخطّ

فقط وبالحركة وحدها، إنّها كرقصة، أليس كذلك؟ وإذا ركّزت أكثر من اللازم على الخطوة الأخيرة فستفسدين الخطوة السابقة"، وضربتْ ضربتين أخريين بالفرشاة وأكملت الشكل، فبدا جميلًا ويستحقّ أن يُعلّق على جدار، وقد عبّرت لها عن ذلك.

هزّت برأسها: "لا يزال لديّ الكثير لتعلّمه، ولكنّه مقبول، لا يجب أن يكون مثاليًا، ففنّ الكانجي ما هو إلّا تعبير عن الروح".

داعبتُ طرف الورقة، وأنا أقول: "إنّ مقدار الأشياء التي يتعيّن عليّ تعلّمها مخيف".

أومأت إليّ برأسها: "أتفهّم هذا، فعندما أتيتُ إلى اليابان، كان الأمر مثيرًا للخوف كثيرًا".

تفحّصتها متفاجئة بهذه المعلومات: "ألم تُولدي هنا؟".

"لا، لقد ولدت في إنكلترا، أبي يابانيّ وأمي صينيّة، وانتقلنا إلى هنا بعد أن بلغت الخامسة من العمر".

"لم أكن أعلم بهذا"، كيف لم أعرف هذه المعلومات؟

عبست وقالت: "لم تسأليني".

"أراهن على أنّك كنت طليقة اللسان وتتحدّثين اللغة اليابانيّة بطلاقة".

قالت: "عرفت بعض الكلمات، ولكنّني كنت أتقن الإنكليزيّة، وقد سجّلني والداي عندما استقررنا في اليابان في مدرسة سانت بيتر الدوليّة في طوكيو، وكان عليّ أن أبدأ بتعلّم كلّ شيء من الصفر، وكان ذلك الأسوأ، إذ كان الجميع يسخرون منّي بشكل مريع، ولو تعلمين كم يمكن أن يكون الأطفال قساة".

كلّ الأمور اللطيفة التي قالها الناس لي ما هي إلّا ذرّة رمل مقارنةً بهذه اللحظة، "وكيف تدبّرت أمر ذلك؟".

رفعت إحدى كتفيها: "يتجاوز المرء بعض الأمور وحسب، وفي نهاية فترة الحضانة أصبحت بارعةً في التكيّف".

ارتفعت شفتي إلى الأعلى: "يتعلّم المرء كلّ شيء يحتاج إلى معرفته في رياض الأطفال".

"بالإضافة إلى السومو، فقد اعتدت مشاهدة رياضة السومو برفقة جدّتي، والتدرّب على أسماء المصارعين"، ربّتتْ على الورقة وأضافت: "الجبل كان المفضّل عندي"، فتنهّدت بعمق، وتابعت: "أنا أندمج مع الناس في معظم الأحيان، ولكنّني سأظلّ دائمًا أجنبيّةً بشكل ما".

"لقد أهنت رئيس الوزراء، وسألته عن سبب عدم حضور أخته حفل الزفاف، وبينما كنت أغادر، نعتتني ابنتا عمّي بجايجين".

"هذا مؤلم".

"نعم"، أحنيت كتفيّ، وحدّقت إلى الورقة، فكانت كلمة جبل آخر محاولاتي بعد كلمة سماء وكلمة الأوسط وكلمة شمس، فركّزت على رمز الشمس، رمز اليابان الوطنيّ. فقد ولد أوّل إمبراطور محاطًا بالأشعّة الذهبيّة، وكان من سلالة أماتيراسو، وكيف يمكنك أن تُخطئ والضوء من خلفك؟

أطلقت تنهيدة عميقة وقالت: "تانك الفتاتان، لا تتواجد أمّهما في الأرجاء كثيرًا، لذا يغدق عليهما والدهما من الهدايا الشيء الكثير، وكأنّ الأشياء المادّيّة ستعوض عن غيابها".

"أرجوك، لا تجعليني أشعر بالأسف عليهما".

"لن أفعل ذلك، إنّهما سيّئتان، وصدّقيني لست متفاجئةً من أنّهما قالتا شيئًا كهذا، ولكنّهما في الواقع لا تهاجمان أحدًا ما لم تشعرا بأنّهما مهدّدتان فعلًا"، فشعرت بأنني أفضل حالًا، ثمّ أشارت بذقنها إلى الورقة وأضافت: "لو كنت مكانك لما أضعت وقتي في التفكير فيهما، ولركزت على الكانجي عوضًا عن ذلك".

نظرت إليها شزرًا، وقلت: "هل هذه هي فكرتك عن الحبّ القاسي؟ يجب أن تعلمي أنّه النوع الأسوأ بالنسبة إليّ".

لم تجب ماريكو، بل رفعت حاجبيها فقط. وضعت في النهاية ورقة جديدة أمامي، وغمست الريشة في الحبر، وطرقتها لينزل عنها الحبر الزائد، وحافظت على خفّة يديّ بصبر شديد، وفكّرت في اللحظة فقط، في الخطّ الذي أرسمه لا في الكلمة، ولم يتطلّب الأمر منّي سوى ثانية أو ثانيتين، ولكنّني كشَرت لها عندما جلست، فخطّي مرتجف بعض الشيء في الأعلى وسميك أكثر من اللازم في الأسفل، وهو غير مرتّب وضعيف قليلًا، ولكنّه ينبئ بالقوّة، ومن المحتّم أنّه يمكن أن يصبح أكثر ترتيبًا، ولكنّني أحبّه، لأنّه يعبّر عن روحي التي تعاني من الفوضى العارمة.

اطلعت ماريكو على جهدي وقالت: "يحتاج إلى المزيد من العمل الجادّ، ولكنّه أفضل من السابق".

فتفحّصت الرسم، ثمّ صرخت: "يا إلهي، لقد اكتشفت شيئًا للتوّ".

"ماذا؟ ما هو؟".

ابتسمت بخبث قائلةً: "أنت معجبة بي".

عبست: "ماذا؟ أنا لست..."

قلت بإيماءة جادّة: "أنت معجبة بي".

"توقّفي عن قول هذا".

"أنت معجبة بي وتريدين أن تكوني صديقتي".

زمّت شفتيها: "إن سمعك أحد ما فسيظنّ أنّك قد جُننت". تصلّبت ذراعاها وزفرت: "أنا أحترم ما تفعلينه، إنّه ليس عملًا سهلًا، وأنت ترتقين إلى مستوى التحدّي، وإنّه شيء مثير للإعجاب على ما أعتقد".

نظرت إليها نظرة العارف بالأمر وقلت: "نعم".

لا يمكن لماريكو التصرّف باعتدال، فتنهّداتها الطويلة محبطة: "هل تريدين الحصول على مساعدتي في التدرّب على فنّ الكانجي أم لا؟".

قلت وأنا ألحّن كلامي: "نعم يا صديقتي".

ثرثرة طوكيو

عطلة الفراشة المفقودة في كيوتو

---

21 نيسان 2021

على الرغم من أنّ التعب قد قطع جولة الإمبراطور في جنوب شرق آسيا، إلّا أنّ تحضيرات عيد ميلاده السابع والثمانين تجري مستمرّة على قدم وساق، وسيكون جميع أفراد العائلة الملكيّة موجودين، وقد حُدّد الحضور الرسميّ حين ستُقدّم سموّ الأميرة إيزومي رسميًا إلى جدّيها للمرّة الأولى.

رأى مراسلو جريدة ثرثرة طوكيو والسكّان المحلّيّون مؤخّرًا سموّ الأميرة في أنحاء كيوتو، وقد رُصدت تحرّكاتها في الغالب مساءً، فشوهدت الأميرة إيزومي تزور معبدًا وبيتًا للغاييشا الأسبوع الماضي.

وفي الوقت الذي تمضي فيه الأميرة عطلتها في كيوتو، كانت ابنتا عمّها تتكبّدان أعباء الأعمال الملكيّة، كحضور الواجبات الرسميّة نيابةً عن أمّهما سموّ الأميرة أكاسوكي التي لم تغادر الأراضي الملكيّة منذ أسابيع.

وماذا عن ابن عمّها الثاني كيتاي؟ قال مصدرنا في القصر إنّهما كليهما أصبحا مقرّبين من بعضهما، وقد ورد في سبقٍ صحفيٍّ حصريّ أنّ الأمير كيتاي شوهد للتوّ على متن القطار الملكيّ، ووجهته، مدينة كيوتو.

الفصل العشرون

أخبرني شيراسو أنّ مدينة كيوتو معروفةٌ بأنّها مدينة أصحاب المتاجر، وأنّ حقل الخيزران الذي نقف وسطه ملك لعائلته منذ خمسة أجيال، وقد زوّد هذا الحقل العائلة المالكة بالخيزران طوال هذه المدّة.

كان شيراسو منكمشًا على نفسه وهزيلًا، وجسده شبيه بشرائط أوراق الحظّ التي ترفرف خارج المعبد الذي زرناه في وقتٍ سابق، ومازلت أشعر بحرقةٍ في فتحتي أنفي بسبب رائحة البخور منذ ذلك الوقت. لقد وصلنا إلى هنا بالسيّارة، بعد أن قضينا ساعةً كاملةً على الطرقات الترابيّة المغطّاة بالغابات المعمّرة، وكان الضباب ينتشر في المكان مخفيًا معالمه، الشبيهة بعصور ما قبل التاريخ. عندما خطونا خارج السيّارة، توقّعت أن يثب نمرٌ ذو أنيابٍ من بين الشجيرات، ولكن بدلًا من ذلك، ظهر شيراسو ورحّب بنا، ومع ذلك يبدو الأمر وكأنّنا عدنا بالزمن إلى الوراء. كان منزله بسيطًا ذا سقفٍ من القشّ، وهو يصرّ على أنّ هذا كلّ ما يحتاج إليه، ثمّ توغّلنا في بستان الخيزران الذي تبلغ مساحته عشرين ألف مترٍ مربّعٍ، وكان يتحدّث كثيرًا وبلغةٍ إنكليزيّةٍ ركيكة.

قال: "فكّر والدي في بيع هذا الحقل قبل سنوات، وسافرنا إلى طوكيو لنعقد اتّفاقًا مع شركةٍ كبيرة"، وكان قد نسي اسم هذه الشركة، كما أن ظهره قد انحنى بسبب تقدّمه في العمر، وتابع كلامه: "في ذلك اليوم، سقطت أوّل قنبلةٍ على المدينة"، قالها وهو يقلّد الانفجار بحركات يديه: "ضاع كلّ شيء، واختبأتُ تحت المكتب لأتمكّن من النجاة، لكنّ والدي لم يكن محظوظًا"، وتابع كلامه ليشرح لنا كيف قتل والده بعد أن أصيب في رأسه، وكيف اندلعت النيران في كلّ مكان،

وتحطّم الزجاج وكذلك مقابض الأبواب، وكيف لعب فوق الرماد مع أطفالٍ آخرين بينما كانوا ينتظرون عودة وسائل النقل إلى كيوتو، وقد أعادته أمّه مجددًا إلى الحقل، ولم يفكّرا في بيعه بعد ذلك، وحين أصبح كبيرًا كفاية، استلم العمل عن والدته التي كانت ترعى الخيزران وتبيعه، وقد نُقِشَ اسم والده على لوحة في منتزه يوكواميشو في مدينة طوكيو، فوعدته بأنّني سأزوره يومًا ما، لأقدّم احترامي.

خلال الأسبوعين الماضيين، حفظتُ الحروف اليابانيّة الأكثر شهرةً، وزرت كلّ متر مربّعٍ من كيوتو، من منازل الشاي، ومسارح الكابوكي، ومصانع المظلّات... كما حضرتُ في المساء دروس آداب السلوك مع ماريكو. انتبهوا من فضلكم كيف أصبحتُ أضع يديّ أمامي، وكيف تقلّصت مسافة خطواتي التي اعتدت أن أخطوها، وكيف أبتسم من دون إظهار الكثير من أسناني، وكيف أضحك واضعةً يدي على فمي، وبدلًا من الإشارة بيدي، أقوم بإيماءةٍ بكفّي المفتوحة، وفوق كلّ هذا، فإنّني أتمرّن على اليابانيّة مع ماريكو والسيّد فوتشيجامي، وأصبحت قادرةً على التواصل بطلاقة تقريبًا، فلم أتقن اللغة تمامًا، ولكنّني بالتأكيد أحرز تقدّمًا. لقد تغيّرت الأمور بسرعةٍ، وأنا تغيّرت، كما هدأت المشاعر السيّئة التي كنت أحملها تجاه والدي، فقد أصبحتُ امرأةً بما يكفي لأعترف بأخطائي، كما كانت كيوتو جيّدة، وإنني ممتنة لأبي.

صاح شيراسو قائلًا: "بعض أنواع البامبو تنمو ثمانين قدمًا في غضون شهرين"، فحدّقتُ إلى سُوق النباتات الشاهقة، فبدت ثخينةً ومتباعدةً عن بعضها، وكم من السهل الانسلال بين الفراغات واحتمال الضياع فيها! فسطع ضوء الشمس من بينها، أصفر بلون العسل وخفيفًا ودافئًا، وهبّت الرياح، فتذكّرتُ الديانة الشنتوريّة، وكيف كانت الآلهة تقيم على التلال والأشجار، وشعرت بوجودها هنا. قال شيراسو: "السماء صبورة"، ثمّ توقّف، وكان هنالك شقٌّ أمام قدميه، ثم قال: "يستغرق الخيزران وقتًا لينمو، وتمتدّ جذوره، وقد يستغرق ثلاث سنواتٍ قبل أن يظهر على السطح، لكنّه بعد ذلك...". أدّى الحركة نفسها التي أدّاها عندما كان يتحدّث عن الغارات الجويّة.

جثا على الأرض، وقال: "أفضل الخيزران تحت الأرض"، أخرج معولًا صغيرًا من جيبه، وكانت يداه كعقدتين مشدودتين، وحفر في التربة حتّى رفع بصلة زنبقٍ أبيض، وتأكّد من نضجها باستخدام ظفر إبهامه، وقال: "هشّةٌ، مثل التفاحة"، وسلّمها لابنه، فقد أصبح الفتى الآن مزارعًا، وكان يصغي إلى كلام والده وكأنّه يتلو الإنجيل، ولكنّه سيتولّى العمل يومًا ما، ثمّ وضع الفتى البصلة في سلّة.

انحنى شيراسو ودعاني إلى التمتّع بملكيّته، وقال لي: "افعلي ما يحلو لكِ".

أجبته بإيماءةٍ تدلّ على الموافقة.

وتمنّى رؤيتي مجدّدًا، ربما في شهر حزيران، لرؤية الضفادع ذات اللون الزمرديّ التي تتشبّث بساق الخيزران، وحضور مهرجان غيون حيث ترتدي النساء الثوب اليابانيّ الصيفيّ، وتُزيَّن المحلّات التجاريّة بشكلٍ فنّيّ، وتطفو العوّامات في المساء، وتنساب الموسيقى في الشوارع عذبة.

تركتُ ماريكو والسيّد فوتشيجامي خلفي، وتغلغلت في عمق الغابة، فكان الخيزران هنا أطول، ولا يزال يبسط جذوره، بأوراقه العريضةٌ التي تحجب ضوء الشمس، فشيراسو يقلّم نباتاته ليظلّ طولها ستّة أقدامٍ لا أكثر، لكنّها في هذا القطاع ولسببٍ ما نمت كثيرًا، ثمّ سمعت وقع خطوات خلفي فكانت خطوات أكيو، إنّه يتبعني مثل ظلّي، فتوقّفت، ومرّرت يدي على ساق إحدى النباتات، وحاولتُ أن أشعر بالآلهة في داخلها.

لمحت أكيو بطرف عيني، فبدا وجهه عابسًا وفمه البيضاويّ يضغط عليه بشدّة، وكانت قطرات صغيرة من العرق تتصبّب على جبهته، فسألته: "هل أنت بخير؟"، فهل من الممكن أن يكون مريضًا؟ من الصعب تخيّل أنّ مرضًا مزعجًا قد يصيب الحارس الملكيّ.

قال وقد بدا متصلّبًا: "أنا بخير".

"حسنًا"، ظللت أتجوّل، ولا تزال سيقان الخيزران تزداد ارتفاعًا، والأوراق تتمايل، والضباب ينتشر في المكان فهو يخرج من الأرض وكأنّه زفيرها.

بدا أنّ أكيو يختنق: "ألا تعتقدين أنّ الحقل يزداد كثافةً؟".

تفحّصته وأدركت ما الذي يحدث، إنّه يخاف من الأماكن الضيّقة، فهبّت رياح قويّة، ونثرت ورقة التصقت برقبة أكيو من الخلف، فظهر الخوف في عينيه، يا إلهي، اللعنة، أمسك أكيو بالساق التي أهانته وكسرت كبرياءه، تبًّا، إنّها قويّة، فانتابته نوبة غضب، وظلّ يضرب سيقان الخيزران بقوّة.

"يا إلهي، اهدأ، لقد رحلت ساق الخيزران السيّئة"، فاقتربت منه، ولمست كتفه فهدأ، وقلت: "اهدأ، لقد غابت الشمس يا صديقي".

نظر إليّ من فوق كتفه فأحرقت نظراته يدي التي انتزعتها بسرعة، فلا يزال هناك شرارة مشتعلة بيننا.

سقطت الساق من يديه: "هل اقتبست كلامك من فيلم (ذا أفينجرز)؟"

قلت بفخر: "نعم".

مسح يديه وهمهم: "إن كنت أحد أبطال هذا الفيلم فلن أكون (ذا هالك)".

رفعت حاجبيّ حتّى وصلا إلى مقدّمة شعري: "ألن تكون (ذا هالك)؟".

قال ساخرًا: "لا، من الواضح أنّني سأكون توني ستارك بشخصيّة الرجل الحديديّ".

ضحكت، ولكنّه لم يفعل مثلي، وأخذت نفسًا عميقًا، وقلت: "هل أنت جادّ؟".

قال بنظرة خاوية: "حسنًا، من المؤكّد أنّني لست ذا هالك أو هاوكي".

"نعم، هاوكي هو أسوأهم"، ما أعنيه أنّه بالطبع لديه قصّة رومنسيّة رائعة، ولكنّ سلاحه هو القوس والنشّاب، وهذا سخيف: "وماذا عن دكتور سترينج؟" أسفت على سؤالي ما إن طرحته.

شهق أكيو: "هل تقصدين ذلك الرجل الأبيض الذي يستخدم السحر الصينيّ؟".

قلت: "هذه إشكاليّة بسيطة، من الجيّد أنّ يكون هناك المزيد من التواجد الآسيويّ في مثل هذه الأفلام"، ربما يجب أن يكون هناك القليل من الأبطال الخارقين الآسيويّين،

وربما بطل خارق آسيويّ واحد فقط، ولا يبدو أنّ طلب هذا يعتبر أمرًا عظيمًا.

ضحكنا معًا، وحدّقت إلى قدميّ، وأرخيت ثقلي على كعبيّ: "المساحات هنا ضيّقة أليس كذلك؟".

هزّ رأسه: "زارت عائلتي غابة خيزران مثل هذه عندما كنت أصغر سنًّا، ولم تكن مزرعةً، بل أشبه بمحميّة سياحيّة. فضعت لعدّة ساعات، ولم أستطع إيجاد طريق العودة"، ثمّ ارتفعت يده ومسحت أصابعه شعري، فقاومت سحر لمساته، ولكنّه رفع شيئًا صغيرًا أخضر أسقطه على الأرض، وقال: "إنّها ورقة".

قلت له: "بالطبع، ربما يجدر بنا أن نعود"، ولم أنتظر إجابته، وبدأت بالسير، فلحقني، ولكنّني لا أريد أن أترك الأشياء معلّقة ومتشابكة هكذا.

وقفت بغتةً، وكدت أصطدم به، فتراجعت إلى الوراء، فلا أريد أن ألمسه مرّة أخرى.

"أكيو..."

"إيزومي..."

قلنا اسمينا في الوقت نفسه، فمدّ يده، وقال: "أرجوك تكلّمي أوّلًا".

لست واثقةً ممّا سأقوله الآن، وأنا أستولي الآن على خشبة مسرحنا، فازدردت لعابي، وأنا أتمنّى لو كان بإمكاني فهمه بشكل أفضل قليلًا، كما أتمنّى لو كان في إمكاني لمسه أكثر: "أنا آسفة على طريقة تصرّفي في القطار، وفي السيّارة، وعلى طلب مناداتي بالأميرة".

أومأ إليها برأسه وكأنّ الأمر لا أهمّيّة له: "أنا أتفهّم".

"لا أريدك أن تعتقد أنّني أفكّر في هذه الطريقة، فلم أعتبر نفسي يومًا أعلى منك شأنًا"، وتوقّفت قليلًا ثمّ تابعت: "لا أعني ما قلته".

قال بغاية الجدّيّة: "يجب أن تعنيه".

نظّفت أنفي بعد أن بكيت: "فكّرت في أنّك محقّ".

"بشأن ماذا؟".

"بشأننا، أعلم أنّ ما بيننا لا يمكن أن يحدث، وأنّه كان مجرّد خطأ غبيّ"، وتنفّست بعمق، وتركت الدموع تجفّ: "بالإضافة إلى ذلك، فإن واعدتك فسيظنّ الناس أنّني سطحيّة لأنّك وسيم جدًا"، فرفعت أنفي عاليًا، وكأنّ الأمر بات يتعلّق بصورتي أمام العامّة هذه الأيّام.

ضحك بجفاف: "وقد يظنّ الناس أنّني خنت النظام الملكيّ وأنّني انتهازيّ ولا يستحي".

لقد أصبت كبد الحقيقة: "من المؤكّد أنّنا لا نريد ذلك".

"هكذا سينتهي الأمر إذًا"، والتقت نظراتنا للحظة ثمّ ابتعدنا عن بعضنا.

"هكذا سينتهي الأمر".

لماذا أشعر وكأنّني أخسر شيئًا ما مرّة أخرى؟ وقلت: "ولكنّنا نستطيع أن نبقى صديقين، أليس كذلك؟"، لقد اشتقت إلى التحدّث إليه.

تحرّك قليلًا، واقترب منّي بعض الشيء، وقد هدأ التوتّر، ومدّ يده لأصافحه، وقال بشكل قاطع: "نحن صديقان".

انزلقت راحة يدي على راحة يده، وتشابكت أصابعنا، وهززنا يدينا هزّة واحدة، ثمّ بقينا ثابتين للحظات أطول من المعتاد، ثمّ افترقنا بهدوء، فربما ستكون المرّة الأخيرة التي نتلامس فيها، وأريد أن أتذكّرها، أن أتذكّر شعوري براحة يده الخشنة ودفئها.

مشينا متمهّلين في الغابة، فسأل أكيو: "هل تتذكّرين الطريق؟"، عجبًا، لا يزال خائفًا بعض الشيء، وهذا لطيف.

قلت لأطمئنه: "بالطبع".

ارتفع حاجباه بسبب غضبه: "هل نستطيع أن نتّفق على أن ننسى حادثة الهلع؟ الإحراج أسوأ من الحادثة الفعليّة".

قلّدت حركة إغلاق شفتيه وكأنّها سحّاب، ثمّ فتحتهما مجدّدًا: "لن أخبر أحدًا، ولكن عليك أن تعلم بأنّني أجد فكرة الحارس الملكيّ الضعيف محبّبة، وتجعلك بشريًّا".

"حقًّا؟"، التوى فمه كاشفًا عن ابتسامة غاضبة.

"نعم طبعًا، إنّه النوع المفضّل لديّ، أمّا النوع الذي يحتلّ المرتبة الثانية فهو النوع الغاضب الذي لا يتحدّث".

ضحك، وخفّ توتّره وارتجاف جسده، فقد أتممت المهمّة، وجعلته يشعر بأنّه أفضل حالًا، وهذا ما يفعله الأصدقاء تمامًا.

قدته عبر البستان، وتحدّثنا عن أخبارنا، ثمّ سألته عن أمّه.

"إنّها تتحسن بقدر ما هو متوقّع منها، وأتّصل بها بقدر ما أستطيع، ولكنّني لم أكن قادرًا على الزيارة..." أوقف نفسه عن المتابعة ولكنّني فهمت الأمر، أنا من تسبّبت بإطالة المسافة بينهما، وأتمنّى لو كان بإمكاني التعويض له، يمكنني أن أطلب بديلًا عنه، وأن أعفيه من واجباته، ولكنّني لا أريد أن أخسره، أعلم أنّني أنانية، فاقترحت عليه اقتراحًا يخالف رغبتي: "يمكنك إن كنت تريد أن..."، سأعرض عليه هذا فعلًا: "يمكنك أن تذهب إلى المنزل إن كنت تريد ذلك، وسأوافق على هذا القرار".

نظر إليّ بحدة: "هل هذا ما تريدينه؟".

قلت بسرعة كبيرة: "لا، ولكنّني سأتفهم رغبتك، وإن أزعجني رحيلك، فقد اعتدت على تواجدك بالقرب منّي".

أطلق زفيرًا وهو يقول: "لا أريد أن أغادر، أنا أيضًا اعتدت عليك".

لعقت شفتيّ: "اتّفقنا إذًا، ستبقى".

"سأبقى".

حرّكت الطريقة التي قال بها هذه الكلمة والتي تشبه وعدًا قطعه على نفسه شيئًا في داخلي.

ما إن تمكّنا من رؤية السيّد فوتشيجامي وماريكو، انتهت محادثتنا، وجلس أكيو في طريق عودتنا إلى القصر في المقعد الأماميّ، وجلست في المقعد الخلفيّ مع السيّد فوتشيجامي وماريكو.

"ماريكو؟ هل معك قلم وورقة؟".

شعرت بالفضول، ولكنّها لم تطرح الأسئلةً، بل بحثت في محفظتها وقدّمت لي مجموعة من الأوراق وقلم رصاص. أن تكون مستعدّةً دائمًا هو جزء من عملها، فلديها كلّ الأغراض في حقيبة يدها، من إبرة وخيط، وحبوب النعناع، والفوط الصحّيّة وحتّى المال، إذ لا يحمل أفراد العائلة الملكيّة المال، لأنّ البلاط يدفع ثمن كلّ ما يحتاجون إليه، ولكنّني أحمل بطاقة ائتمانية للظروف الطارئة أعطتني إيّاها أمّي تحسّبًا فقط.

خربشت شيئًا على الورقة وطويتها في المنتصف وناولتها إلى السيّد فوتشيجامي.

فتحها وقرأها، فارتفع حاجباه: "هذا ليس شيئًا يُمكن القيام به في العادة"، لم أستطع فهم نبرة صوته، فهل تعني نبرته أن يقول لي كيف تجرئين على طلب ذلك، أم أنّه يعني أن يقول إنّه يحترم هذا التصرّف اللطيف، كما يمكن أن يكون الأمر مزيجًا من الحالتين.

قلت: "أرجوك"، رمشت عيناي، وقفز قلبي من مكانه، وانا أرجو أن يقوم بذلك من أجلي، من أجل أكيو، ومن أجل عائلته.

وضع الورقة في جيب سترته: "سأرى ما في إمكاني فعله".

قلت له: "شكرًا"، وأحنيت رأسي.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الحادي والعشرون

استمرّت ماريكو بالتحدّث عن مبادئ الإتيكيت معظم الوقت في طريق عودتنا إلى القصر، وكان كلّ حديثها حول فشل شيرازو في القيام بانحناءة بزاوية خمسٍ وأربعين درجة عندما ودّعنا، واستمرّ هذيانها تسعين دقيقة، فيجب أن تكون قد تخطّت الرقم القياسيّ في الكلام، وأخيرًا وصلنا إلى الأراضي الملكيّة، وأُغلقت البوّابات خلفنا، وبدت الأرض معتنى بها على نحو ممتاز، فالحدائق مليئة بأشجار البونساي، وكلّ شيء يلائم الجوّ العتيق لمدينة كيوتو.

قلت بلباقة: "أنا متأكّدة من أنّه يعاني من ألم في الظهر"، بصراحة، لم أستمع إليها جيّدًا وأنا أراسل أمّي وصديقاتي. أرسلت أمّي رسالتها اليوميّة التي تطمئن من خلالها على أخباري: "كيف حالك؟" وأجبتها برسالة كتبت فيها: "رائعة"، وأرسلت إليها صورة غابة الخيزران. أمّا نورا فهي مشتركة في حملة لتطبيع ارتداء الرجال للبناطيل القصيرة، فأرسلت إليها صورتين ليدين ترفعان إصبع الإبهام موافقةً.

لكزتني وهي تقول بصوت مفعم بالغضب: "ومع ذلك، ألا تعتقدين أنّه كان عليه...".

نظرت إلى الأعلى وصحت، هناك صفّ من السيّارات في الممرّ، وكانت صناديقها الخلفيّة مفتوحة، وهناك طاقم كامل من العمّال الذين يغطّون أيديهم بالقفّازات البيضاء، وهم يُنزلون أمتعةً شخص واحد، وها هو كيتاي في وسط المشهد يظهر متألّقًا ووسيمًا تحت ضوء الشمس.

قالت ماريكو حائرةً: "ما الذي يحدث هنا؟ هذه الزيارة ليست من ضمن جدول أعمالنا"، وقلّبت صفحات ملفّ على هاتفها، فهي تتأكّد من جداول

مسارات أفراد العائلة الملكيّة كلّ صباح، حيث يرسل البلاط بريدًا إلكترونيًّا يفصّل تحرّكات كلّ فرد من أفراد العائلة الملكيّة.

فككت حزام الأمان، وترجّلت من السيارة، فأطلقّ السيّد فوتشيجامي هسيسًا من بين أسنانه، فقلت وأنا أنظر إلى الخلف بينما أنزل من السيّارة: "أنا آسفة"، ركضت إلى كيتاي، وتوقّفت قريبًا منه، وابتسمت له، ففتح ذراعيه، ورميت بنفسي في حضنه وتعانقنا عناقًا قويًّا حارًّا، وقال وهو يحتضنني: "يا لها من استجابة أميركيّة حماسيّة!" ثمّ أضاف بدفء: "إلّا أنّ الحنان العام ليس منتشرًا في اليابان، وأنا سعيد برؤية أنّك لم تفقدي حماسك"، وضمّني بقوّة أكبر قبل أن يطلق سراحي.

حدّقت إليه، إنّه لا يرتدي أيّ ملابس ملوّنة اليوم، ولكنّ سترته وربطة خصره التي تطابقها يتخلّلهما خيوط ذهبية، كما أنّني أستطيع أن أرى بعض المسحوق اللامع على شعره.

سألته وأنا أراقب ماريكو والسيّد فوتشيجامي ينزلان من السيّارة: "ما الذي تفعله هنا؟ لم تخبرني بأنّك قادم".

لقد تحدّثنا عبر الرسائل بالطبع، وأخبرته بقصّة رئيس الوزراء والتوأم اللامع، وأخبرني بدوره بأنّ نوريكو كانت تبوّل على نفسها في مرحلة رياض الأطفال، لأنّها كانت محرجة كثيرًا من أن تطلب الذهاب إلى المرحاض، وأنّ أكيكو لم تتوقّف عن تناول الصمغ، وقد عُقد اجتماع طارئ بشأن هذا، دُعي إليه حرّاس الأبواب والمعلّمون وأشخاص آخرون من خبراء السلوك.

"لقد جئت للزيارة، فمن غير العادل أن تحظي بكلّ المتعة في الريف"، نظر إلى الأسفل، فتأوّه وضغط على أنفه بإبهامه وسبابته: "أرجوك أخبريني بأنّك لا ترتدين ملابس داخليّة حياديّة الألوان، فالوضع مريع إلى درجة أكبر ممّا اعتقدت، ويبدو أنّني زرتك في الوقت المناسب"، ابتسم بعد أن رأى ضحكتي، يا إلهي، من الجيّد رؤيته هنا.

مشى السيّد فوتشيجامي إلينا بتثاقل وهو يزرّر سترته وقال: "سيّدي، لم نكن نتوقّع رؤيتك هنا".

عبست ماريكو، فقد سمعت تعليقه بشأن الملابس الداخليّة، ولا شكّ في هذا، فهي تختار كلّ يوم لباسي بشكل دقيق.

غمز كيتاي الحارس وقال: "هذا هو الجزء الممتع في الأمر، إنّها مفاجأة، فأنا شخص ممتع".

سأل السيّد فوتشيجامي: "هل رافقك حارسك السيّد واكاباياشي؟".

لوّح كيتاي بيده وقال: "إنّه في الداخل في مكانٍ ما...". انخفض صوته، وكانت عيناه تحدّقان إلى صفّ السيّارات، حيث وقف كلٌّ من أكيو ورينا على بعد خطوات من بعضهما، وهما يناقشان أمرًا ما، وقال لي: "يقف حارسك الشخصيّ على مقربةٍ من حارستي، في رأيك ما الذي يتحدّثان في شأنه؟".

قلت بابتسامةٍ عريضةٍ لدرجة أنّها آلمتني: "على الأرجح أنّهما يناقشان أمور الحماية".

قال بشكل ارتجاليّ: "لا، على الأرجح أنّ رينا تتحدّث عن جنازتي الوهميّة التي تتخيّلها، لأنّها غاضبةٌ منّي، وكلُّ هذا لأنّني تكلّمت معها عبر باب المرحاض بينما كانت في الداخل، ولا أدري لمَ لم يعجبها ذلك، فأنا أشعر أنّ هذا يقرّبنا من بعضنا، أتفهمين ما أعنيه؟".

قلت بكلّ بساطةٍ: "لا، لا أعلم"، بالرغم من أنّني أعلم ذلك نوعًا ما، فأنا والفتيات لا نشعر بأيّ خزي عندما يتعلّق الأمر بدخول المرحاض، فبعض أفضل لحظات صداقتنا انطلقت من هناك.

تجاهل الموضوع وأصبحت ابتسامته أعرض، ولمع الخبث في عينيه، وقال: "دعينا نتناول العشاء معًا الليلة، في مكانٍ سخيٍّ وباهظٍ للغاية حيث سيرمون بتلات الزهور عند أقدامنا"، أخرج هاتفه، وبحث فيه، ثم قال: "هل سبق لكِ أن تناولت طبق الكايسيكي؟".

"لا أعلم ما هذا".

"إذًا فلا بدّ من ذلك، ولكنّك بحاجةٍ إلى لمسة أناقة"، وحدّق إليّ، ثم قال: "إن الطاهي الذي أفكّر فيه لا يعبث، بل يأخذ نفسه على محمل الجدّ".

تدخّلت ماريكو قائلةً: "ربما كيمونو حريريّ سيفي بالغرض؟".

نقل كيتاي انتباهه إليها، وعلى وجهه نظرةٌ شيطانيّة، وقال: "سيفي الكيمونو بالغرض على نحوٍ جميل، كما تعلمين، لا أعتقد أنّه سبق لنا أن التقينا، يا ابنة عمّي، لمَ لَمْ تعرّفيني من قبل إلى وصيفتك الجميلة؟"، ثمّ انحنى لها.

احمرّت ماريكو خجلًا، وقالت بصوتٍ لطيفٍ لم تستخدمه معي على الإطلاق: "سأحتاج إلى ساعةٍ من الوقت لأجهّزها".

مجدّدًا، انحنى كيتاي لها بفخرٍ، ونظر إليها، وكأنّها اخترعت كعكةً ما، وقال: "بالطبع، وأنا خادمك في كلّ شيء، وكما تعلمين، لو لم يكن قلبي مرتبطًا بامرأةٍ معيّنةٍ تخبّئ الأسلحة في جميع أنحاء جسمها...".

ربّاه، هذا يكفي، قلت وأنا أحاول التواصل معه بعينيّ: "كيتاي".

التفت إليّ وقال: "صحيح، نعم، لقد نسيت نفسي لدقيقة، من الجيّد أنّ رينا ليست من النوع الغيور، بالرغم من أنّني أتمنّى لو كانت كذلك"، فنظر إليها بشوقٍ لدقيقة، ثم عاد إلى هاتفه، وقال: "سأحجز لنا"، ونظر إلى الأعلى، ثم صرخ في أحد العاملين الذي كان يرفع حقيبةً من القماش الخشن المثقوب بينما كان يغادر، وقال: "تعامل مع هذا بحذر، فهنالك حيوانٌ حيٌّ في الداخل".

تناولنا العشاء في منطقة الغاياشا، جيون، في قلب كيوتو ومركزه الروحيّ، حيث بيوت الشاي الآيلة للسقوط، وصنّاع سيوف الحكّام، والنساء اللواتي يرتدين الكيمونو.. كان المطعم مخصّص للمدعوّين فقط وفيه سبع كراسٍ، إلّا أنّ رئيس الطهاة يفضّل ألّا يزيد عدد الضيوف عن خمسة، وكان اسمه كومورا وتساعده ابنتاه، مثل حال شيراسو مزارع الخيزران الذي يساعده أولاده، فأشعلت الأختان الشموع في شمعداناتٍ برونزيّةٍ ووزعتاها في أرجاء القاعة. وكان المطعم عبارةً عن منزلٍ حُوّل إلى مطعم، فكانت الجدران من خشب الأبنوس الملطّخ بعد مرور سنواتٍ من الدخان المنبعث من الموقد المفتوح، الذي يدعى بالكيوروبيكاري، أيّ البريق الأسود، إنّ هذا المطعم جوهرةٌ مخفيّةٌ حيث يختبئ بين صالة ألعابٍ ومتجرٍ للتحف الأثريّة.

في إمكان أيّ زائرٍ المشاركة في طقوس الشاي عندما يأتي إلى طوكيو، لكن قلّةً من الناس سيجرّبون الكايسيكي، وأنا كنت من بين أولئك المبارَكين، صُنعت الطاولة التي نجلس إليها من الخشب السميك، وكان سطحها ذا لونٍ باهتٍ، وباليًا ومصقولًا، أضعفته مع مرور الزمن الأيدي والأطباق وأكواب الشاي، وكانت البساطة جوهر الكايسيكي، فقُدِّمَت لنا لقماتٌ صغيرةٌ كالمجوهرات موضوعةٌ في أطباقٍ غير مزخرفة.

ابتسم كيتاي، ولمعت عيناه وسألني: "أخبريني كلّ شيء، هل أحببتِ كيوتو؟ أم كرهتها؟"، كان يرتدي بذلةً من الساتان مع ربطة عنقٍ ملائمة لها، وكان شعره أسود لماعًا، وكلّ شيءٍ فيه أنيق، وكلّ ما كان ينقصه وجود ذلك النمس الأبيض المحيط بكتفيه. سيعرض مصمّم الأزياء الشهير تومو مورياما للمرّة الأولى الحيوانات الحيّة كجزءٍ من مجموعته لأزياء الخريف خلال أسبوع الموضة في طوكيو، وحصل كيتاي على أحد النماذج الأولى، ولكن لن يسمح الطاهي له بإدخاله، ولحسن الحظّ، فقد أتى كيتاي مزوّدًا برباطٍ من نوعٍ ما لهذا المخلوق، وقد أخذه أحد الحرّاس في نزهة.

تنفّست بعمق، فمن الصعب القيام بذلك بما أن خصري موثّقٌ بإحكام، بالتأكيد قامت ماريكو بسحر العرّابة الجنّيّة الخاصّ بها، فكان الكيمونو الذي أرتديه مصنوعًا من الحرير الأزرق المخضرّ، والمنسوج بالخيوط الفضّيّة ليحاكي المياه المتموّجة، وكان مطرّزًا بأوراق الزنبق المتعدّدة الألوان، وكان شعري مشدودًا إلى الخلف بشكل كعكةٍ منخفضةٍ مع دبوس شعرٍ على شكل زهرة الأقحوان ليكمّل الزيّ.

قلت بهدوء: "كيوتو مثل الحلم"، على الرغم من أنّ الجو كان هادئًا والإضاءة خافتة، والأصوات منخفضة، وهناك وسائدُ لنتّكئ عليها، وبساطٌ حريريٌّ وحيدٌ معلّق على الجدار، إلّا أنّه كان كحقل ألغامٍ ثقافيّ، مليء بالأماكن التي قد أخطو عليها بطريق الخطأ، وقد تنفجر هذه الأمسية بأكملها في وجهي. تفقّدتُ وضعيّتي،

والطريقة التي أمسك بها العيدان، وذكّرت نفسي كيف أنحني عند نهاية الوجبة، وكانت ابتسامتي حقيقيّةً، وقلت له: "حتّى إنّها الآن أجمل بما أنك هنا".

أحضرت الشقيقتان الدفعة الأولى من الطعام، وهو عبارة عن مغرفةٍ من الأرزّ من مقاطعة هوكايدو مقدّمة مع حبوب الفول المشويّة، وحالما وُضعَت الأطباق على المائدة قال كيتاي: "كنت أنوي زيارة زميل دراسةٍ قديمٍ لي يعيش هنا، اسمه جوتارو، وهو أرستقراطيٌّ سابق يتاجر الآن بالخنازير البرّيّة".

أيًّا كان ما يعنيه ذلك، فقد ابتسمت.

انتظرني كيتاي لأبدأ، ففي اليابان، يأكل ضيف الشرف في البداية، فحافظت على استقامة ظهري بينما تناولت لقمةً من الأرزّ، فكانت الحبوب برّاقة وكثيفة، مذاقها أحلى بقليل ممّا كنت معتادةً عليه، شأنها شأن حبوب القهوة، فإنّ الأرزّ يختلف باختلاف الإقليم، ففي الكايسيكي، ينصبّ التركيز على جوهر الطعام، كونه يحمل رسالةً ما. فاليابان مليئة بالمناظر الطبيعيّة المختلفة، من سيبيريا وحتّى المناطق الاستوائيّة، والطعام فيها انعكاسٌ لإيقاع الفصول ويتأثّر بالطبيعة بشدّة، وإنّه شهر أيّار، لذا سيكون الخيزران بارزًا في قائمة طعامنا، فشكرًا، شيراسو.

قال لي كيتاي بحرارةٍ وهو يأكل: "انظري إلى نفسك، لقد تغيّرتِ".

وضعتُ العيدان جانبًا، وأدرت وجهي، وقلت: "لم أتغيّر بعد، لا أزال أعمل على ذلك".

شرب كيتاي جرعة ماءٍ، وهو ينظر إليّ من فوق حافّة الكأس، وقال: "ألسنا جميعًا كذلك؟ لقد تغيّرتِ، إنّني أبدو مذهلًا، لكنّك تبدين حتّى أفضل منّي، فليس التغيير أمرًا سيّئًا، وربما في إمكانك إعطائي بعض النصائح، فأنا أرغب في تحسين صورتي في وسائل الإعلام، وبإمكانك أن تعلّميني".

نظّفت الشقيقتان أطباقنا، وأحضرتا الدفعة الثانية من الطعام، براعم الخيزران المغليّة في مياه الينابيع، فحملت الوعاء المصقول بكلتا يدي، وسألته وأنا أرتشف: "صورتك في وسائل الإعلام؟".

رمقت أكيو بنظرة سريعةٍ، وهو يقف بالقرب من المدخل بجانب رينا، وبشكلٍ خفيٍّ أكثر من أيّ وقتٍ مضى، فسحب هاتفه من جيبه، وتفقّده، وهو يحملق بسخط، مهلًا، إنّني سعيدةٌ كوني لست المرسلة، لكنّه بعد ذلك وجّه ذلك العبوس نحوي، ماذا فعلت؟ وبدأت أفكّر، فلم يتبادر أيّ شيءٍ إلى ذهني، حسنًا، هنالك أمرٌ واحد، إنّه المعروف الذي طلبته من السيّد فوتشيجامي، لكن لماذا سيستاء أكيو من ذلك؟

لوّح كيتاي بيده، وقال: "أعرف أنّك تعشقينني، لذا ما سأقوله سيصدمك، لكنّني أعدّ الشخص المتهوّر في العائلة نوعًا ما".

ادّعيت أنني متفاجئة، وقلت: "هل أنت جادّ؟".

ربّتَ على يدي، وقال: "لا تظنّي بي سوءًا، إنّها الصحافة، لقد عُوملتُ بشكلٍ غير منصف على الإطلاق، ودومًا يُساء فهم الأبناء الأصغر سنًّا، ولو كان في استطاعة الناس أن يروا ما في داخلي، لأدركوا أنّني حسّاسٌ للغاية، كما تعلمين، وأنّ كلّ ما في الأمر أنّني لا أحبّ القوانين، أو أن أكون أميرًا، وأرغب في أن أتحرّر من هذا القفص المطليّ بالذهب، فهل يجعلني هذا بغيضًا ومبتذلًا؟".

وافقت على ذلك بشجاعةٍ، وقلت: "أخشى أن يجعلك ذلك بغيضًا مبتذلًا".

"صحيح، في ما يتعلق بصورتي في وسائل الإعلام، أرغب في الحفاظ على ذلك الإعجاب الإلهيّ بي، لكنّني أيضًا أريد أن يخشوني ولو قليلًا، كما لو أنّني سأطلق العنان لمجموعةٍ من الأوبئة لو أنّهم أغضبوني".

"حسنًا، أنت تريد أن يُنظَر إليك كمغفلٍ غير ناضج يُصاب بنوبات غضب؟".

ظهر طيف ابتسامةٍ على وجه كيتاي، وقال: "أنتِ محقّة، هذا أيضًا ليس بالأمرِ الجيّد، شكرًا لك على إبقاء تفكيري سليمًا، أحتاج إلى تسمية شيءٍ ما باسمي، ربما مستشفى أو مكتبة؟ أو أيّ شيءٍ"، ثمّ يتابع: يوجد قلبٌ معطاءٌ رقيقٌ ينبض في داخل هذا الصدر الرجوليّ الضخم".

ضحكتُ طويلًا. ثمّ قُدِّمَت الدفعتان الثالثة والرابعة، وهما عبارة عن طبقٍ موسميٍّ مع السوشي، ومخلّل البطلينوس وبطّ الكواتشي المشويّ، ثمّ طبق

المأكولات البحريّة النيئة، فقلت: "كيتاي"، وأنا أشعر بالوتيرة اللطيفة للأمسية، التي تجلّت بتقديم الوجبات تباعًا، حتّى بدت وكأنّها مروحة يدٍ تنفتح ببطء، ليكشف كلّ ضلعٍ جزءًا جديدًا من الصورة.

قال: "إيزومي".

"يسعدني تواجدك هنا، فأنا مسرورةٌ جدًّا لأنّك صديقي، شكرًا لك".

بدت عيناه قلقتين قليلًا، ربما لا يحب الأمور الجدّيّة، ففي المرّة الأخيرة التي تحدّثنا فيها من أعماق قلبينا، كنّا غارقين في الكحول حتّى الركب، ولكنّنا على طبيعتنا اليوم، ولسنا سوى شخصين واعيين جالسين إلى طاولة في قاعة هادئة، فاعترف بهدوء أخيرًا: "أنا سعيد لأنّني هنا أيضًا".

انتظرنا خارج المطعم بعد العشاء بينما تلقّى كيتاي مكالمةً من صديقه جوتارو، الأرستقراطيّ السابق الذي يعمل تاجرًا لذكور الخنازير البرّيّة، فلفتت نظري بركة سمك صغيرة يتدفّق فيها شلّال ماء.

باغتني صوت أكيو: "تلقّيت رسالةً مثيرةً للاهتمام في أثناء العشاء".

قلت وأنا أستدير: "حقًّا؟".

مشى ببطء نحوي وهو يخرج يديه من جيبيه: "يبدو أنّ طبيبًا ملكيًّا زار أمّي".

"حقًّا؟".

أطلق تنهيدة وتابع: "وهناك المزيد".

"لا يمكنني تخيّل ما قد يكون".

نظر إليّ، برموشه الطويلة التي رسمت هلالين على خديه، ففكّرت في أنّ ذلك غير عادل مطلقًا، وأنّ على ماريكو أن تستخدم أداة الرموش والماسكارا لأحصل على مثل هذه الرموش، فكلّ الأشياء الجميلة يحصل عليها الصبية دائمًا، وقال: "يبدو أنّها ستُعالج في المستشفى الملكيّ من الآن فصاعدًا".

ابتسمت: "يا لها من أخبار رائعة!".

قال بصوت خافت ضعيف: "أنا ممتن لك".

لوّحت بيدي قائلة: "اصمت، لقد أخبرتك سابقًا بأنّني من أشدّ المعجبات بالأمّهات".

"أشعر بأنّك منحتني الكثير، ولا أعرف كيف سأردّ لك هذا الدين".

نظرت إلى السماء، إذ لطالما شعرت بعدم الراحة عند تلقّي المجاملات، على الرغم من أنّ لديّ تلك الحاجة البيولوجيّة إلى تلقّيها، وقلت: "هناك الكثير من النجوم في السماء".

قال بعذوبة: "إيزومي".

استخدم اسمي، فنظرت إليه: "نعم؟".

خطا مقتربًا منّي: "أنا أدين لك".

خيّم الصمت في المكان، وعلى الرغم من أن الجوّ كان باردًا، ولكنّني شعرت بالدفء، وكأنّني رغيف خبز خبزته الشمس، ثمّ فُتح باب المطعم، وخرج كيتاي، فتنقّلت نظراته بيني وبين أكيو.

خطا أكيو مبتعدًا، وقال وهو يفتح باب السيّارة: "اتّفقنا إذًا"، ثم ابتسم وبدت ابتسامته كالوميض وسط هذا الليل، وقد اهتزّت لها مشاعري كالأمواج، لتوقعني في الفخّ، وتجبرني على مبادلته الابتسامة.

حاولت أن أمنع قلبي من الخفقان بسرعة، فقلت: "هذا مثاليّ"، ولا أعرف ما الذي أوافق عليه، فلست واثقةً من ذلك أبدًا، ولكنّ هذا لا يهمني، فكلّ شيء بخير، بل أكثر من ذلك، كلّ شيء رائع.

انتقل الجوّ الهادئ الذي ساد في المطعم إلى السيّارة، إذ كانت شوارع كيوتو فارغة تقريبًا، وجولتنا تسير بسلاسة، والصحبة مثيرة، وقد قاد أكيو السيّارة وركبت رينا إلى جانبه، وأنا جلست إلى جانب كيتاي في الخلف، وتكوّر النمس في حجره وهو يربت عليه شارد الذهن غارقًا في بحر أفكاره.

تباطأت السيّارة قبل مربّع سكنيّ واحد من القصر، ثمّ توقّفت، فقرّب كلّ من أكيو ورينا رأسيهما من الآخر، وناقشا أمرًا بجدّيّة وبصوتٍ منخفضٍ.

رفعت رأسي محاولةً أن أرى ما وراءهما، فكان الشارع مضاءً بطريقة لافتة، لا بالمصابيح الصفراء العادية، بل بأنوارٍ خافتةٍ برتقاليّة وأكثر ضبابيّة: "ما الذي يحدث؟".

لمس أكيو سمّاعة أذنه وقال: "الشارع مغلق"، فتحرّك رأسه ورأيت ما يؤخّرنا، فقد تجمّع الناس في الشارع، وكلّ منهم يحمل في يده قنديلًا ورقيًا، فبدا وكأنّهم يحملون أقمارًا صغيرةً.

سألته: "ما هذا؟ هل فوّتنا مهرجانًا؟".

قالت رينا: "إنّهم هنا من أجلك يا سيّدتي"، إنّها المرّة الأولى التي تتحدّث فيها إليّ بشكل مباشر، فكان صوتها جافًّا وخشنًا ولكنّه كان مريحًا: "يبدو أنّهم تجمّعوا قبل ساعة وكانوا ينتظرونك منذ ذلك الحين".

تمتمت: "لماذا؟".

تحدّث كيتاي بصوت هادئ: "كيوتو ترحّب بك، إذ يجتمع الناس عادة في الشارع ليحتفلوا بأعياد الميلاد، وحفلات الزفاف، وها هم يرحّبون بابنة وليّ العهد التي عُثر عليها حديثًا"، فغمزني ولكزني: "إنّه تقليد قديم، هيّا، امشي بين شعبك".

داعبت حافّة فستاني اليابانيّ الرسميّ، وقلت: "لا أعرف..." انتظرت أكيو أن يجادلني، وأن يصرّ على أنّ الخطر الأمنيّ عالٍ جدًا.

قال أكيو: "لا بأس بهذا، الحرّاس الملكيّون بين الحشود، والقصر لا يبعد سوى مسافة قصيرة، وإن أردت أن تمشي باقي المسافة فلا بأس بذلك".

حسنًا، لا يبدو أن لديّ خيارًا: "حسنًا، أعتقد أنّني سأمشي بينهم".

خرج أكيو من السيّارة أوّلًا، وفتح بابي في وقت قصير، وعمّ السكون الشارع، فأخفضت رأسي، وطويت ذراعيّ أمامي وتقدّمت، فانقسم الحشد واصطفّ الناس في خطين متوازيين وأنا أسير بينهم، فبدت قناديلهم أشبه بجدول من الأضواء، أمّا أكيو وكيتاي ورينا فساروا ورائي بعدّة خطوات.

ظهر زوج من الحرّاس الملكيّين وقادا الطريق، ولكنّني كنت وحيدة وسط الحشد، فبادلت الناس ابتساماتهم ولوّحت لهم بيدي، فانقطعت أنفاسي ثمّ عادت إليّ مجدّدًا، لا أريد أن أكسر هذه التعويذة، أنا مسلوبة اللبّ بالكامل، واقعة في حبّ كيوتو واليابان. وصلنا إلى النهاية، إلى بوّابات القصر التي تُفتح الآن، فرأيت شيرازو يبتسم.

استدرت عند البوّابة وانحنيت، قائلة: "شكرًا لكم".

السيّد فوتشيجامي هنا، يستمتع بالقناديل مع باقي الطاقم، فسألني: "هل استمتعت بعشائك يا سيّدتي؟"

أومأت إليه برأسي، فهل يمكنه رؤية كم هي سعادتي عارمة؟ وكيف تشعّ عيناي بهجةً؟

خطا نحوي وقال: "لقد كسبت قلب سكّان كيوتو"، أحاط بي حملة القناديل وأطلقوها معًا، فطارت الدوائر المضيئة في السماء، وتحوّلت دائرة من النور.

إنّ المشهد جميل، بل رائع الجمال، وكأنّ القناديل الطائرة تاجي الذهبيّ.

الفصل الثاني والعشرون

قارب الوقت منتصف الليل، ولم أستطع النوم، فأنا مسحورة بالمطعم اليابانيّ، والفستان التقليديّ الحريريّ، والحارس الذي يدين لي والقناديل الهائمة في السماء، فهل من الممكن أن تسقط الفتيات في عشق مدينة؟ الجواب هو نعم.

كلّ من في القصر نائمون، نامت ماريكو قبل ساعات، وهدّأت رينا من حماسة كيتاي، وهي تتنقّل في ممرّات القصر، وأنا أفكّر في جبل شاستا وفي الفتاة التي كنت عليها هناك، وكيف بدا سابقًا كلّ شيء خاطئًا في بعض الأحيان، وكيف يبدو كلّ شيء منطقيًا الآن، وكأنّ هذا ما يجب أن تكون عليه الأمور.

هناك ضوء منبعث من المطبخ، استدرت ودخلت إليه، فكان عصريًّا ونظيفًا، ولكنّ النوافذ والعوارض الخشبيّة في السقف لا تزال كما هي من دون تغيير، وضوء الطاولة في منتصف المطبخ كان مشتعلًا، وهناك شخص ما يجلس إليها، فتوقّفت وقلت: "أكيو".

استدار نحوي، ثمّ ترك حاسوبه المحمول ونهض، كان قد خلع سترته وبذلته وأزال ربطة عنقه، ورفع كميّ قميصه إلى الأعلى. "إيزومي... سيّدتي"، ومدّ يده ليمسك بمعطفه المرميّ جانبًا.

مددت يدي: "لا، لا تفعل، لا بأس".

تردّد قليلًا، ولكنّ المعطف لا يزال في قبضته، فتفحّصت عروق يديه، وراقبتها وهي تمتدّ إلى معصمه، قبل أن يوقع السترة أرضًا بعد لحظات: "أنت مستيقظة".

رفعت كتفيّ وخطوت إلى داخل المطبخ: "لم أستطع أن أنام؟".

أشار إلى الطاولة في منتصف المطبخ، وقال: "انضمّي إليّ من فضلك، فلديّ وجبات خفيفة".

رائع، نطق الكلمات الثلاث التي تتوق كلّ فتاة إلى سماعها، ثمّ اقتربت من الطاولة، وأشرت إلى الحاسوب المحمول قائلة: "هل تعمل؟".

فرك وجهه بيده: "أراجع بعض التفاصيل الأمنيّة، فعليّ إعادة تنظيم البرنامج اليوميّ بعض الشيء بعد مجيء ابن عمّك".

"آسفة على ذلك"، وجلست على كرسيّ إلى جانبه.

تفحّصني من أعلى رأسي حتّى أخمص قدميّ، فكنت أرتدي قميصًا قطنيًّا، ذلك القميص الرماديّ الذي أعطاني إيّاه بعد حادثة حانة الكاريوكي، فكان القميص مزرّرًا نصفه فقط، وتحته بان قميص من الساتان، وما إن بدأت بتزرير ما بقي منه، أدار أكيو وجهه، وازدرد لعابه، فأردفت قائلة: "أين الوجبات الخفيفة؟".

قال وهو يسحب طبقين نحونا: "صحيح". تعرّفت إلى المكوّنات، بانكيك يابانيّة، وطبق يدعى غوما دانغو مؤلّف من كرات الأرزّ الصغيرة المملوءة بحبوب حمراء حلوة المذاق، ففي تلك الليلة في السيّارة ذكر بالفعل أنّه يحبّ تناول الحلويات.

اخترت البانكيك أوّلًا بالطبع، وتأوّهت مع أوّل لقمة: "يا إلهي، كم أحبّ البانكيك اليابانيّ!".

تنحنح أكيو وأغلق الحاسوب المحمول، وهو لا ينظر إليّ مباشرةً: "ما الذي أبقاك مستيقظة؟".

وضعت قطعة البانكيك ولوّحت بساقيّ، ولففتهما حول قاعدة الطاولة: "كنت أفكّر في جبل شاستا، وفي أيّامي التي سبقت كوني أميرة".

استقرّت نظراته عليّ، وتظاهرت بأنّ سكّر البانكيك هو ما يجعل رجليّ ترقصان: "كيف هو الحال في مكان نشأتك؟".

لمست البانكيك بإصبعي وقلت: "إنّها منطقة سياحيّة جميلة، يحبّ الناس التخييم في الغابات خلال الصيف، والتزلّج في الشتاء، ويوجد حرفيًّا إشارة مرور واحدة في الشارع الرئيسيّ في المدينة".

"تبدو مدينة لطيفة"، وكان شكل فمه وهو يتحدّث كخطّ مستقيم ما يدلّ على صدقه.

قلت لأصوّب اعتقاده: "إنّها كذلك، ولكن..." تراجعت عن الكلام.

حثّني على المتابعة: "أكملي".

اعتصر الألم قلبي في صدري: "لا أعرف... إنّ الأشياء التي تجعلها رائعة هي نفسها الأشياء التي تجعلها مريعة، الناس أنفسهم والقدرة نفسها على توقّع كلّ ما سيحصل، فعلى سبيل المثال، هناك متجر في الشارع الرئيسيّ يبيع كلّ أنواع الحِلى، وكان هناك رفّ خاصّ بنوع محدّد منها، وهو عبارة عن سلسلة مفاتيح على شكل قوس قزح مكتوب عليها أسماء، ولا يزال هذا الرفّ موجودًا حتّى اليوم"، لقد استحوذت على اهتمامه كاملًا، ثمّ تابعت: "عندما كنت في الثامنة من عمري، أردت بشدّة واحدة من هذه السلاسل، فلم يتطلّب منّي الأمر كثيرًا من الوقت لأكتشف أنّ اسمي ليس موجودًا، على الرغم من أنّ هناك سلاسل كثيرة كتب عليها كارلي أو ليندسي أو إيميلي، ولم أجد قطّ واحدة كُتب عليها إيزومي، فلمت أمي وثرت عليها، وسألتها لماذا لم تُطلق عليّ اسم أوليفيا أو إيفا، وكرهت اسمي، وقد حدث كلّ هذا في وسط المتجر، فأحدثت جلبةً"، وقد ابتسمت بسخرية.

"ما الذي فعلته أمّك؟".

"استوعبت الأمر نوعًا ما، وفي النهاية هدأت، وشرحت لي الأمر في السيّارة، فقد مات والداها في حادث سير مريع في الصيف الذي سبق ذهابها إلى الجامعة، وقالت إنّ اسمي كان الطريقة الوحيدة التي أمكنها من خلالها الحفاظ على ذكرى المكان الذي جئت منه، ولم أناقش الأمر معها مرّة أخرى، ولكنّني بدأت أجعل الناس ينادونني إيزي، لقد مسحت جزءًا من هويّتي لأسهّل قول اسمي على الناس،

ولكنّ الأمر كان أسهل عليّ أيضًا. ففي بعض الأحيان أشعر بأنّني لا أريد الشعور بألم الرأس الناتج عن شرح الأمور، هل تفهم هذا الشعور؟".

"بصراحة، لا أفهمه ولكنّني حزين لأجلك"، كان صوته عميقًا وصادقًا، فأخفضت رأسي ونظرت إلى حجري، فوضع يده فوق يدي وطوّق بها أصابعي: "لا يجب أن تكوني خجولة بسبب هذا"، وصمت وشدّ على أصابعي قبل أن يتركها: "لو استطعت لأخذت مخاوفك ودفنتها عميقًا".

"هل جلست وتدرّبت على الأشياء المثاليّة التي يجب قولها؟".

حدّق إليّ بهدوء تامّ، ثمّ قال مازحًا: "نعم، هذا بالطبع ما يفعله الحرّاس الملكيّون، هناك مجموعة مختصّة بآداب السلوك تجتمع كلّ أربعاء".

ابتسمت، كم عدد الأشخاص الذين يتسنّى لهم رؤية هذا الجانب المرح من أكيو؟ هذا الحسّ الفكاهيّ المخفيّ؟ أعتقد أنّني مباركة لأنّي واحدة من القلّة القليلة.

"هذا هدر مؤسف للوقت".

"سأنقل أقوالك إلى مشرفي".

كشرت له بابتسامة خفيفة.

فرك مؤخّرة عنقه بيده: "من الجيّد أن أراك تبتسمين مجدّدًا، هل أنت متعبة؟".

"أبدًا".

نظر إلى الخلف من خلال النافذة العملاقة إلى الحديقة المظلمة: "كانت أمّي تأخذني للتنزّه عندما يتعذّر عليّ النوم، وكنّا نعدّ النجوم، فهل تريدين تجربة ذلك؟"

أومأت إليه برأسي، وابتسمت، وأنا ألفّ رباط قبعة القميص حول إصبعي: "لا يمكن أن يكون هذا سيّئًا".

تسللنا إلى الخارج، فكان النسيم يهزّ أعلى أفرع الأشجار، وبدا الجوّ هادئًا ومظلمًا، والنسيم البارد يلفح وجوهنا، ولكنّه لم يكن قارسًا، ولم يُسمع صوت سوى أزيز صراصير الليل المتقطّعة وصوت أنفاسنا.

حلّقت طائرة فوقنا وكانت مصابيحها البيضاء والحمراء تومض: "كلّما رأيت طائرة أتساءل إلى أين هي ذاهبة ومن تحمل على متنها".

نظر أكيو إلى الأعلى، فبدت مجرّد ظلّ: "إنّها طائرة تجاريّة، وعلى الأغلب طائرة إقليميّة ذات محرّكين متوجّهة إلى طوكيو".

تنهّدت: "هذا أقلّ رومانسيةً ممّا توقّعته".

تابعنا مسيرنا، وتوغّلنا أكثر في الحديقة، فاختفى القصر خلف خطّ الأشجار: "ما قصّة الطائرات؟"، لقد فكّرت في شأن مجّسم الطائرة الذي رأيته في غرفته.

وضع يديه في جيبيه، وقال: "قرّرت عندما تخرّجت قبل سنتين أن ألتحق بقوّات الدفاع الوطنيّة".

تبدّلت تعابير وجهي، وقلت: "حسنًا، كيف انتهى بك الأمر هنا؟".

أبطأ سيره قليلًا، وقال: "كان هناك دائمًا توقّعات لا نتحدّث عنها، ومنها أنّني سأعود يومًا ما وأتبع خطا والدي وأكون حارسًا ملكيًا، وشاءت الأقدار أن مرضت أمّي ما أُجبر أبي على التقاعد باكرًا، فاضطررت إلى القيام بواجبي والحلول مكانه".

"هذا غير منصف".

زفر وقال: "هذا غير منصف، ولكنّ والديّ كانا كبيرين عندما أنجباني، وهما الجيل الأخير المتبقّي بعد الحرب، وكانا متمسّكين بقيم التضحية والانضباط والواجب".

"عجبًا، جيمو، إنّهما يابانيّان حقًّا".

اللغة اليابانيّة دقيقة بشكل باهر، فهناك العديد من الكلمات التي تصف الواجب ومن بينها كلمة جيمو التي تعني الالتزام الدائم بالعائلة والوطن.

استكان وقال موافقًا: "نعم، جيمو، أبي متعصّب، ولكنّه رجل جيّد، يحبّ أمّي، على الرغم من أنّه يظهر ذلك بطرق غريبة، فقد سمعته ذلك اليوم وهو يتمنّى ألّا تموت من دونه، ويمكن أن تصفي عائلتنا عائلة كوباياشي بأيّ شيء عدا الاستبداديّة"، وحكّ رأسه: "أحلامه تنتهي بينما يجب أن تبدأ أحلامي".

هناك جسر يتقوّس من فوق رؤوسنا، فرفعت ذراعيّ، وقلت: "كنت أعتقد أنّ العالم لي، ولكنّني كنت مخطئة، فأنا أنتمي إلى هذا العالم، وأعتقد أنّ الخيارات التي يقدّمها في بعض الأحيان يجب أن تعكس ذلك".

قال أكيو متنهّدًا بألم: "تمامًا".

نحن على الجسر الآن، ويتردّد صدى صوت خطواتنا على هيكله الخشبيّ الواسع، ومشى أكيو خلفي، فاستدرت أنا إلى الطرف الآخر من السور حيث كانت نهاية الألواح الخشبيّة المغطّاة بتماثيل تشبه الأجراس المقلوبة، والمياه تتهادى على الشاطئ الحصويّ، إنّه منظر أخّاذ حتّى في الليل، استدرت إلى أكيو، ولم أستطع منع نفسي من الابتسام، فما زلت متعلّقة به، ووقف يراقبني في منتصف الجسر ويداه في جيبيه، ثمّ تحرّك الخطّ الصلب عند فكّه، وقال: "تعالي إلى هنا يا إيزومي".

فعلت ما أُمرت به، ورفعت ذقني حالما صرت أمامه: "نعم؟".

"تعلمين مصطلح جيمو، فهل درست مصطلح نينجو؟".

من الصعب التفكير وهو ينظر إليّ بهذه الطريقة، أنهكت دماغي بحثًا عن إجابة: "نينجو؟".

"النينجو هو شعور بشريّ يتعارض غالبًا مع الجيمو، ومن الأمثلة الكلاسيكيّة عليه رجل الساموراي الذي يسقط في حبّ ابنة السيّد، ويقيّده الواجب ولا يستطيع التصرّف بناءً على مشاعره".

قلت: "أو حارس ملكيّ يتمنّى أن يغيّر مهنته، ولكنّه لا يستطيع التخلّص من التزامه نحو عائلته؟".

أومأ إليّ برأسه واقترب منّي: "لدي اقتراح لك؟".

"حقًّا؟".

"ما قولك لو طلبت منك أن تكوني إيزومي وأن أكون أكيو، لا ألقاب ولا واجبات"، توقّف قليلًا، وتحرّكت عضلات رقبته: "ماذا لو استسلمنا للنينجو؟".

"سأقول إنّ هذا هو واجبنا بالضبط كمواطنين يابانيّين".

أمال رأسه، وقال: "ما رأيك أن نفعل هذا الليلة فقط؟".

همست: "نعم، هذه الليلة فقط".

"حسنًا إذًا"، مدّ يده إليّ.

فتشابكت أصابعنا، وبتُّ مسلوبة الأنفاس، ثمّ استخدم أيدينا المتشابكة ليقرّبني منه، حتّى أمكنني أن أشعر بالحرارة تنبعث من صدره، فبدت هذه الليلة بلا نهاية.

قرّب شفتيه من أذني ببطء وقال: "تعجبينني وأنت ترتدين قميصي".

"حقًّا؟".

وضع يديه على وركيّ ورفعهما إلى الأعلى.

قلت: "هذا جيّد، لأنّني أخطّط للاحتفاظ به"، فشعرت بخطر محدق، إذ انحبست أنفاسي، وانقطع الهواء عنّي، وكدت أختنق، واحتجت إلى الهواء، فتلمّست أصابعه خيوط القميص فوق الترقوة.

قال وأصابعه تحتضن وجنتيّ: "لا أستطيع أن أصدّق أنّني.. اعتقدت أنّك سخيفة، كنت مغفّلًا، فلم أستطع أن أرى كم أنت رائعة".

لمست أسفل قميصه، إذ أحتاج إلى أن أبوح بما في داخلي: "بما أنّنا نتحدّث حول موضوع أفعالنا الظالمة السابقة، فأعتقد أنّه يجب عليّ أن أخبرك بأنّني عندما وصلت إلى هنا أخذت صورتك من ملفّك ولوّنت أسنانك بالأسود".

فضحك ضحكة خفيفة، ولكنّه بقي قريبًا منّي، وكان دفء لمساته تلهب جسمي متجاوزًا قماش ملابسي، فترنّحنا إلى الأمام والخلف، ورقصنا على صوت خرير الماء: "هل فعلت هذا حقًّا؟".

ارتجفت وخبّأت وجهي في صدره: "وهذا ليس كلّ شيء، حتّى إنّني رسمت قرطين على شكل عضوين... كانا ساحرين وأنيقين ولطيفين، ولم أبالغ في رسمهما أبدًا".

قال: "من الجيّد معرفة هذا، فرسم قرطين كبيرين سيجعل شكلي مبهرجًا".

ارتجف فمي ونظرت إلى الأعلى. "أنا آسفة جدًّا".

سألني بعد لحظة من الصمت: "هل هناك شيء آخر؟"، ولمعت عيناه.

هززت برأسي: "لا، لا أعتقد ذلك".

شدّ على وجنتيّ: "جيّد، لأنّني سأقبّلك الآن".

أكيو رجل يلتزم بكلمته، فضغط بشفتيه على زاوية فمي ببطء ونعومة، ثمّ على الزاوية الأخرى، وابتعد فجأة وهو يبتسم وأطلق زفيرًا عميقًا، فغرق قلبي بالخيبة: "هل هذا هو كلّ ما..."

اقترب مجدّدًا، وشددت قبضتيّ عليه، فتلامس أنفانا، والتصق فمانا أحدهما بالآخر، وشعرت بذقنه وبرموشه على جلدي، وصار بيننا جذب وصدّ، فهو يزفر وأنا أشهق.

وتلاشت الضجّة حولنا في كنف الصمت، فلا يوجد سوانا، إيزومي وأكيو وهذه الليلة المثاليّة.

الفصل الثالث والعشرون

بقي كيتاي لعدّة أيّام أخرى، فتنزّهنا في المدينة، وزرنا المواقع المحلّيّة، وتجوّلنا في الشوارع الضيّقة التي تصطفّ على جانبيها متاجر صغيرة مسقوفة بأسقف مرتفعة، وتعشّينا ليلتين على التوالي في مطعم ماكدونالدز، فطلبنا شرائح الروبيان وشطائر الدجاج والذرة الحلوة وطبقًا اسمه شاكا-شيكي مؤلّفًا من دجاج مقليّ موضوع في كيس ورقيّ وفوقه توابل من اختيارنا، وانتهت المتعة بعدها بأربعين ساعةً.

عدنا إلى طوكيو معًا، وكانت رحلتنا في القطار حافلة، فهرب نمس كيتاي وسبّب جلبةً، ولكنّني لم أستمتع بمشاهدة الحرّاس الملكيّين وهم يطاردون ذلك الشيء في عربات القطار، وفي الوقع لم أستمتع به أبدًا.

قالت رينا وهي تجلس في مقعدها: "سأصنع معطفًا من الفرو من ذلك القارض"، وكانت قطرات العرق تغطّي جبينها وهناك نُدَف صغيرة من الفرو الأبيض على كامل بذلتها السوداء، لقد أمسك أحد الحرّاس بالنمس بكلتا يديه وصارعه وهو يعيده إلى الحقيبة الجلديّة.

قال كيتاي: "لا أستطيع تصديق أنّك ستفعلين مثل هذا الشيء بطفل حبّنا".

لم تجب رينا، ولكنّ عينيها الضيّقتين صرختا من الأعماق: أتمنّى حقًّا أن تموت.

نهضت عن مقعدي المخمليّ البنفسجيّ، وأخذت علبة من مشروب بوكاري سويت من حجرة المشروبات، وسعيت وراء أكيو بين العربات.

انحنى قائلًا: "سيّدتي"، أحبّ كيف تغيّر صوته معي، أصبح أكثر دفئًا ورقّة ونعومة، وعاد إلى ارتداء بذلته المثاليّة ذات الأزرار المقفلة إلى أعلاها، ولكنّني بتّ أعرف الآن شعور أن أعصر تلك الياقة بين أصابعي.

فتحت العلبة وقدّمتها له: "أنا متأكّدة من أن رينا قد بلغت ذروة غضبها من كيتاي"، أخذ العلبة منّي، وتلامست يدانا وبقينا على تلك الحال لثانية وربما لثانيتين، لا بل ثلاث ثوان، ثمّ افترقنا.

قلت بشكل يائس: "الجيمو"، أعادتنا إلى الأرض، لا، لن نفعل هذا هنا، لن نفعله الآن، وربما لن نفعله مجدّدًا.

مكتبة
t.me/t_pdf

قال وهو يتنحنح: "هذا صحيح، الجيمو".

استدرت وهممت بالعودة إلى المقصورة: "إيزومي"، توقّفت قليلًا، ولم أستدر، ولكنّ النار كانت تستعر في داخلي، وأنا أتذكّر قبلتنا الملتهبة، فوضع قُصاصة من الورق في راحة يدي، فشددت قبضتي عليها.

وجدت عندما عدت إلى المقصورة مقعدًا في الزاوية، فتكوّرت فيه، وأوليت ظهري العربة، وفتحت الورقة بحرص، فوجدت فيها سطرين مكوّنين من ثلاث عشرة كلمة، إنّها قصيدة غزل من أكيو.

قد تنسى الأرض كلّها ولكنّني سأتذكّر.

حانات الكاريوكي والصيدليّات وأكواب الشاي وأطباق الحلوى.

عندما وصلنا إلى المحطّة، تحرّكت وكيتاي في اتجاهين مختلفين بخفّة.

اتّجهت إلى القصر الملكيّ، وكان والدي قد عاد من رحلته، فقد مرّ أسبوعان منذ أن رأيته للمرّة الأخيرة، وهناك لفافة مربوطة بشريط أحمر في المقعد بجانبي، إنّها هديّة له. كانت الشوارع مزدانة بأعلام حمراء وأزهار أقحوان ذهبيّة، إنها من تحضيرات الاحتفال بذكرى مولد الإمبراطور، وهناك طنين واضح في الجوّ، وكلّ هذا بهدف إنتاج هرمونات السعادة في الأجساد ودفع المواطنين إلى الاعتقاد بأنّ العالم مكان بديع. وكانت معدتي لا تزال منكمشة بسبب التوتّر، إذ بدت الحياة في كيوتو يسيرة مقارنةً بطوكيو، وخصوصًا أنّني لم أزل لا أتحدّث إلى والدي، على الرغم من تبادلنا بعض الرسائل النصّيّة التي كانت إجاباتي فيها ضبابيّة ومقتضبة، فلم أعد غاضبة منه، ولكن من الأفضل التحدّث ببعض الأمور وجهًا لوجه، أو ربما

كنت أتجنّب المواجهة وحسب... أجل، احتمال هذا أكبر، فهذا من شيمي تمامًا.

عندما وصلنا إلى باحة القصر، لاحظت ماريكو مزاجي السيّئ، ولكنّها ظلّت صامتة، فهي امرأة ذكيّة، وحين انفتح الباب، ماطلتُ في خروجي من السيّارة، فرحت أمسّد فستاني الأزرق تارة، وأعبث بأطراف تنّورتي تارة أخرى، وظللت على هذه الحال وقتًا طويلًا، حتّى أتى والدي يبحث عنّي.

قالت ماريكو: "سيحبّ هديّتك".

قلت: "نعم"، وذكّرت نفسي بأنّ عالمي لا يتوقّف أو يبدأ بناءً على مباركة أبي.

قالت ماريكو ببطء: "إذًا... سأخرج من السيّارة الآن، موافقة؟ وتذكّري أنّ لدينا موعدًا لتجربة فستان حفلة ذكرى مولد الإمبراطور في تمام الساعة الحادية عشرة"، ثمّ خرجت وانحنت لوالدي عندما مرّت أمامه.

عددت حتّى الرقم خمسة، ثمّ خرجت بعدها واللفافة في يدي، ورفعت اليد الأخرى لألقي السلام عليه، قائلة: "مرحبًا". كان أكيو يمسك الباب من خلفي ويبقيه مفتوحًا، إنّ قصيدته الصغيرة محشورة في جيب فستاني، إنّها كتذكار بسيط سيظلّ معي دائمًا.

أجاب: "مرحبًا يا إيزومي"، وحدّقنا إلى بعضنا بالطريقة نفسها التي حدّقنا بها في لقائنا الأوّل.

أخيرًا، سألته وأنا أسير باتّجاهه: "كيف كانت رحلتك؟"، أُغلق باب السيّارة خلفي، ولم أكن أحتاج إلى أن أنظر إلى الوراء لأعرف أنّ أكيو لم يعد هناك بعد الآن، والعمّال كانوا يجولون حولي وهم ينقلون الأمتعة من السيّارة الملكيّة إلى الغرف.

قال: "جيّدة، ورحلتك؟".

قلت وأنا أغمض عينيّ قليلًا بسبب ضوء شمس الصباح الساطع: "جيّدة أيضًا".

أشار إلى اللفافة: "ما هذه؟".

ضغطت على اللفافة قليلًا، وقلت: "في الواقع، إنّها هدية لك".

"هل أحضرت لي هديّة؟".

"نعم، ليست بالشيء المهمّ، مجرّد شيء صنعته"، تذكّرت العربة العتيقة الموجودة في غرفة العائلة المقدّمة من قبل السفير الفرنسيّ، وساعة باتيك فيليب التي حول معصمه والمقدّمة من الإمبراطور، وذلك الإسطبل الذي يحوي ستّة أحصنة عربيّة أصيلة مقدّمة من سلطان بروناي.

نقل ثقله إلى كعبيه ونظر بحماسة كبيرة وقال: "جلبت هديّة لك أيضًا".

سألته: "لي؟".

همهم: "إنّها في مكتبي، ما رأيك بالدخول؟".

فتح كبير الخدم الباب، ففاحت رائحة القصر الشرقيّ المألوفة، وكانت رائحة زكيّة ومنعشة، جعلتني أشعر بارتياح كبير لعودتي إلى هذا القصر، وكان مكتب أبي لا يزال على حاله، فحدّقت إلى زهرة الأركيدة الموضوعة على حافّة نافذته، وهي ملفوفة بالقصب ومربوطة بشريط بنفسجيّ، وأوراقها الصفراء والخضراء طويلة وضيّقة ومخطّطة كذنب النمر، والبراعم صغيرة، بيضاء وهشّة.

قال والدي: "إنّها زهرة الفوكيران، كانت تزرع في فترة إيدو وتقطف من قبل المزارعين لتُقدّم هدايا للأسياد أو الإمبراطور"، وأغلق باب المكتب.

"أعلم"، ابتسمتُ لأنّها مألوفة، فلدى أمّي صندوق من هذه الأزهار فوق طاولة موضوعة بالقرب من سريرها.

"إنّها المفضّلة لدى أمّي".

رفعت رأسي عندما قال أبي: "نعم، لقد زرعتها من أجلها". كانت ابتسامته خجولة بعض الشيء وحذرة.

تظاهرت بالهدوء ونسيت اللفافة التي في يدي: "هل زرعتها حقًّا؟" عرفت ذلك، عرفت ذلك.

تقدّم وتلمّس الشريط: "لقد عرفتِ منذ اللحظة التي رأيتِ فيها الدفيئة"، فهزّ كتفيه بلا مبالاة وارتسمت نظرة تأمّل على وجهه، وتابع قائلًا: "اعتقدت أنّه يمكنني الاحتفاظ بجزء منها، وقد نجح الأمر لفترة، فكانت الذكريات كافيةً، ولكنّ وجودك

هنا يجعلني أفكّر في أنّها قد تكون غير كافية، ولا يتوجّب عليّ إبقاء ذلك الجزء من نفسي منفصلًا عنّي، لهذا السبب جعلت البستانيّ يضع النبتة هنا، وأتمنّى أن أكون الرجل الذي كنت عليه ذات مرّة، الرجل الذي أنا عليه الآن، هل تعتقدين أنّ هذا مستحيل؟ هل تعتقدين أنّ دمج الشخصيّتين مستحيل؟".

شعرت بجفاف حلقي: "أعتقد أنّ كل شيء ممكن".

أومأ برأسه إليّ، وتجهّم وهو ينظر إلى الأرض: "أنا سعيد لأنّك عدت، ولكنّني لست سعيدًا بترك الأمور كما كانت عليه، تلك الأمور المتعلّقة بحفل الزفاف وردّ فعلي... وأنا آسف حقًّا، فقد كنت غاضبًا".

"لا تبرّر، فأنا أتفهّم"، فلا حاجة لاسترجاع هذه الذكرى المحرجة، التي كادت أن تؤدّي إلى حصول فضيحة كبيرة وتنتشر على صفحات الصحف، ما سيعرّضه للإذلال، بينما أريده أن يكون فخورًا بي، بهذا الكائن الذي أنجبه، وأريد أن أثبت له بأنّني أستطيع فعل ذلك، فأكون أميرة وجزءًا من اليابان إلى جانب كوني ابنته.

"أتتفهّمين حقًّا؟". فاعتلى ملامح وجهه الارتياح.

همهمت بالإيجاب: "اعتقدت في بادئ الأمر أنّ ذهابي إلى كيوتو عقاب لي".

"ماذا؟ لا...".

"ولكنّني نظرت إلى الأمر بعدها على أنّه فرصة ذهبيّة، وكنت محقًّا"، وتابعتُ وقد ارتسمتْ ابتسامة مشرقة على وجهي: "يشبه الأمر ذلك اليوم الذي ابتلعت فيه مغناطيسًا، عندما كنت في الرابعة من عمري، فأخذتني أمّي حينها إلى المستشفى، وبكيت وصرخت لأنّها كانت غاضبة، ولأنّني كنت أواجه مشكلة كبيرة، ولكنّ الأطبّاء علّموني الكثير من المعلومات عن القطبين الجنوبيّ والشمالي، وانتهى بي الأمر بتعلّم الكثير يومها، وكذلك علّمتني كيوتو الكثير، فهل هذا منطقيّ؟".

قال مبتسمًا: "منطقيّ تمامًا، أنا أعتذر مع ذلك، ولكي أكون واضحًا معك، كيوتو ليست عقابًا، أحبّ المكان هناك. إنّه واحد من أماكني المفضّلة، واعتقدت بصدق أنّك ستستمتعين هناك".

تأثّرت فجأةً، وقلت: "لا بأس، حقًّا، فلنتخطَّ الأمر وحسب".

قال: "أودّ ذلك"، جلّ ما يهمّني هو أنّ ذلك الخطأ قد انمحى، وكلّ شيء بخير الآن، وسيبقى كذلك ما دمت لا أرتكب الأخطاء.

فتح والدي ذراعيه: "ماذا بشأن الهدايا؟ هلّا تبادلناها؟".

ازدردت لعابي، وحدّقت إلى اللفافة: "بالطبع".

جلسنا على مقعدينا، وهو خلف مكتبه وأنا قبالته على الكرسيّ المنجّد، وعقدت رجليّ عند الكاحلين وناولته اللفافة. "كما قلت لك، ليست بالشيء المهمّ، كنت أتدرّب على فنّ الكانجي"، تعامل مع الهدية وكأنّها قطعة زجاجيّة، ففتحها بحذر شديد، حتّى كشفت عن اسمه: "لا يتوجّب عليك أن تفعل أيّ شيء بها..."

"إنّها لطيفة"، نظر إلى عينيّ بحنان، فكانتا ذابلتين وصادقتين: "إنّها أفضل هديّة تلقّيتها في حياتي، وسأجعلهم يضعون حولها إطارًا، وسأعلّقها على جدار مكتبي، هناك"، وأشار إلى الجدار الخلفيّ، ثم تابع كلامه: "حتّى يتسنّى لي رؤيتها كلّ يوم".

أنا لا أبكي، أنتم من تبكون.

قال: "شكرًا لك"، ونظر بإعجاب إلى اللفافة لفترة من الوقت ثمّ سحب مغلّفًا كرتونيًّا من زاوية المكتب، وناولني إيّاه: "هذا لك".

حملته للحظة، فكان ثقيلًا وسميكًا: "هل عليّ بفتحه؟".

"نعم من فضلك".

عضضت على شفتي السفلى، وأخرجت محتوياته، فتناثرت صور سوداء وبيضاء من صفحاته، وقرأت بصوت عالٍ: "تاريخ عائلة تاناكا...".

"سألتك قبل أن تذهبي إلى كيوتو عن سبب مجيئك إلى اليابان، هل تتذكّرين بما أجبتني؟".

همست: "لأجد نفسي".

"أفراد العائلة من طرفي كتاب مفتوح حرفيًّا، وقد جُمع تاريخ كلّ أفراد العائلة الملكيّة في كتاب واحد لأجيال، ولكنّ عائلة والدتك... حسنًا، جعلت أستاذًا

جامعيًّا يبحث في أصل عائلتها".

تفحّصت الصفحات، فهناك تاريخ كبير، أسماء وتواريخ تعود إلى مئة سنة أو أكثر من ذلك، يصعب استيعاب كلّ شيء، هنا رمز عائلة أمّي، نبات شائك بثلاث أوراق، فتلّمست الصورة بأصابعي.

"كانت جدّتك من العرائس اللواتي يُخترنَ من خلال الصور"، وقف والدي والتفّ حول المكتب، والتقط صورة عن الأرض وناولني إيّاها، إنّها لامرأة ترتدي الزيّ اليابانيّ التقليديّ، وتقف بجانب رجل يرتدي بذلة، فرأيت أمّي في وجهيهما كليهما: "يبدو أنّ جدّتك من طرف أمّك اختارت الحياة في الولايات المتّحدة على الزواج المدبّر في اليابان". وضع يديه في جيبه وأكمل: "على الرغم من أنّ الزواج من خلال الصور ما هو إلّا نوع من الزواج المدبّر، وأعتقد أنّها كانت عازمة على اختيار قدرها الخاصّ".

"ربما أرادت المغامرة"، حدّقت إلى الصورة واستوعبت كلّ شيء، كلّ الأوراق وكلّ الصور، إنّها أكثر ممّا أستطيع أن أطّلع عليه الآن، مع أنّني أتوق إلى أن أبدأ بتقليبها: "هذه... هذه أفضل هدية قدّمها لي شخص في حياتي".

"ستعلمين الآن تاريخ عائلتك".

"شكرًا لك"، أنا مرتبكة ومبتهجة ولست ضائعةً بعد الآن، لقد وجدت هويّتي.

دقّت الساعةُ إنها الحادية عشرة، وستطرق ماريكو الباب قريبًا، أو قد يطرقه أحد حرّاس الأبواب، فوقتنا لم يعد ملكنا، ويعرف أبي ذلك أيضًا، فنهضت من مكاني ورافقني أبي إلى الباب، ولكنّه توقف قبل أن يفتحه.

اعتقدت أنّه سيحتضنني، ولكنّ يديه تدلّتا بخفّة على جانبيه، وتكوّرت أصابعه في قبضته. قال كيتاي إنّ التعبير عن عاطفة الحنان ليس منتشرًا في اليابان، فتمنّعت عن احتضانه، وثبتّ مكاني، وأخيرًا، قال: "من الجيّد وجودك في المنزل".

لا أستطع أن أكون موافقة على كلامه أكثر من ذلك، ارتسمت ابتسامة على وجهي، وحضنت الأوراق وقرّبتها إلى صدري: "من الجيّد أن أكون في المنزل".

بعد العشاء، وجدت أكيو في الخارج، وكادت الشمس تغيب، فبدا كلّ شيء يصطبغ باللونين البرتقاليّ والأحمر الملتهب، وكان الحرّاس الأخرون يجولون حولنا وأبي في مكتبه، وإن نظر إلى خارج نافذته فقد يراني، فمن الأفضل أن أسرع.

خطوت باتّجاهه بحذر والورقة في يدي وقلبي يخفق في صدري كعصفور مذعور، وقلت: "أكيو"، فاستدار.

"أعتقد أنّك أوقعت هذه في وقت سابق"، فامتدّت يدي وأخذ الورقة المطويّة منّي.

تجهّم في البداية، ولكنّه ما لبث أن ابتسم بعد أن فهم الأمر، وأومأ إليّ برأسه فارتجفت معدتي.

"شكرًا لك يا سيّدتي".

خطوت نحو الباب الأماميّ، واستدرت في اللحظة الأخيرة في الوقت المناسب لأرى أكيو يفتح الورقة، ويبتسم ابتسامة شديدة الاتّساع لدرجة أنّها غطّت وجهه كلّه.

فهمت الآن

فهمت كم هي الشمس وحيدة

وهي تؤدّي عملها غير المتناهي

وتشرق مرّاتٍ ومرّات

وتشعل كلّ ما تلمسه.

الفصل الرابع والعشرون

بعد عدّة أيام، ذهبتُ لتأدية واجب رسميّ وحضور افتتاح قسم جديد في مستشفى قريب، فجلسنا في السيّارة وبدأت ماريكو تُملي عليّ الإرشادات والتوجيهات، ثمّ قالت: "ستكون الأميرتان أكيكو ونوريكو هناك".

مررنا بطوكيو، فكانت إشارات المرور مبرمجة بسبب الزيارة الملكيّة، فلا إشارات ذات أضواء حمراء، ولا استراحات، ولم أعد أتمكّن من التقاط أنفاسي، كما لم تساعدني معرفة أنّ ابنتي عمّي ستكونان حاضرتين، فكلّ قصّة تحتاج إلى شخصيّة الشرير، وتمنّيت فقط لو لم يكن في قصّتي شريرتان.

قالت بحذر: "كان من المفترض أن تحضر والدتهما، فهي عضو الشرف في مجلس الإدارة ولكنّها... متوعّكة".

لا حاجة إلى قول المزيد، فقد جلدت الصحافة الأميرة أكاسوكي، التي تعاني في لعب دورها كأميرة الآن، لأنّها كانت مغنّية أوبرا سابقة، والتوقّعات التي تُلقى على عاتقها كبيرة، ويسمّي البلاط هذا الأمر (اضطراب التأقلم).

قلت: "نعم فهمت".

هدأت ماريكو قليلًا بسبب استخدامي لليابانيّة: "لكنتك تتحسّن".

قلت باليابانيّة ممازحة: "حقًّا".

لم تصمت سوى لثانية أو ثانيتين قبل أن تعاود زخّ الكلمات: "ستقطعين الشريط مع التوأم ثمّ ستقومين بجولة في قسم الأمومة، وتقدّمين البطّانيّات إلى الأمّهات الجديدات وأطفالهنّ، وتذكّري أن تُبقي يديك ثابتتين، ولا تعضّي على أصابعك"، ومصّت ماريكو إبهامها، وأعتقد أنّه لا بأس بأن تفعل الوصيفات ذلك، فقرّرت ألا أشير

إلى ازدواجيّة المعايير هنا: "لقد تأكّدتُ من لون الشريط، وهو أبيض، أمّا السجّاد فسيكون باللون الأزرق، لذلك فلن تتعارض الألوان مع لون زيّك"، كنت مرتدية فستانًا برتقاليًا وقبّعة بشكل صندوق بطيخيّة اللون: "ربما علينا التدرّب على التلويح مجدّدًا؟"

هذه المحادثة تُزعجني، فتجهّمت وقلت لها: "ماريكو".

فتجهمّت أكثر ردًّا على تجهّمي، وقالت: "سيّدتي".

"استرخي".

لم تُطعني تمامًا، ولكنّها هدأت قليلًا، هدأت بما يكفي لأستمتع بما تبقى من الرحلة التي استغرقت ثلاث دقائق، فركّزت على أكيو الذي يجلس في المقعد الأماميّ. وكنت قد وجدت قبل ليلة على وسادتي ورقة مطويّة على شكل طائرة، وكان عليها ملاحظة على جناحيها.

أحدّق إلى الغيوم

فأجد المستحيل

ومن المستحيل أن أغادر، أن أهرب، أن أبقى

وكيف سأبقى محبوسًا والسماء في قلبي.

أجبت البارحة، بعد أن علّقت الورقة بقطعة حلوى لأخبّئها عن أنظار الشيف الذي يرغب برأي أكيو في وصفة جديدة للحلوى.

وُلدت أجنبيّة

وأنا مقسومة إلى قسمين

أبدّل جلدي المرتخي كلّ حين

لأزور تلك الأماكن من دون أن أنتمي إليها حقًّا

أنا أميركيّة كفطيرة التفاح ويابانيّة كحلوى الموتشي

انقضى قصّ الشريط بلا عقبات، وتحت أضواء الكاميرات، وبحضور الجميع، الصحافة الملكيّة والعامّة والخاصّة في المستشفى، ابتسمت بشكل آليّ وحافظت على مسافة آمنة مع التوأم اللامع، إلّا أنّ نوريكو همست إليّ: "ابنة عمّي،

فستانك برّاق جدًّا، وهذا جيّد، إلّا أنّني لا يمكنني أبدًا النجاة بارتداء واحد مثله"، ثمّ أكملت أكيكو: "أحبّ كيف يمكنك ارتداء أيّ شيء وحسب".

وبعد ذلك مباشرةً توجّهنا إلى القسم الجديد، وكان هناك بعض المرضى بالفعل، إلّا أنّني أشكّ في أنّهم زرعوهم هنا، فقد بدت الأمّهات الجديدات وأطفالهنّ بحالة جيّدة جدًّا، فالأمّهات كانت شعورهنّ مرتّبة وهنّ يرتدين أرواب الكاشمير، والأطفال خدودهم ورديّة وهم ملفوفون بإحكام. هانساني لديها أخت صغيرة، يسمّيها والداها الطفلة الجائزة، وقد بدت أمّ هانساني في الأشهر التي تلت الولادة ككيس كبير دافئ من النفايات، وقد اعترفت أكثر من عشر مرّات أنّها نسيت ارتداء ملابسها الداخليّة، كما أنّها كانت تبوّل عندما تضحك، ولم أرد أن أعرف هذا، ولكن شاءت الصدف أن عرفته، وصرت أضمّ ساقيّ كلّما رأيتها.

تفصل الستائر بين الأسرّة، ويوجد مع كلّ أمّ مخلوق صغير ورديّ اللون في سرير له دواليب يشبه علب الطعام الشفّافة، ولا أعرف ما اسمه، ولكنّني متأكّدة من وجود مصطلح طبّي يطلق على هذا المهد الذي تستلقي فيه هذه الكائنات الصغيرة. والتوأم اللامع أمامي، وهما توزعان دببةً لها أعين كبيرة، وأنا أهتمّ بشأن البطّانيّات المصنوعة يدويًّا والمطرّزة من قبل الإمبراطورة ووصيفتها.

وقفت وتحادثت مع امرأة بدت أكبر منّي قليلًا، وقد وضعت طفلها منذ يومين ولم تستعد وعيها بالكامل بعد، وهي تعرف القليل من الإنكليزيّة وأعرف أنا القليل من اليابانيّة، فالتقينا عند نقطة ما في الوسط، فكانت تريد أن تعلم كيف تبدو حياة الأميرات، فجمّلت الصورة قليلًا ولكنّني أبقيتها واقعيّة، وتحدّثت عن حبّي لليابان. وكان يتبعني كلّ من ماريكو وأكيو والسيّد فوتشيجامي ومصوّر ما، وكان الطفل نائمًا بعمق بالقرب من أمّه، وكنت على وشك الاقتراب من الرضيع بشغف عندما اخترق صوت عالٍ الأجواء.

فاستيقظ الطفل الموضوع خلف الستارة وبكى، ثمّ استيقظ طفل ثانٍ وثالث ورابع حتّى أصبحوا جميعهم يبكون، ثمّ سمعنا صوت ارتطام وصدى، فهل هذا

طلق ناريّ؟ لا أعرف، وكان الجميع يرتجفون، والفوضى تعمّ المكان.

ألقيت بنفسي من دون تفكير فوق الطفل في الصندوق الزجاجيّ، ففاحت رائحة بودرة الأطفال، وبدأ قلبي يدقّ كالمطرقةٍ داخل صدري، فأطبقت جفنيّ وانتظرت، ثم شعرت بجسدٍ ما يندفع ليحميني، ويداه تلتفّان حول يديّ، وقال لي: "أبقي رأسك منخفضًا"، إنّه أكيو.

مرّت الثواني، والصمت المطبق يعمّ المكان، فرفعت رأسي ببطء، لأتأكّد إن استيقظ الناس من سباتهم الواحد تلو الآخر، فلمع ضوء إحدى الكاميرات، ولكن الوقت ليس مناسبًا لالتقاط الصور.

همس أكيو: "قلت لكِ أن تُبقي رأسك منخفضًا"، فشعرت بأنفاسه على عنقي، وكنت واعيةً تمامًا للطريقة التي ضغط بها على جسدي.

همستُ له: "أعتقد أنّنا أثبتنا أنّني لا أتبع التعليمات كما يجب"، فأمسكني بإحكامٍ واحتواني، ومع ذلك تمكّنت من تحريك رأسي، فرأيت ما يحدث كلّه دفعةً واحدةً، هنالك حارسٌ ملكيٌّ آخر ألقى بشخصٍ ما على الأرض، واضعًا ركبتيه على ظهره، وبيدٍ واحدةٍ أمسك بيديه، وأوثقهما بيديه اللتين بدتا وكأنّهما زوج من الأصفاد حول معصميّ الرجل، ولكنّه كان أحد الآباء الجدد، وقد تمكّنت من التعرّف إليه من خلال زيارة سابقة لزوجته التي وضعت مولودها حديثًا، فكانت عيناه محمّرتين بسبب الأرقّ، وخلفه كانت عربة البطّانيّات مقلوبة، وقد أصدر التوأم الساطع صوتًا، فكانتا في أبعد مكان عن العربة، خلف اثنين من الحرّاس الملكيّين، ممسكتين بظهريهما.

رفع السيّد فوتشيجامي يديه وتكلّم، فلم أفهم كلّ حديثه، لكنّني سمعت كلمة: حادث، فلابدّ أن الوالد الجديد المحروم من النوم أوقع العربة من دون قصد.

أطلق أكيو سراحي بهدوء، وهو يلتقط أنفاسه، فالتُقِطَت في الحال صورةٌ أخرى، بعد أن دبّت الحياة في الغرفة من جديد. وانفجرت الأم الجديدة المستلقية بجواري بالبكاء. إنّ الهرمونات إضافةً إلى تجربة الاقتراب من الموت لا تشكّل

توليفةً عظيمةً، فمددت يدي وضغطتُ على كتفها، وبين النشيج والحازوقة، لم أفهم كلامها، فكانت تتحدّث اليابانيّة الممزوجة بالإنكليزيّة، وفي النهاية، استقرّت على لغتها الأمّ.

ألقيتُ نظرةً على أكيو، الذي كان الأقرب إليّ، ويداي ترتجفان بينما يداه كانتا ثابتتين، وسألته: "ما الذي تقوله؟".

أصغى أكيو إليها دقيقة، وكانت تكرّر الشيء نفسه، قال: "إنّها تشكرك، فقد اندفعت إلى إنقاذ ابنها قبل إنقاذ نفسك"، خفّض صوته وقال لي بهدوءٍ: "لم يكن عليكِ القيام بذلك".

أجبته قائلةً: "بالطبع كان عليّ القيام بذلك".

وقف هناك وزفر ببطءٍ، ثمّ هدأت حدّة توتّره، وقال بصوتٍ رزين موزون وبلطف شديد: "إنّك على حقّ". كان هنالك بريقٌ حنونٌ ظاهرٌ في عينيه، ثم تابع قائلًا: "إنها غلطتي، ولن أنسى هذا مجدّدًا، فأنتِ تنقادين خلف قلبك".

تلك الليلة، طرقت ماريكو باب غرفتي، مع ابتسامةٍ ماكرة على وجهها، وكانت تخفي شيئًا ما خلف ظهرها، وقالت: "هل أستطيع الدخول؟".

حدّقتُ إليها بحذر، وتمنّيتُ لو كان لديّ رؤيةٌ شعاعيّة، فما الذي تخبّئه خلف ظهرها؟ أهو جدول مواعيد آخر؟ أم المزيد من القفّازات؟ قلت: "إنّني متعبةٌ للغاية".

أخفضت صوتها وقالت بصوت لطيفٍ مقنعٍ للغاية: "لن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة، أعدك". شرّعت ماريكو الباب بهدوءٍ ودخلت، وبنقرةٍ واحدةٍ أُغلِقَ الباب، ثمّ جابت ماريكو أرجاء الغرفة، متّخذةً وضعيّةً محدّدة لا تمكّنني من رؤية ما تحمله، وقالت: "لن تصدر الصحف غدًا، لكن هنالك القليل من الثرثرة عبر الإنترنت حول زيارتك إلى المستشفى".

اضطربت معدتي، وقلت: "هل عليّ أن أجلس من أجل هذا؟"، عاد إليّ الشعور بخيبة أمل أبي بعد حفل الزفاف.

"ربما".

قلت لها بصوتٍ يحمل نبرة تحذير: "ماريكو".

قالت وهي تلوّح بقطعة ورقٍ أخرجتها من خلف ظهرها: "حسنًا"، سلّمتني إيّاها، فكانت مقالة إخباريّة مطبوعة لجريدة (ثرثرة طوكيو)، وتابعت: "طبعتها".

هنالك صورةٌ لي وأنا أقصّ الشريط، ومن ثمّ صورةٌ أخرى وأنا أرمي بنفسي فوق مهد الرضيع، وينحني أكيو خلف ظهري، ما زلتُ غير قادرةٍ على معرفة إن كان هذا جيّدًا أم سيّئًا، ولكن بناءً على حماسة ماريكو، من المرجّح أنّه لا بأس به، فقلت باستسلام: "سأحتاج إلى بعض الوقت لأترجمه".

قالت ماريكو بصوتٍ غاضبٍ: "سأقرأه لكِ"، وانتزعت المقال من بين يديّ، وبدأت بالقراءة: "حضرت صاحبة السموّ الملكيّ الأميرة إيزومي افتتاح جناح التوليد في مركز العاصمة طوكيو الطبّيّ للأطفال اليوم. ويعدّ ذلك الحدث الأوّل للأميرة بعد عودتها من عطلتها في مدينة كيوتو"، وتابعت بصوتٍ شبه لاهثٍ: "انضمّت إليها صاحبتا السموّ الملكيّ الأميرتان أكيكو ونوريكو، وقطعت الأميرة الجديدة الشريط بالنيابة عن العائلة الملكيّة، فتألّقت بفستانٍ جميلٍ برتقاليّ اللون ضيّقٍ من الأعلى وواسع من الأسفل"، وابتسمت لي ماريكو، وبدت فخورةً باختيارها للزيّ، وأعادت تركيزها إلى المقال، وقرأت: "حدث القليل من الإثارة خلال الجولة في جناح التوليد، فخلال توزيع دمى الدببة والبطّانيّات، تعثّر والدٌ جديدٌ محرومٌ من النوم بعربةٍ وجعلها تسقط محدثةً صخبًا، وقال مراسلنا ساداكو أويامي، الذي كان موجودًا في الموقع: (اعتقدتُ أنّه صوت إطلاق نار! كنت خائفًا للغاية)، وانبطح الجميع أرضًا للاختباء، باستثناء صاحبة السموّ الملكيّ الأميرة إيزومي، التي ألقت بنفسها فوق طفلٍ حديث الولادة لحمايته". انتظرت ماريكو لبرهة، وهي تبتسم لي.

أنا حقًّا بحاجةٍ إلى الجلوس الآن، فتعثّرتُ حتّى وجدتُ حافّة السرير وجلست عليها.

تنحنحت ماريكو وتابعت: "من دون اكتراثٍ لحياتها، سعت الأميرة إلى إنقاذ الحياة الجديدة الغالية أوّلًا، على نقيض ابنتي عمّها، الأميرتين أكيكو ونوريكو، اللتين دفعتا حارسيهما الملكيّين ليقفا أمامهما"، وتوقّفت ماريكو، لتأخذ نفسًا مصدرة صوتًا قويًّا من شدّة حماستها، وقد تبيّن أن سبب ذلك يعود إلى احمرار خدّيها، إذًا هذا ما يثير حماسة ماريكو، ومن الجّيد معرفة ذلك، وأردفت قائلة: "إنّهم يقارنونك بالإمبراطورة بعد الزلزال الذي حدث عام 1909. لقد كانت عينا الإمبراطورة حالمتين، وهي ترفع كمّيها لتصفَّ الطوب لبناء مدرسةٍ جديدةٍ، ورفضت المغادرة قبل إطعام سكّان البلدة، وحماية الأطفال، وهنالك صورةٌ شهيرةٌ لها وهي تعانق أمًّا خسرت ابنها، وكان خدّا الاثنتين مكسوين بالغبار، وقالت: "واختتموا المقال بإطلاق لقبٍ عليك".

عضضت على شفتي وأنا أقول: "ماذا يعني ذلك؟".

"ملكتنا الخاصّة".

خانتني الكلمات، يبدو أنّ ماريكو عرفت أنّني أحتاج إلى دقيقةٍ بمفردي، فوضعَت المقال في حضني، ثم غادرت. عندما ذهبَت التقطتُّ المقال، ومسحتُ إبهامي على الجملة الأخيرة في المقال، لم يكن الجزء المتعلّق بالملكة هو ما أثار حماستي، لا، بل الكلمة الأخرى، خاصّتنا، إنّه يقول: خاصّتنا، نعم، إنّها أنا، ابنة اليابان الحقيقيّة.

الفصل الخامس والعشرون

في قديم الزمان، حكم القادة العسكريّون اليابان، فتأسّس مجتمعٌ هرميٌّ متزمّت، استمرّ لمدّة قرنين ونصف، وسقط توكوغاوا، وهو آخر قائدٍ عسكريٍّ، عام 1868، عندما وحّدت قبيلتان قويّتان (لا أتذكّر اسميهما) قواهما واستولتا على الحكم، وأعادتا الإمبراطور إلى منصبه وفتحتا الحدود، وهكذا تحوّلت اليابان إلى قوّةٍ عظمى عالميًّا.

إنّني أقف في البلاط الملكيّ الجديد المبنيّ على قمّة قلعة إيدو، المقرّ السابق للقائد العسكريّ توكوغاوا. في الواقع، لقد حُرق المبنى وأُعيد بناؤه عدّة مرّات، وتحت قدميّ حصلت ولاداتٌ، ووفيّاتٌ، وحفلات تتويج، وشُنَّت حروبٌ، حقّقت النصر حينًا والهزيمة أحيانًا أخرى، وكلّ ذلك حدث داخل هذا الحصن المصمّم بشكل دوّامة.

سألني المصوّر الملكيّ: "ربما نلتقط صورةً بالقرب من النافذة؟"

عدّلتُ طرف ثوبي الذي صمّمته هاناي موري، ذا اللون الورديّ بلون أزهار الكرز، مع زخارف نباتيّة، وأكمام الشيفون، وخطوتُ باتّجاه ضوء الشمس، وحدّقتُ خارج النافذة فالتقط المصوّر صورةً جانبيّةً لي، وكانت الحشود متجمّعةً في الخارج، فقد أتى الجميع للاحتفال بذكرى مولد الإمبراطور، وهو عيدٌ وطنيّ، حيث تتوقّف فيه الأعمال، ويفتحِ القصر أبوابه لعامّة الشعب.

التُقطَت صورة أخرى، فلمع ضوء الفلاش، وقال المصوّر: "شكرًا لكِ، آنسة أوهيمي، وسأتواصل مع السيّد فوتشيجامي، لكنّني أعتقد أنّني حصلت على كلّ ما أريده".

أحنيت رأسي للمصوّر الذي التقط الصور التي ستصبح إحداها صورتي الرسميّة، وكلّما سأراها، سأتذكّر دومًا كيف التُقِطَت قبل بضع دقائق من مقابلتي لجديّ. لقد وصلتُ بشكلٍ رسميّ، وكان والدي مع الإمبراطور والإمبراطورة، وكنت أنتظره في إحدى الغرف لنقابل معًا جدّي، فغادر المصوّر، ودخل أكيو.

تفقّد ساعته قائلًا: "بضع دقائق إضافيّة".

أدرت شفتي وقلت: "لم أتوقّع أنّني سأكون متوتّرةً هكذا، هل يبدو شكلي جيّدًا؟ ما من شيءٍ محرجٍ بقدر وجود قطعةٍ من ورق الحمّام على حذائي أو فتات الطعام بين أسناني"، أبهرته ببريق أسناني البيضاء اللؤلؤية، وأتمنّى ألّا يكون هناك شيء عالق على أسناني.

وبعد أن ألقى نظرةً خاطفةً على مظهري بعينيه المقنّعتين من رأسي حتّى أصابع قدميّ، قال: "تبدين...". جميلة؟ رائعة؟ "جيّدة".

ضحكت، فلا يتوقّف أبدًا عن مفاجأتي: "يا إلهي، لا أستطيع أن أصدّق أنّني اعتقدت أنّك تفتقر إلى السحر، إلّا أنّني سأقبل بأن أكون (جيّدة)، فكلّ ما أريده هو أن أندمج معك".

شقّت عيناه طريقها إليّ: "ربما ليس مقدّرًا لك الاندماج بل البروز والتميّز عن الجميع"، فتباطأت ضربات قلبي وأرهقت نظراته جسدي، ثمّ انحنى: "أنت جميلة يا سيّدتي"، نظر إلى الأسفل وتردّد وهو يقول: "من المرجّح أنّه ما كان عليّ قول هذا".

قلت: "هذا صحيح، ولكن فلنكن واضحين هنا، هل أنا جميلة كوحيد قرن غارق في المساحيق اللمّاعة؟".

"لا"، تدلّى فكّي بسبب إجابته المؤكّدة: "لن أقول شيئًا كهذا أبدًا".

"لا، بالطبع لن تفعل".

قرّب المسافة بيننا، إنّنا على بعد قدم فقط عن بعضنا، كان صوته ضعيفًا وخشنًا ومليئًا بالتوق المثير، وهو يقول: "إذا سمحت لي أن أتحدّث بكلّ حرّيّة، فقد...

أقول إنّك تذكّرينني بآلهة الرحمة، كانون، بشعرها الأسود الذي يمتصّ الضوء، وبوجهها الرائع الذي أعمى نوره أعتى الرجال... وبأنّها أبعد من أن تطالها يد البشر الزائلين". تتبّع بإصبعه أطراف شعري تاركًا شرارة الحبّ تشتعل أينما حلّت.

"حسنًا، هذا أفضل على ما أعتقد".

انسحب وابتسم بسخرية: "وأنا أعتقد هذا".

تاهت عنّي أنفاسي، وأنا أعاني لأكوّن كلماتي، فكيف أخبره بأنّني اشعر عندما أكون برفقته وكأنّنا على متن سفينة، وبأنّني أستطيع أن أشعر برذاذ الأمواج وبالرياح تتخلّل شعري؟ "أكيو، أنا..."

قال في الوقت نفسه: "يجب أن نتحدّث..."

قطعت كلماته ضبابيّتي: "يبدو الأمر جدّيًّا"، نبرة صوتي اللطيفة غير مقنعة، أشعر فجأةً وكأنّني قد ابتلعت خليّة نحل كاملة، وأحشائي تخور خوفًا.

تلاقى حاجبا أكيو: "لا، إنّه أمر جدّيّ، ولكنّه أمر جيّد، أعتقد أنّه جيّد على الأقلّ".

قلت: "أرجوك، يمكنك أن تخبرني بأيّ شيء".

فُتح الباب، إنّه السيّد فوتشيجامي: "سيّدتي".

كان توقيت دخوله سيّئًا ولكن لا يمكن تجنّبه.

قلت بصوت منخفض: "سأجدك في وقت ما خلال الغداء".

أومأ أكيو إليّ برأسه، وعاد قناع الحارس الملكيّ إلى مكانه، لقد تركت قفازيّ على حافة النافذة، فاسترجعتهما، وتوجّهت إلى السيّد فوتشيجامي، وكان قد انتقل أكيو إلى الباب أيضًا، وبينما تجاوزته رفع إصبعًا واحدًا لامس معصمي، ما أعطاني الشجاعة، وجعل خطواتي أكثر ثباتًا، فمن المذهل كيف يمكن للمسة واحدة أن تنقذ حياتك.

كان أبي ينتظرني في الصالة، رفع مرفقه، فانزلقت يدي وأمسكت به، مَشينا معًا، وتزامنت خطواتنا على السجّادة الحمراء الممدودة في صالة تتوزّع على جانبيها ووفق مسافات متساوية قناديل الخيزران.

عندما وصلنا إلى الأبواب، توقّف وقال وهو يغمزني: "لا تجزعي، تذكّري فقط أنّهم يشاهدون الأوبرا ومصارعة السومو في المساء، وستتحدّث لفترة من الوقت، ثمّ سأرافق والدي إلى الشرفة، ويمكنك أن تشاهدي من الأجنحة إن أردت". لا يقف سوى أفراد الأسرة الملكيّة الذين تقدّموا في السنّ على الشرفة ويحيّون الشعب اليابانيّ، إنّها التقاليد.

ارتحت قليلًا، وابتسمت، وقد وضعت قناع الشجاعة، فأومأ والدي برأسه إلى اثنين من المرافقين يضعان قفّازات بيضاء، ففُتحت الأبواب، وانطوت على نفسها كأنّها قطعة مرتّبة من ورق الأوريغامي، فأنا أفهم الآن، هذه الأبواب هي جزء من الطراز اليابانيّ، ألسنا جميعًا مجرّد أجزاء من كلّ هذا العالم؟

تركني والدي، إذ سيدخل هو أوّلًا، إنّه البروتوكول الملكيّ، ثمّ سأتبعه أنا، وسأفعل هذا وحيدةً، من دون ماريكو، ومن دون السيّد فوتشيجامي ومن دون أكيو، ففردت كتفيّ، وأخذت نفسًا عميقًا أراحني جدًّا، وذكّرت نفسي بأنّ شعورًا بالضغط لا بأس به، فبالضغط وحده يتكوّن الألماس.

كانت الغرفة واسعة، وهناك ممثّلون عن مختلف القطاعات، بمن فيهم الحاجب الأكبر، ورئيس مدير السيّد فوتشيجامي، كانوا مصطفّين بمحاذاة الجدران بهدوء، وهناك صمت وسكون يشبه صمت المعابد وسكونها وتقشّفها، ولكنّ الجوّ ليس باردًا، فالغرفة كلّها مصنوعة من خشب السرو والجدران المعلّق عليها رسومات لسيقان الخيزران، إنّها دافئة وترحّب بمرتاديها، ويجلس الإمبراطور مع الإمبراطورة في وسطها على كراسٍ منجّدة حريريّة وبينهما طاولة عليها عدّة الشاي، إنّها أدوات منزليّة بسيطة.

اقتربت ودخلت وشعور بالنشوة يغمرني، وانحنيت وقدّمت كلمات التمجيد الصحيحة، ثمّ وقفت وعيناي تنظران إلى الأسفل عندما أنهيت كلامي، وانتظرت، فرأيت والدي بطرف عينيّ، كان واقفًا أيضًا، فشعرت أنّ كلّ شيء راكد لبعض الوقت، حتّى الوقت كان راكدًا.

قالت الإمبراطورة بصوت دافئ جادّ: "اجلسي من فضلك".

قُدم لنا كرسيان، وجلست ووالدي عليهما، ثمّ وضعت قفازيّ في حجري، وطويت يديّ فوقهما، وظللت أنظر إلى حجري، فصبّ أحد المرافقين الشاي، وعرض عليّ فنجانًا، فتمنّيت لو كان في إمكاني رفضه، فيداي ترتجفتان بعض الشيء، وقد أسكبه، ولكنّني أخذت في النهاية فنجانًا وصَحْفة.

قالت الإمبراطورة: "إيزومي- تشان".

فاجأني استخدامها لاسمي، فنظرت بحرج إلى الأعلى قبل أن أعاود النظر إلى حرجي، ولكنّني استطعت في تلك اللحظة اليتيمة أن أراها تمامًا، فقد ظهرت شخصيّتها في ملامح وجهها البيضوي الذي يتوسّطه أنف صغير وعينان لطيفتان، وكان جلدها مجعّدًا وبلون أوراق المخطوطات، أمّا شعرها فرماديّ لامع ومردود إلى الخلف وملفوف بشكل أنيق، وكانت ترتدي اللباس اليابانيّ التقليديّ الكيمونو الحريريّ والبنّيّ اللون، وتتخلّله خطوط ذهبيّة وفضّيّة، فقالت: "لقد تحدث عنك والدك بشكل جيّد"، وكانت شديدة الامتنان.

ألقيت نظرة خاطفة أخرى إلى الأعلى، فتنقّلت عيناي هذه المرّة بين الإمبراطورة والإمبراطور، فجدّي صغير القدّ، وبلغ من العمر عقده التاسع، وتستند نظّارة مدورة إلى أنفه وهناك هالتان داكنتان غامقتان تتدلّيان تحت عينيه، ولم يتعافَ تمامًا من إرهاقه، ولم يعد مقاس بذلته يناسبه، كما لو أنّه كان يتقلّص مع مرور الوقت، وكان اسمه فوساهيتو، وتعني الأحرف الأربعة الأخيرة (هيتو) أعلى درجات الفضيلة، وهناك هالة لا يمكن تفويتها تحيط بالاثنين. وقد رددت مجاملة جدّتي باليابانيّة.

فومضت عيناها وقالت: "أخبرنا السيّد فوتشيجامي أنّ دراستك تسير على ما يرام"، فأمسكت بيد مبرقعة كوب الشاي بحذر.

أجبت بصدق: "لا يزال لديّ الكثير لتعلّمه".

ضغطت الإمبراطورة على شفتيها معًا، وقالت وهي تضع الكوب بنقرة واضحة: "نعم، لم تختاري هوايةً".

"لم أفعل ولكنّني مولعة بعلم النبات"، رائع، أصبحت تفكّرين في نفسك يا إيزومي.

أمالت رأسها: "هذا مقبول، فوالدك مولع بأزهار الأوركيدة". هل تعرف أنّ تعلّق والدي بزهرة الأوركيدة له علاقة بوالدتي؟ وتابعت: "إنّها تبدو قاسية بالنسبة إليّ، أفضّل الأزهار الأزليّة".

أشرق وجهها قليلًا، فقلت: "هل هناك نوع تفضّلينه؟ فأنا أحبّ زهرة الأوموراساكي".

لقد استحوذت على انتباهها واهتمامها: "إنّها زهرة جميلة، أمّك مهتمّة بالنباتات أيضًا أليس كذلك؟".

"تعلّم علم الأحياء في الجامعة، نعم، علم النباتات شغفها".

نظرت إليّ بإعجاب.

ونقر الإمبراطور بأصابعه على يد الكرسيّ، وقال: "كان من الأفضل أن يكون والداك متزوّجين".

استحالت أحشائي إلى غبار.

قاطعه والدي: "أبي".

لوّح جدّي بيده كما يفعل أيّ إمبراطورٍ عادةً: "مرّت ألف وخمسمئة سنة على العائلة الملكيّة، ولم نجلب أبدًا طفلًا خارج إطار الزواج".

قال والدي وقد احمرّ وجهه: "هذا ليس صحيحًا، هل نسيت أجنحة الخليلات السابقة؟".

رفع الإمبراطور حاجبيه الكثّين: "عليك أن تتزوّج والدتها، وأن تنجب المزيد من الأطفال، أن تنجب صبيًّا".

الأبناء الذكور فقط من يرثون العرش في اليابان، هذا ليس في مصلحتي، لقد تناقشت بحدّة مع السيّد فوتشيجامي حول هذا، فقد كان لليابان إمبراطورات حتّى القرن الثامن عشر، ثمّ حجب دستور ميجي الوريثات في القرن التاسع عشر.

قال والدي: "ربما حان الوقت لأن تتغيّر القوانين".

توقّفت نبضات قلبي للحظات، إذ تتزوّج معظم الإناث المولودات من أسر ملكيّة بأفراد من عامّة الشعب، مثل ساكيكو ابنة عمّي، فهي مخطوبة من وريث إمبراطور الأرز، وعندما يتزوّجان، ستترك ساكيكو العائلة الملكيّة، وستخسر لقبها، ويبدو أنّني سأسلك الطريق نفسها ذات يوم بعيد الأمد من أيّام المستقبل، ولكنّ والدي يقول إنّني قد أصبح إمبراطورة، عجيب! هذه علبة من الديدان لست جاهزةً لأن أفتحها بعد.

قالت الإمبراطورة: "ما رأيك في هذا يا إيزومي تشان؟".

فكّري بما قد تقولينه عادة وافعلي العكس، هذه كانت آخر نصيحة قدّمتها لي ماريكو، ولكنّني أدين لنفسي وللنساء جميعًا بأن أقول شيئًا عن التحيّز ضدّ النساء، وعندي في الواقع بعض الأفكار بشأن هذا، فأنا ابنة أمّي قبل كلّ شيء.

وضعت كوب الشاي بحذر وفكّرت في أكثر إجابة دبلوماسيّة ممكنة: "يشترط قانون العائلة الملكيّة أن يرث الرجال العرش، إلّا أنّ بعض الباحثين يقولون إنّ هذا القانون يخترق مبدأ معاملة الرجال والنساء بالتساوي المنصوص عليه في البند الرابع من المادّة 14 في الدستور".

نظر إليّ الإمبراطور بحماسة: "هل درست الدستور؟".

قلت باعتدال: "نعم"، الشكر في هذا لماريكو والسيّد فوتشيجامي، وتابعت: "من الناحية التاريخيّة، هناك سوابق حكمت فيها النساء"، عددت أسماء الإمبراطورات الثمانية، وتحدّثت فيما يصبّ في مصلحتي، فهذا ما كان الرجال يفعلونه لسنوات، وقلت بخفّة: "يمكننا أيضًا القول إنّ الإلهة أماتيراسو كانت أوّل حاكمة".

ابتسم والدي واضعًا يده على فمه.

ارتشفت الإمبراطورة رشفة من الشاي والموافقة مرسومة على محيّاها: "أنا مجبرة على موافقتك".

سأل الإمبراطور: "ماذا عن التقاليد؟ مرّت ثلاثة أجيال منذ أن فُعّل دستور ميجي"، لا حرارة في تصريحه، كأنّه يستمتع بهذا النقاش الحيّ.

شارك أبي في الحوار قائلًا: "التقاليد مهمّة، ولكنّني أعتقد أنّها يمكن أن تجمع بسهولة كما يمكن أن تفرّق، لقد كسرت أنت وأمّي عدّة تقاليد على مرّ السنوات، كتربية أبنائكما في منزلكما...".

أومأت برأسي فأنا أعرف إلام يشير، فقد أرتني ماريكو بعض مقالات الأخبار حول ذلك، لقد نشأ الإمبراطور بعيدًا عن والديه وصُدمت الأمّة عندما لم يتبع خطى والديه، فقالوا إنّ فعله حديث أكثر من اللازم، وإنّه يرسم نهاية عهد الأسرة الملكيّة، فأرسلت إلى والدي شكرًا صامتًا.

قالت الإمبراطورة بعذوبة: "ونشأ تقليد جديد بعدها".

ربّت جدّي على ركبته وقال: "مهما كانت الإجابة عن هذا السؤال فلسنا من سيقرّرها، بل الشعب سيفعل".

وافقنا كلّنا على هذا، فهناك أمور أكبر منّا تتحكّم بكلّ ذلك، وهو ليس قرارًا يتّخذه شخص واحد، بل هو جزء من كونك عضوًا في مؤسّسة، وأنا ابنة أبي الحقّة أيضًا، وكلّ منّا لديه مكانه.

هذا لا يعني أنّ القصّة لا يمكن أن تتغيّر، إلّا أنّ هذا الأمر سيؤثّر في كيفية تغيّرها.

كما أنّني لا أعرف حتّى ما إن كنت أرغب في أن أكون إمبراطورة، فأنا أجد صعوبة في كوني أميرة بما فيه الكفاية، ولكنّ هذا لا يعني أنّني لا أحبّ أن يكون لديّ الخيار في ذلك، فالخيارات هي التي يتمحور حولها كلّ هذا.

وقف الإمبراطور وتبعته في ذلك الإمبراطورة، فتدفّقت الحياة في الغرفة، واقترب منّا أمناء الغرف والمرافقون، وقام والدي عن كرسيّه ومدّ يده إليّ لأمسك بها، ففعلت وأنا أحمل قفازيّ في يدي.

اقتربت منّي الإمبراطورة فأحنيت عنقي حالًا إلى الأسفل، فأمسكت بخديّ، وكانت أصابعها ناعمة وباردة وكأنّها قطع صغيرة من الحلوى، فقالت: "ستبلين حسنًا هنا".

أشعر بأنّني ملزمة بأن أكون صادقةً بعض الشيء، فتجاهلت نصيحة ماريكو وقلت: "لم يمرّ وقتي هنا من دون عقبات، سموّك".

سقطت يدها بعيدًا: "لا، ستبلين حسنًا، أنا لا أتوقّع هذا فحسب بل أنا واثقة منه".

حسنًا، من الصعب مجادلتها في هذا، ثم تبعت الإمبراطور.

شدّ والدي على مرفقي قائلًا: "لقد نجوت".

انتهى اللقاء، وتنفّست الصعداء، واستعدت أنفاسي التي حبستها طويلًا فبدت كأنفاس شخص غاص في حوض السباحة حتّى قاعه ثمّ سبح بكلّ قوّته صعودًا إلى سطحه.

بدأ أبي بالسير، وبقيت خلفه وأنا أخطّط أن أتبعه بعد لحظة، لآخذ مكاني المتفق عليه، ولكنّ همهمةً دارت بين الحشد، إذ وقفت الإمبراطورة عند الباب، وتحدّثت بفرح إلى الإمبراطور الذي وافق بإيماءة رصينة، فاستدار أبي نحوي بعد أن عرف ما يريدانه، وقال: "طلب سموّ الإمبراطور والإمبراطورة أن تحضر العائلة كلّها إلى الشرفة"، وكانت ابتسامته واسعة وفخورة ومؤثّرة: "إنّه تقليد جديد".

رفرفت يداي على جانبي، وقفز قلبي من الفرح، وبدت الكلمات مستحيلة النطق، فمدّ أبي يده لي مجدّدًا وأمسكت بها.

كانت القاعة مليئةً بمختلف المسؤولين الذين يرتدون بذلات رسميّةً والحرّاس بزيهمّ الكامل وبقيّة أفراد العائلة الملكيّة، وكانت الفوضى تعمّ المكان عندما علم الجميع بالتقليد الجديد، ألا وهو اجتماع أفراد العائلة بأكملها على الشرفة، بقيادة الإمبراطور والإمبراطورة، أبي وأنا سنقف في الصفّ خلفهما، وبعدنا سيقف عمّي موتسوهيتو وابنتاه، التوأم اللامع، وأمّا زوجته والدتهما فكانت غائبةً، ولم يعلّق أحدٌ على ذلك، ومن ثمّ يقف عمّي نوريهيتو وعمّتي أيكو، ويتبعهما أبناؤهما: ساكيكو، ماساهيتو، وكيتاي الذي غمز لي غمزة مرحة، وتتابَعَ الموكب الملكيّ.

فُتحَت مجموعةٌ من الأبواب المزدوجة من قبل حرّاسٍ ملكيّين يرتدون بذلات رسميّةً أنيقةً باللون الأخضر، ويضعون حبالًا حمراء اللون حول أكتافهم،

فقدّموا التحيّة، واجتمع في الخارج خمسة وأربعون ألف شخصٍ ليتمنّوا الخير للإمبراطور.

خرج الإمبراطور أوّلًا، وبعده الإمبراطورة، واتّخذنا جميعًا مواقعنا إلى جواره، والدي إلى يساره مباشرةً، وأنا بجواره، بينما وقف البقيّة جميعًا إلى جانب الإمبراطورة، وكنّا نقف خلف الزجاج المضادّ للرصاص لكنّه لم يمنع كثيرًا وصول الضوضاء، وكان الصوت يصمّ الآذان، مشحونًا بالحماسة ومفعمًا بالحياة، ورفرفت آلاف رايات الهينومارو في الهواء، وتحدّث الإمبراطور مستخدمًا اثنين من مكبّرات الصوت، فقد ألقى خطابًا، يشكر فيه الناس على قدومهم لتمنّي الخير له في ذكرى مولده، وبدوره تمنّى لهم الصحّة والسعادة، ما أبهج الحاضرين، ثمّ تراجع خطوةً إلى الخلف ولوّح لهم بيده.

هتف الحشد، عاش الإمبراطور، السيادة السماويّة، ومازال صوتهم يرتفع، واستمرّ التصفيق والصراخ والمرح، ولوّحتُ جنبًا إلى جنبٍ مع أقاربي للحشود، فبدونا وكأنّنا واحد، فطفح صدري بالبهجة والفخر أيضًا، إنّه القدر، لا يمكن للأمر أن يكون أكثر وضوحًا، فقد كان مقدّرًا لي أن أكون هنا، وهذا هو المكان الذي أنتمي إليه.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل السادس والعشرون

أُقيمَ غداءٌ احتفاليٌّ في قاعة المناسبات، وجلستُ مع أبناء عمّي باستثناء التوأم، اللتين كان مقعداهما شاغرين، وكانت الطاولات مجهّزةً بالأواني الكريستاليّة والخزفيّة ومكسوّةً بقماش من الكتّان الأبيض، وهناك مزهريّات قليلة الارتفاع فيها تنسيقات من الأقحوان الذهبيّ، وبعثت الثريّات توهّجًا دافئًا، وبثّت البهجة في أزهار الأقحوان، وقُدِّمَ شراب الساكي المنقوع، فأطلقت الأنخاب وتمنّى الجميع طول العمر للإمبراطور، الذي جلس على رأس الطاولة، ووالدي بجواره، وكان رئيس الوزراء حاضرًا أيضًا، عند دخوله، خفضت رأسي له فانحنى هو لي، وكلّ شيءٍ سار على ما يرام، وكان الجوّ بهيجًا.

استخدم كيتاي الشوكة، ليدفع القليل من لحم الخنزير مع الصلصة البنّيّة حول طبقه، وقال: "كلّ ما أقوله هو أنّه يجب عليك أن تفكّري في إطلاق النسور الصلعاء بدلًا من الحمام في حفل زفافك، كما تعلمين، كاحترامٍ لابنة عمّنا الأميركيّة هنا"، حفّزت ضحكتي كيتاي على المتابعة، فقال: "سيكون علينا استيرادها من الولايات المتّحدة، لكنّ هذا لن يشكّل مشكلة".

صفّرتُ قائلةً: "إنني متأكّدةٌ مئة بالمئة أنّ الأسماك والحيوانات البرّيّة لن توافق على ذلك".

سأل كيتاي: "سنطلق الدجاج إذًا، ربما؟ أليس من المفترض أن يكون هو الطائر الوطنيّ؟".

تنهّد ماساهيتو، واسترخى في كرسيّه وألقى بمنديله فوق طبقه، وقال: "الديك الروميّ، الطائر الوطنيّ للولايات المتّحدة من المفترض أن يكون الديك الروميّ".

قال كيتاي: "حسنًا ليست تلك بمشكلة، سنطلق الديك الروميّ، ليس بإمكانه الطيران وليس قريبًا حتّى من روعة الدجاج، لكنّني أعتقد أنّه سيفي بالغرض عند الحاجة".

أشاحت ساكيكو بنظرها وقالت: "لن أطلق الحمام أو النسور أو الديك الروميّ في حفل زفافي".

غرّد ريو قائلًا: "نعم، احتفظ بالفكرة لحفل زفافك، كيتاي، بغضّ النظر عمّن قد تكون الفتاة تعيسة الحظّ".

نفخ كيتاي وعبس في الوقت ذاته، وقال: "لا تلوموني إذًا إن كان الزفاف مملًا، فقد كان في استطاعتك الحصول على طيور الديك الروميّ".

مسحتُ زوايا فمي، وأخذتُ رشفة من الشراب، وتركت عينيّ تمسحان الغرفة، فكان الحائط خلف الإمبراطور مغطّىً بالحرير، وعليه طبعة غروب الشمس المتوهّجة، والخدم يضعون قفّازاتٍ بيضاء اللون وقد اصطفّوا أمام جدران الغرفة جنبًا إلى جنبٍ مع الحرّاس الملكيّين، لقد وجدته، تلاقت أعيننا، ثم أشحنا بالنظر.

وقفتُ ببطءٍ وقلت: "المعذرة".

قال كيتاي بينما كنت أغادر: "لا تستطيع معدتها تحمل الشراب".

فُتِحَت الأبواب المنزلقة حالما اقتربت منها، فكانت القاعة هادئةً وخالية باستثناء وجود شخصٍ رفيعِ المقام يتحدّث عبرالهاتف، وحاجبين يتجادلان في برنامج المواعيد، ووصيفتي التوأم الساطع اللتين تسدّان ممرّ الحمّام وتحرسانه، فبدا المشهد مثيرًا للفضول، ولا سيّما بعد أن فتحت إحداهما الباب وهي تحمل في يدها كأسًا من الماء، فلمحتُ التوأم الساطع تنحنيان فوق امرأةٍ ما، ولا شكّ في أنّها والدتهما أكاسوكي، وكانت يداها تضغطان على رأسها، وهي ترتدي فستانًا حريريًا رسميًا وحديث الطراز، ولكن من الواضح أنّها لم تكشف الكثير عن جسدها، وقد تمتمت بكلمات غير مفهومة بصوت أجشّ منخفض، ثمّ خرجت الوصيفة والماء

الـذي في يـدها غيـر ممسـوس، فأبطـأتُ خطـواتي، وتوقّفـت قلـيلًا، ثـمّ اسـتدرت وحاولت دخول الحمّام فاصطدم كتفاي بالوصيفتين اللتين وقفتا كالجدار تحاولان منعي من الـدخول، وكأنّهمـا تمتلكـان أيّ فرصـة لفعـل ذلـك، فنظـرت إليهمـا نظـرة حادّة استقرّت على أكتافهما، وفي الحـال غضّـتا طرفهمـا وتباعـدتا لإفسـاح المجـال أمامي.

خطوت إلى الأمام وفتحت الباب ثمّ أغلقته خلفي، وسألت برقّة: "هـل كـلّ شيء على ما يرام؟"

تأوّهت أكاسوكس وهي مطأطئة رأسها، فضاقت عيون التوأم وهمـا تنظـران إلـيّ، ووقفتا أمام والدتهما لتبعداها عن الأنظار، فانحنيتُ محاولـةً اسـتراق النظـر، وأنـا أقـول: "هل تحتاجون إلى أن أجلب لكم شيئًا ما أو أحدًا ما؟ أو هل أستدعي طبيبًا؟"

خطـت نوريكـو إلـى الأمـام، بفسـتانها الأزرق بلـون السـماء، وقـد لاءم الشـرارة الذهبيّة الغاضبة المشتعلة في عينيها، وقالت: "لن تتحدّثي عن هذا الأمر مع أيّ أحد".

"بالطبع لن...".

وقفـت أكيكـو إلـى جانبهـا، وهـي ترتـدي فسـتانًا بـاللون الأخضـر، ويـداها متكوّرتان وتشدّ على قبضتيهما على جانبيها: "أنت لا تنتمين إلى هنا".

فتراجعت وقلت: "لن أخبر أحدًا".

قالت نوريكو متوعّدة: "إذا فكّرت في الأمر فسأدمّرك".

"لن أخبر أحدًا كما قلت لكما، ولكنّ هذا ليس بالمكان المثاليّ للجدال، كمـا عليكما بنقلها إلى غرفتها بأسرع وقت إن كنتما تستطيعان".

تبادلتا النظرات، ثمّ قالت نوريكو: "نحن من نقرّر ما الأفضل بالنسبة إلى أمّنا، وارحلي الآن من فضلك".

فكّرت قليلًا وعيناي تتنقّلان بينهما، فأيقنـت أنّ هـذا لا يخصّـني فعـلًا، وحـان الوقت لأن أمضي قدمًا، فابتسمت وقلت وأنا أرفع صوتي لتسمعه أمّهما: "أتمنّى أن تتحسّن حالك"، فحدّقتا إليّ وأنا أخرج.

تابعت طريقي ومشيت في الممرّ، فكان واسعًا وخاليًا تقريبًا، وقد وقف حارسان ملكيّان في موقعهما تحت مصابيح الخيزران يراقبان المكان بانتباه، وعندما مررت أمامهما كتمت السجّادة الحمراء صوت خطواتي التي تسارعت محمومةً كتسارع نبضات قلبي.

وصلت أخيرًا إلى باب، فتحته ثمّ أغلقته بلطف خلفي، إنّها الغرفة نفسها التي التُقطت فيها صورتي في السابق، وقد بدت واسعة وفارغة، ونوافذها التي ترتفع من الأرض إلى السقف، سمحت لأشعّة الشمس المشرقة بأن تنتشر في الغرفة، فبانت ذرّات الغبار المتطايرة في الهواء. وفي هذه الغرفة تُقام عادةً حفلات العشاء الخاصّة بالولاية.

فُتح الباب، فاستدرت، إنّه أكيو، لقد علمت أنّه سيتبعني، وقف بهدوء للحظة وراقبني وهو ينحني انحناءة خفيفة، فتسلّط عليه ضوء الشمس وبان جسده من الأمام جميلًا كتحفة فنّيّة من الرخام أو الزجاج، وقال: "لقد تركت المأدبة".

ابتسمت بلطف: "قلت إنّه علينا أن نتكلّم".

انزلقت يداه في جيبيه وتقدّم إليّ قائلًا: "صحيح".

فرفعت رأسي وقلت: "حول ماذا؟"

تمدّد الصمت بيننا، وهزّ برأسه: "لست واثقًا ممّا سأقوله"، فحدّقت إلى وجهه مذهولة وحَسب.

قفز قلبي من مكانه، ما إن اقترب أكثر ومرّر أصابعه على كوعي فَيدي، ثمّ أمسك بأصابعي، وشدّني إليه وهو يقول: "أميرتي إيزومي، أيّتها الفجلة، هلّا رقصت معي".

احترت ورأسي بدأ يدور: "لا أعلم، فلم تمرّ المرّة الماضية على خير".

"كنتُ أحمقَ المرّة الماضية".

إنّه محقّ، فوضعت يدي على كتفه وقلت: "ولكن لا توجد موسيقى"، فهذا ما قاله لي المرّة الماضية.

ابتسم أخيرًا وقال: "جئت جاهزًا"، فأخرج هاتفه من جيبه، وبحث بين الخيارات، فوقع خياره على أغنية بعنوان "ذا روز"، ثمّ قال: "لم أستطع أن أجد النسخة التي غنّاها الرجلان غير السويين، ولكن ستفي النسخة الأصليّة بالغرض".

"سأتفهّم الأمر"، فزال توتّري، وكلّ شيء بدا رائعًا في هذا العالم.

أراح ذقنه على رأسي وبدأنا بالتمايل على أنغام الأغنية، ثمّ سألني: "كيف جرت الأمور مع الإمبراطور والإمبراطورة؟"

"أعتقد أنّها جرت بشكل جيّد". واحتضنت صدره، وأنا أخبره بما حصل على العشاء، وبمزاح كيتاي وبما جرى مع التوأم وأمّهما في الحمّام.

"لم تكن الأميرة أكاسوكي بخير منذ بعض الوقت، وستهاجمها الصحافة بضراوة بسبب تخلّفها عن خطبة عيد ميلاد الإمبراطور".

جمدت في مكاني، وقلت: "هذا غير عادل".

كان في نظراته حنان، ولكنّ صوته كان حادًّا: "من الأفضل أن تهاجمها بدلًا من أن تهاجمك".

قلت: "يجب عليك ألّا تقول مثل هذه الأشياء"، إلّا أنّه من اللطيف دائمًا أن يكون هناك من يدافع عنك.

"كما تشائين".

فربّتُّ على صدره، وقلت: "حاول فقط ألّا تكرّرها".

"سأحتفظ بأفكاري لنفسي".

تابعنا الرقص، وبدأت الأغنية من جديد: "هل وضعت الأغنية على وضع التكرار؟"

"تعلّمت فعل ذلك من الأفضل".

"لم أعتقد أنّك قد لاحظت".

"بالطبع لاحظت"، وانخفض صوته وهو يهمس إليّ: "لا يوجد ما لا ألاحظه ولا سيّما ما يخصّك".

توقّفنا مجدّدًا، وقد انحبست أنفاسي، وبدأ قلبه ينبض بقوّة، فسألته: "ألن تخبرني بما أردتَ أن تتحدّث عنه الآن؟"

"أليس هذا واضحًا؟"، ارتفعت يداه إلى خصري، والنار استعرت تحتهما.

"أنا فتاة تحبّ أن يقال لها كلّ شيء حرفيًّا".

برقت عيناه البنّيّتان بشكل مثير وهو يقول: "كانت تلك الليلة في كيوتو أجمل ليلة في حياتي، وفكرة ألّا أحظى بك مرّة أخرى أبدًا... هذه الفكرة..." أحكم قبضتيه وتابع كلامه: "أنا محطّم الفؤاد بسببك يا فجلة".

ارتجفت بعد أن هزّت كياني كلّ هذه المشاعر، إنّها ألطف كلمات سمعتها في حياتي، إنّها كلّ ما أردت سماعه، فأغمضت عينيّ ثمّ فتحتهما حين قال متوسّلًا: "أرجوك قولي شيئًا".

رفعت ذقني وابتسمت، فتلاقت نظراتنا كأصابع المحبّين المتشابكة، وأزالت كلّ الحواجز كالمفتاح في قفل الباب، فنحن نلائم بعضنا ولا يجب أن نفترق: "أعتقد أنّ عليك تقبيلي الآن".

زفر قائلًا: "هذه أفضل فكرة سمعتها في حياتي"، فأحنى رأسه، والتصقت شفتاه بشفتيّ، بتوق شديد، ثمّ ضغط عليهما أكثر، وبادلته بالمثل، فاشتعلت أجسادنا، ثمّ ابتعدنا عن بعضنا قليلًا، وحدقّ كلّ منّا إلى الآخر بشغف ثمّ عادت الشفاه لتلتصق بالشفاه، وتشابكت الأيدي. هنا، في هذه الغرفة، في هذا البناء، على هذه الأرض، ركعت لنا ملايين التقاليد.

لم توضع بعض القواعد إلا لتُكسر.

ثرثرة طوكيو

أخبار عاجلة!

شوهدت سموّ الأميرة إيزومي مع حارس ملكيّ

---

15 أيار 2021

تكشف صحيفة ثرثرة طوكيو قصّة حصريّة تتناول علاقة سموّ الأميرة إيزومي بالحارس الملكيّ أكيو كوباياشي! كان الاثنان يتسكّعان بلا اكتراث في كلّ مكان في طوكيو وكيوتو، وكشف مصدرنا أنّ الشرارة اشتعلت في اللحظة التي التقيا بها.
وقد بدأت علاقتهما بنقاش حامٍ بين الاثنين عندما وصلت سموّ الأميرة إيزومي إلى اليابان، وتوقّفت في المطار لتستخدم حمّام المطبخ، وقفة غير مجدولة.
يتذكّر دينجي كانروجي، مساعد النادل، سماع نقاش حادّ بين الأميرة وحارسها، فهو يقول: "كان من الواضح أنّهما لم يحبّا بعضهما".
كيف تحوّل هذان العدوان إلى عاشقين إذًا؟ لقد حدثت نقطة التحوّل ذات ليلة في طوكيو، عندما هربت الأميرة من القصر لتمضي ليلة في البلدة، فوقعت في مشكلة، ونرى بوضوح في الصور التي حصلت عليها صحيفة ثرثرة طوكيو بشكل حصريّ سموّ الأميرة وهي ثملة يحملها حارسها الملكيّ ليخرجها من نادي الكاريوكي، ثمّ تقارب الاثنان أكثر في كيوتو، كما قال مراسلنا من داخل القصر.
من يستطيع أن ينسى حادثة المستشفى التي جرت قبل أسبوع؟ حيث يظهر هنا كوباياشي وهو يغطّي سموّ الأميرة إيزومي بعد أن وقعت العربة وأحدثت جلبة، وقد قال مراسلنا: "لقد تمسّك بها لوقت أطول بكثير ممّا يجب عليه، وحتّى بعد أن زال الخطر ظلّ يحتضنها بقوّة".
وأخيرًا، في مأدبة عشاء الإمبراطور، شوهد الاثنان يرقصان وهما يقبّلان بعضهما في غرفة خالية.
من هو هذا الحارس الملكيّ الذي ملأ عينيّ الأميرة؟ اسمه أكيو كوباياشي ووالده كان حارسًا ملكيًّا سابقًا رفيع المستوى يدعى شيغيكو كوباياشي، وكان أكيو

مصمّمًا على الالتحاق بقوى الدفاع الجويّ على الرغم من إرثه العائليّ، وقال صديق مجهول مقرّب من العائلة: "كان والده محطّمًا عندما اختار أكيو ألا يتّبع خطاه، إذ لم يقرّر أكيو أن يصبح حارسًا ملكيًّا إلّا عندما مرضت والدته وتقاعد والده، ولطالما كان هذا الصبيّ طموحًا، وأراد أن يصبح طيّارًا، وهو يسعى الآن إلى أن يصبح زوج الأميرة".

قالت المدوّنة الملكيّة هيماري واتانابي: "إنّه يتجاوز حدوده، وأشعر بالأسف على الأميرة، فمن الواضح أنّه يستغلّها، ويجب أن يُطرد من القصر، فهذا أقلّ ما يجب فعله، يا له من عار! فالأميرة تستحقّ شخصًا أفضل".

لا يرى الآخرون الأمر بوضوح كما تراه واتانابي، فقد قال مصدرنا من وكالة البيت الملكيّ: "الاثنان ملامان، إذ احتضنت الأميرة اهتمام الحارس، كونها رومنسية، وأمريكيّة أكثر من اللازم، كما أنّها مندفعة وجريئة وعنيدة، وقد تجاوز كلاهما حدودهما".

رفضت وكالة البيت الملكيّ التعليق على الأمر.

الفصل السابع والعشرون

استيقظت في اليوم التالي على رنين هاتفي الموضوع على طاولة بجانب سريري، فمددت يدي وأمسكت به، فكان هناك سيل من الرسائل النصّيّة من نورا والبنات، وقد ورد في الرسالة الأخيرة عبارة: "هل أنت بخير؟" مرفق بها مقال، فبرزت العناوين واضحة أمام ناظري بكلماتها المطبوعة بخطّ عريض.

سموّ الأميرة إيزومي

علاقة غير شرعيّة

الحارس الملكيّ

في الحال وضعت يدي على فمي مذهولة من الكلام الرخيص الوارد في المقال، فقد صوّر العلاقة شهوانيّة وأكيو شريرًا، وأنا أميركيّة منفتحة، والأسوأ من كلّ ذلك هو الصور المرفقة به، صورة في حانة الكاريوكي، وأخرى خارج المطعم في كيوتو، وثالثة في المستشفى، أمّا الأخيرة فكانت في عيد ميلاد الإمبراطور، وكلّها كانت مغبشة وكأنّها التقطت من مكان بعيد، ومن المرجّح أنها التقطت من زاوية الباب، ما يؤكّد أنّ شخصًا ما كان يتجسّس علينا.

ترابطت أجزاء الأحجية، فمن يعدّ الدخيل في القصر؟ أنت لا تنتمين إلى هنا.

إنّهما التوأم الساطع.

لابدّ أنّهما رتّبتا كلّ هذا وقادتا العمليّة كما يقود قائد الأوركسترا فرقته، ومن المرجّح أنّهما جعلتا شخصًا ما يلاحقني طيلة هذا الوقت، وفي الواقع، قد تماشيتُ معهما، وقدّمت لهما القصّة التي ستكون سبب سقوطي على طبق من ذهب.

فكّرت في أكيو على الفور، ففكرة أنّه قد يتأذّى أصعب ممّا يمكنني تحمّله.

وجدت رقم هاتفه واتّصلت به، فكان الرقم مفصولًا، فأرسلت رسالة نصّيّة: "أرسل لي رسالة لتطمئنني على حالك"، ولكنّها لم تصله، فحاولت مجدّدًا، وحدث الشيء نفسه، اللعنة! الأصوات تتعالى في القصر، فارتديت عباءة وتوجّهت إلى غرفة المعيشة، فكان فيها السيّد فوتشيجامي وماريكو وحاجبان آخران وحشد من الموظّفين الملكيّين، من أمناء وصحفيّين وحرّاس، ولكن لا أثر لأكيو ولا لوليّ العهد.

قلت: "مرحبا"، وكان صوتي يرتعش، وكذلك جسدي.

بدت الغرفة هادئة، والوجوه تغضّ طرفها ويُشيحه أصحابها عنّي، فتوقّعت أنّ السبب يعود إلى شكلي المزري، فشعري مشعّث وأنا أرتدي روب الاستحمام، والدموع تحجب عنّي الرؤية، كم كان الوضع سيّئًا! كان سيّئًا كما في زانوس في فيلم (إينفينتي غونتليت)، أو كما يحصل في اللحظات الأخيرة التي تسبق الانفجار الكبير الذي سيفجّر النجوم وينثرها في الفضاء.

قالت ماريكو: "سيّدتي".

فتوجّهت إلى السيّد فوتشيجامي: "لا أستطيع الوصول إلى أكيو".

تجاهل السيّد فوتشيجامي رنين الهاتف في يده، وقال: "سيّدتي، هناك الكثير لنناقشه، ولكن عليك ارتداء ملابسك أوّلًا، ثمّ سنجتمع معًا لوضع استراتيجيّةً مُحكمة".

قالت ماريكو من خلفي: "سيتوجّب علينا أن ننفي كلّ شيء".

ابتسم السيّد فوتشيجامي بهدوء، وقال: "هذا مستحيل، فقد حلّت الكارثة، وسنجاري صحيفة ثرثرة طوكيو في أنّ الأميرة قد استُغلّت".

تمتمت وأنا أشدّ قبضتيّ: "لا، هذا مستحيل، أين أكيو؟ أحتاج إلى أن أتكلّم معه".

نظر إليّ السيّد فوتشيجامي متفاجئًا من أنّني لا أزال واقفة أمامه، على الرغم من أنّه قد طلب انسحابي من الغرفة، وقال بلهجة حازمة: "لم يعد السيّد كوباياشي موظّفًا في هذا القصر بصفة حارسٍ ملكيٍّ، وسيتمّ تعيين حارس آخر لك، شخص يعي مكانته".

طُرد، لقد طُرد أكيو، وهذا خطئي.

أذناي تطنّان، وقد أتقيّأ، كما يصعب عليّ التفكير بصفاء، كم يبدو هذا سيّئًا! ما كلّ هذا الضرر الذي ألحقته بالآخرين؟ يا إلهي! أنا غاضبة من نفسي، ولكنّني لست غاضبة بقدر غضب الآخرين: "أبي، أريد التحدّث مع أبي".

قال السيّد فوتشيجامي: "وليّ العهد برفقة سعادة الإمبراطور، فقد أرهقت مناسبة البارحة جدّك، وأخشى أنّه لا يمكننا إزعاجهما، كما أنّ لديهما أعمالًا ملكيّة رسميّة، وقد أُبلغ والدك بالأحداث الجارية، وسيجتمع بك عند تناول العشاء هذه الليلة".

إنّ معدتي تُؤلمني، فلم أتلقَّ في حياتي كلّها ركلة عنيفة عليها، ولكنّني متأكّدة من أنّ ما قد أشعر به لو حدث ذلك، فسيكون أقلّ ألمًا ممّا أشعر به الآن. لم أعد أرغب في أن أنظر إلى السيّد فوتشيجامي، ولا أستطيع تخيّل تبعات الأخبار المنشورة في الصحف، فقد قال لي والدي بعد حفل زفاف رئيس الوزراء، إنّهم يتوقّعون منّا نحن أفراد العائلة الملكيّة أن نكون منزّهين عن الخطأ.

قلت: "حسنًا"، ولكن يصعب عليّ صوغ الكلمات، ولكن لماذا عليّ أن أتعب نفسي من أجل صوغها؟ فاستدرت وهممت بالخروج من الغرفة.

بدأت الثرثرة مجدّدًا من خلفي، وأنا أُبطئ خطواتي، ولكنّني وجدت حبلًا من الأمل فتعلّقت به، فأخرجت من درج خزانتي سروالًا ضيّقًا وقميصًا وارتديتهما، فظهرت ماريكو أمامي، وحجبت عنّي طريق الخروج، وسألتْ باستغراب: "إلى أين أنت ذاهبة؟"

"يجب أن أرى أكيو".

قالت بأسف: "سيّدتي".

"دعيني أمر"، قدماي ترتجفتان، وأكاد أن أنهار، فكم أرغب في أن أتكوّر في سريري حتّى ينتهي كلّ شيء! ولك عليّ أن استجمع قواي.

"لا يمكنك أن تذهبي لرؤيته".

قلت بضعف: "اتّصلي بالسائق من فضلك".

قالت ماريكو: "هذا ليس تصرّفًا حكيمًا".

مسحت أسفل أنفي، وقد انهمرت دموعي: "أنت لا تفهمين، أحتاج إلى أن أراه".

وضعت ماريكو يديها على كتفيّ وشدّت قبضتيها، وقالت: "إن ذهبت إلى منزل والديه فستجعلين الأمر أسوأ وحسب، فالمكان مليء بمصوّري المشاهير، وأفضل ما يمكنك فعله من أجلك ومن أجل أكيو أن تتركي الأمر يهدأ قليلًا".

وقفت مخدّرة، فكلام ماريكو منطقيّ، ولا سبب لصبّ الزيت على النار، ولكنّني لا أريده أن يعتقد أنّني هجرته أيضًا، ولكن أعرف ما سأفعله: "هلّا أوصلت إليه رسالة منّي إذًا." فسأكتب إليه رسالة.

اتّسعت فتحتا أنفها بسبب غضبها: "السيّد فوتشيجامي لا يزال هنا، وقد منع أيّ شخص من دخول القصر أو الخروج منه"، وعبثت بأصابعها وهي تفكّر، ثمّ تابعت: "ولكنّني أعرف أنّ ابن عمك كيتاي في مسكنه، ولا قيود عليه، وربما ترغبين في أن تأخذي حمّامًا منعشًا، وقد ترغبين في ترك نوافذك مفتوحة في أثناء ذلك، فالنسيم لطيف الآن، وبالطبع سأنبّه على الحرّاس بعدم إزعاجك، كما سأطلب منهم أن يخلوا المنطقة".

أريد تقبيل وجنتيها، فقد استعدت ابتسامتي، ولكنّها ابتسامة حلوة ومرّة في الوقت نفسه: "هذه فكرة جيّدة، هلّا جلبت لي حذاءً رياضيًا وبعض الأوراق، تعلمين كم أحبّ أن أستحمّ وهذه الأغراض معي!".

قالت ماريكو بحكمة: "نعم يا سيّدتي، وما رأيك في سترة لها قبعة أيضًا؟ وقطعة ملابس داكنة اللون تتجانس والأشجار في باحة القصر، وأعتقد أنّني أعرف القطعة المثاليّة لهذه الغاية، وهي رائجة جدًّا هذا الربيع".

الفصل الثامن والعشرين

أكيو:

أرجوك ألّا تنتزعني من ذاكرتك ومن قلبك المثاليّ الشكل

أرجوك دعنا نتابع كما كنّا، ونحارب ضدّ العالم

أنا آسفة على كلّ شيء، قابلني بالقرب من إشارة الطريق السريع ذات الرقم 40 عند الساعة الواحدة خارج القصر الملكيّ.

إيزومي

وضعت القبعة وجريت عبر العقار الملكيّ، فصُدمت عندما وصلت إلى منزل كيتاي، فقد كان تصميمه المعماريّ قريبًا جدًّا من تصميم قصر توغو، وكان حديثًا بخطوطه الواضحة، ولكنّه بدا أصغر بعض الشيء، فهو ليس ضخمًا كذاك القصر.

سمعت صوت خطوات على الحصى خلفي، ثمّ صوت سحب زناد مسدس، وبعد ذلك سمعت شخصًا يقول جملة يابانّية، فلم أكن أعتقد أنّ تعلّم اليابانيّة قد ينقذ حياتي، ومن الجيّد أنّني فهمت الجملة لأفعل ما أُمرت به، ارفعي يديك في الهواء.

استدرت ورفعت يديّ والرسالة لا تزال محشورة بين إصبعيّ، إنّها رينا ومسدسها موجّه إلى صدري تمامًا. فأعادت رينا في الحال السلاح إلى وضع الأمان، وانحنت: "سيّدتي، اعذريني، لقد أخطأت، واعتقدت أنّك إحدى معجبات كيتاي".

تأتأتُ ويداي ما تزالان مرفوعتين نحو السماء: "لا بأس".

كانت نظراتها قاسية وهي تقول: "يمكنك أن تنزلي يديك".

أخفضتهما ببطء: "هل كيتاي في المنزل؟" إنّه تصريح أكثر من سؤال، فأينما يذهب كيتاي تتبعه رينا، ولكن لا يزال نبضي يتسارع، فأخذت نفسًا عميقًا وأطلقته بهدوء فقد خضتُ لتوّي تجربة الاقتراب من الموت.

أشارت برأسها إلى المنزل: "إنّه في الداخل، فهو لم يعد حتّى الساعة الثالثة صباحًا، وربما لم يستيقظ بعد، وربما سيعاني من صداع رهيب، لذا تحدّثي بصوت عالٍ إن استطعت، وفي الواقع، رنّي جرس الباب، وإن كان يكره ذلك".

عجبًا! رينا تخبرني بما تشعر به حقيقةً، قلت وأنا أنظر إلى سمّاعة أذنها: "لا يفترض بي أن أكون هنا".

رفعت كتفيها بلا مبالاة: "انسي أنّني رفعت سلاحًا في وجهك، وسأنسى أنّك كنت هنا".

"اتّفقنا"، انحنت كلّ منا للأخرى، وذابت رينا مجدّدًا في الدور، فطرقت الباب وقرعت الجرس ثلاث مرّات بإيقاع سريع وفاءً لرينا فقط، وردّدت: استيقظ، استيقظ، استيقظ!

استجاب كيتاي بعد مرور عدّة دقائق، وبدا شعره أشعث ومرفوعًا إلى الأعلى بزوايا غريبة وهو متناثر في كلّ مكان، وكان يرتدي قميصًا أبيض ذا قبّةٍ لها شكل المثلّث، وكان سرواله واسعًا وعلى طرفيه ظهر خطّان ذهبيّان، فتأوّه بصوت عال آهات تدلّ على الضيق والانزعاج، وصاح باتّجاه الأشجار: "أخبرت رينا بأنّني لا أريد زوّارًا"، أنا متأكّدة من أنّ رينا أينما كانت ترفع إصبعها الأوسط إهانةً له: "هذه أنت!"، ركّز كيتاي نظره عليّ بعينين قلقتين: "كيف حالك يا عزيزتي؟ وهل لا تزالين صامدة؟ هل هذه هي الجملة الصحيحة التي تقال في مثل هذه الحالات؟ لا تبدو لي كذلك".

أزلت قبعتي، وقلت له: "هل تعلم بما حدث؟"

قال متهكّمًا: "العائلة كلّها تعرف، سواء أحظروا الوسائل الإعلاميّة عنّا أم لا، فقد أرسلت وكالة المنزل الملكيّ ملاحظة إلى الجميع"، وضحك بسخرية واتّكأ إلى إطار الباب، ثمّ أردف قائلًا: "أيّتها القذرة، أيّتها الفتاة القذرة، لم أعلم أنّك

تكنّين المشاعر لحارسك الملكيّ، ادخلي الآن وأخبري ابن عمّك كيتاي بكلّ التفاصيل، وسأعدّ لك شرابًا منعشًا. ما الذي يقوله الأمريكيّون بشأن احتساء الشراب باكرًا؟ قد حلّت الساعة الخامسة مساء في مكان ما في هذا العالم، وأنا متأكّد من أنّني قلت هذه الجملة بشكل صحيح".

استدار فأمسكتُ قميصه بيديّ، وسحبته نحوي، فقال وهو ينظر إليّ نظرة استغراب: "يدك عنّي، هذا القميص من ماركة ديور".

فتركته، وقلت بحدّة: "اسمع، أحتاج إلى أن توصل شيئًا من أجلي إلى أكيو".

رفع كيتاي رأسه: "لقد فتنتني جملتك، أخبرني بالمزيد".

ضغطت الرسالة في يده: "أرجوك، إنّها مهمّة"، وأخبرته بعنوان سكنه، وقلت: "لا أستطيع الوصول إليه".

"من المرجّح أنّ هاتفه قد صودر من قبل وكالة المنزل الملكيّ"، قلّب الرسالة بين يديه، وسألني: "ماذا كتبت فيها؟ فأنا لست واثقًا إلى أيّ مدى أريد أن أتورّط في فضيحتك الجنسيّة".

"حدّدت فيها موعد لقاء فقط، فأنا أحتاج إلى أن أتكلّم معه".

لانت ملامح وجهه: "إيزومي، ما الذي تفعلينه؟ تعلمين أنّه ما من شيء جيّد سينتج عن هذا، أليس كذلك؟ ولا يمكن أن تعتقدي أنّك تستطيعين مواعدة فرد من الطبقة العاملة".

"ساكيكو ستتزوّج من رجل من عامّة الشعب".

"ساكيكو ستتزوّج من وريث إمبراطورية الأرز، وهو قريب تاكا موريس، ويمكنه توفير الحياة الكريمة التي اعتادت عليها. يقول المثل الياباني: (تاكا، تاكا، تاكا)"، الكلمات الثلاث معروفة جدًّا، فهي تكرار لكلمة واحدة بمعانٍ ثلاثة مختلفة، الدخل الجيّد، التعليم الجّيد، والطول الفارع، وهي الصفات المثاليّة للحبيب المحتمل، وقد حاول أن يُعيد إليّ الرسالة، فخطوت إلى الخلف، ورفضت أن آخذها.

"أرجوك، من أجلي".

تنهّد تنهيدة طويلة مستسلمًا لتوسّلاتي، وطوى ذراعيه أمامه وحشرهما تحت إبطه: "ماذا سيحدث إن أتى؟ هل ستهربان معًا؟"

"لن نهرب إن أتى".

"وماذا لو لم يفعل؟"

ستنفجر النجوم وستتوقّف الأرض عن الدوران، فاليابان هي أكيو.

نقّلت ثقلي بين رجليّ ونظرت إلى الأرض: "لا أعرف". لقد هربت منّي أنفاسي، فأغمضت عينيّ وفتحتهما، وأنا أقول: "أعطِه الرسالة وحسب، أنا متأكّدة من أنّه سيأتي".

حرّك لسانه وهو مطبق الشفتين قائلًا: "سأرسلها إليه".

ابتسمتُ وضممته إلى صدري، وقلت: "شكرًا لك، فأنت لا تعرف كم يعني هذا لي".

لفّ ذراعيه حولي: "أعلم، أعلم، فأنا الأعظم"، وشدّني إليه ثمّ تركني: "أرجوك، أتوسّل إليك... افعلي شيئًا لشعرك، فلن تربحي قلب أحد وأنت تبدين بهذ الشكل المزري".

قلت وأنا أبتسم لأوّل مرّة هذا اليوم: "أنت الأسوأ يا كيتاي، أنت الأسوأ ببساطة".

رفع الرسالة إلى صدره، وهو يقول: "لن تعرفي أبدًا كم تأثّرت بكلماتك".

فشبكت ذراعيّ: "أنا متأكّدة تمامًا من أنّ رينا تكرهك".

"هذا غير صحيح، لقد أعماها حبّها لي"، وأشار بالرسالة إلى أسفل ذقني وقال: "ستكونين بخير إن انتهت قصّتك مع الحارس، وستشعرين حينها بالسعادة الأبديّة، أم لا؟ اسمعي كلامي، لقد وقعتُ في الحبّ ستّ مرّات، وأعلم أنّه يمكنك أن تتجاوزيه".

"بالطبع"، لا يمكن أن أقول غير ذلك، وإن كان من دون اقتناع.

عدوت عائدةً إلى القصر، وتركت كيتاي والرسالة في يده، وفكّرت في أكيو، وفي روحه السمحة، وعينيه اللطيفتين، وفي أنّه لا يمكن أن تكون هذه هي النهاية.

الفصل التاسع والعشرون

وصلت مبكرًا إلى المكان، بينما كانت ماريكو تغطّي غيابي عن القصر إن سأل أحد عنّي بقولها إنّني آخذ قيلولة. كانت الشمس تتربّع في كبد السماء وتنشر أشعّتها الذهبيّة على الإشارة ذات الرقم 40 في الطريق السريع، وكنت أرتدي نفس الملابس التي ارتديتها في الصباح، بعد أن رفضت الأخذ بنصيحة كيتاي.

وضعت يدي في جيبي بعد أن تحقّقت من الساعة، فكانت تقارب الواحدة، ومرّت سيارة قادمة من الشارع الآخر أمامي وتباطأت ثمّ ركنت جانبًا، وبدأ ضوؤها الأحمر بالوميض، ثمّ فُتح الباب فحبست أنفاسي، ولكنّه ليس أكيو، إنّهما مجرّد فتاتين، كانتا تضحكان وهما تسيران في الاتّجاه المعاكس.

مرّت عشرون دقيقة، لقد تأخّر رسميًّا الآن، ولكن لا بأس، فالازدحام شديد في طوكيو، وربما احتاجت والدته إلى شيء ما، وربما لم يستطع الخروج من بين الحشد المتجمّع أمام منزله، نعم، هذا هو السبب، قدّمت له الأعذار لعدّة دقائق أخرى، ثمّ لساعة أخرى، وأنا أراقب السيّارات التي تتجاوزني، فمن المبكي أن تجري الحياة مسرعةً بينما توقّفت حياتي، ودقّت الساعة الثانية، فوجدت مقعدًا على بعد عدّة أقدام تكوّرت عليه.

نورا تواصلت معي عبر إرسال الرسائل النّصيّة بشكل متواصل:

نورا: "هل طرأ شيء جديد؟"

أنا: "لا شيء".

أنا: "هلا أخبرتني بالحقيقة؟"

نورا: "دائمًا سأخبرك بالحقيقة".

مكتبة
t.me/t_pdf

أنا: "إذا طُردت من عملك بسبب شخص تهتمّين لأمره فستسامحينه، أليس كذلك؟" حتّى ولو كان هذا العمل كلّ شيء بالنسبة إليك وإلى عائلتك؟ وحتّى لو كان متوارثًا من جيل إلى جيل ويعني تكريس التقاليد لمئات السنوات؟ ورحيلك بهذا الشكل المخزي سيلحق بعائلتك العار مدى الحياة؟"

نورا: "عزيزتي".

صحيح، بالكاد أتنفّس، ولكنّه تنفّس مؤلم، كما لو أن نُدفًا من الثلج تملأ رئتيّ، لقد تحطّم أملي، وتدمّر كلّ شيء في حياتي، ولم تعد مشاعري مستقرّة، لقد تأخّر مدّة عشرين دقيقة، وأكيو لا يتأخّر أبدًا، فهو لن يأتي.

حان الوقت لأنهي كلّ شيء وأكتم حبّي في داخلي، فشعرت بثقل في جسدي الفارغ وأنا أسير إلى القصر.

كانت ماريكو تنتظرني داخل غرفتي، فسألت: "ألم يأتِ؟"

رددت عليها بهزّة يائسة برأسي، لا أريد أن أتحدّث عن الأمر، ولا أستطيع أن أتحدّث عنه، فتجوّلت في غرفتي ولمست لحاف سريري، فقد حلمت بأشياء جميلة هنا، ثمّ وقع نظري على الصندوق الذهبيّ، فقد تُركت شجرة بونساي في مكان إلى جانب أزهار السوسن، تفحّصتها، فبدت فروعها منحنية وتكاد تقع مثلي، فتساءلت: أيمكن أن تُستعاد العظمة المخلوعة من جذورها؟ لا لن تعود أبدًا كما كانت، وهذا ما يحدث عندما يعود الأميركيون اليابانيّون إلى اليابان، فلا يتحمّلون اجتماع الجسد بالمكان الذي تعود أصولهم إليه، لأنّهم مختلفون ومنحرفون وأجانب. هذه هي الحقيقة المرّة، فأنا لا أنتمي إلى هنا، يفصلني الكثير عن اليابان، ولن أفهم تقاليدها تمامًا ولا حضارتها ولا قواعدها، ولقد تعلّمت درسي الأخير: الأميرات لا يواعدن حراسهنّ، تمامًا كما يمنعن من الإشارة بأيديهنّ، ومن المشي أمام وليّ العهد، ومن ارتداء السترات في المطار، ومن ذكر أخت رئيس الوزراء، فهذا غير مقبول وحسب.

قالت ماريكو: "سيّدتي".

قلت باستسلام: "أنا بخير"، سأكون بخير على أقلّ تقدير. وكانت الخزانة محطّتي التالية، فنحيّت الأغراض في رفّ الملابس، وأخرجت حقيبتي الحمراء ذات القماش الخشن من الرفّ السفليّ، فبدت مبهرجة وتشبه جرحًا بليغًا نازفًا في قلبي، وهي وسط كلّ هذه الملابس الأنيقة، يا إلهي، يا لسخرية الحياة! كيف اعتقدت أنّني سأندمج في المجتمع اليابانيّ؟

قالت ماريكو وهي تحوم حولي: "ما الذي تفعلينه؟" تعابيرها تظهر قلقها وشفقتها التي تحاول أن تكتمها في داخلها.

"سأذهب إلى منزلي"، حقيقة واحدة غير قابلة للجدل، وهي أنّني لو لم أزر اليابان لما حدث كلّ ذلك، كنت حمقاء عندما اعتقدت أنّ جذوري يمكن أن تتمدّد وتنمو خارج هذه الجدران التي تحيط بي من كلّ جانب، وأنّه يمكن لحرّيّتي أن تكون أكبر من الإناء الذي زُرعت فيه.

هناك سراويل مريحة وواسعة وكنزات واسعة والعديد من الملابس الداخليّة من ماركة (كير بير) محشورة في الحقيبة.

رجّ هاتفي فظهرت صورة تاج على شاشته، إنّها الصورة التي صمّمتها من أجل والدي، وقد ترك لي رسالة: "يجب أن نتحدّث، فسأغادر قريبًا"، فحذفتها كلّها.

تأمّلتني ماريكو وقالت: "ألن تخبريه بأنّك راحلة؟"

في آخر لقاء لنا قال عبارة (يجب أن نتحدّث) وهو غاضب جدًّا، ولا أستطيع تخيّل حجم غضبه الآن، ولا أعتقد أنّني أريد أن أكتشف ذلك، بالإضافة إلى... قلت: "من الأفضل أن يتمّ الأمر بهذه الطريقة"، دائمًا يجعلك الانفصال الهادئ تشفين بشكل أسرع، لأنّه في الحقيقة... في الحقيقة... سيكون الجميع بخير بمجرّد أن أرحل، وربما هذا أفضل، إذ سيعود كلّ شيء كما كان، إلّا أكيو، ولن أسامح نفسي أبدًا على ما ألحقته به من أذى.

استمررت بحزم حقيبتي بعصبيّة، وماريكو واقفة إلى جانبي تشهد تحطّمي التامّ، واتّصلت بأمّي وأنا أوضّب أغراضي وقد وضعت هاتفي بين أذني وكتفي.

قالت بصوت ذابل: "زوم زوم؟"

"أريد أن أعود إلى المنزل، فهل يمكنك أن تساعديني بحجز تذكرة سفر للعودة عبر الطائرة؟"

سمعت صوت تحرّكاتها ثمّ صوت نقر مفتاح المصباح: "ما الذي يجري؟"، فبقيت صامتة، وفكّاي مشدودان.

"إيزومي، قولي شيئًا".

أخذت نفسًا عميقًا، ثمّ أطلقته: "طوكيو في فوضى".

"ماذا عن والدك؟"

"أرجوك يا أمّي، ساعديني في مغادرة هذه البلاد وحسب، وسأخبرك بكلّ التّفاصيل عندما أصل"، كلّ ما يهمّ الآن هو أن أعود إلى المنزل في أقرب وقت ممكن.

أجابت بعد لحظة ولكنّ بصوت هادئ: "حسنًا، امنحيني بضع دقائق".

أنهيت المكالمة، وأنا أثق بأنّها ستنجز المهمّة من دون تباطؤ، فامتلأت الحقيبة، وهممت بإغلاقها.

فقالت ماريكو: "انتظري"، وتناولت كتاب تاريخ عائلتي من الطاولة التي بقرب السرير، ومدّته إليّ، فلففت يديّ حوله، ولكنّها لم تتركه، ثمّ رحنا نشدّ الحقيبة وكأنّنا نلعب لعبة شدّ الحبل: "أرجوك، أعيدي التفكير في الأمر".

"لقد عقدت عزمي"، ولابدّ أنّها رأت في عينيّ أنّني لن أغيّر رأيي، فارتخت قبضتيها، ووضعت الملفّ في الحقيبة التي أغلقناها معًا.

سألت ماريكو بنبرة جادّة رغم ذرفها الدموع: "هل انتهى الأمر إذًا؟ هل سترحلين وحسب؟"

"انتهى"، وانهمرت دموع كلينا بلا حسيب أو رقيب: "ولكن يجب أن تعرفي... أنت أفضل وصيفة حصلت عليها في حياتي كلّها".

أبدت امتعاضها وقالت: "أنا الوصيفة الوحيدة التي حصلت عليها في حياتك كلّها".

"نعم، أعرف، ولكنّك الأفضل، وفوق هذا، أنت صديقة رائعة أيضًا".

كان يجب أن تولد ماريكو أميرة: "أنت أفضل بكثير من أكيكو ونوريكو ومن أولئك المتنمّرين الذين أشعروك بالضعف في المدرسة، ولن أنساك أبدًا".

بدأت تشهق وهي تبكي، ثمّ أخرجت منديلا مخبّأ في كمّ فستانها ومسحت أنفها به: "ما الخطّة؟ كيف ستخرجين من هنا؟"

"سأستقلّ سيّارة أجرة من أمام الطريق السريع".

هزّت برأسها: "لا، لا يمكن ذلك، سأطلب لك سيّارة، وستنتظرك قرب إشارة الطريق السريع".

"هل ستفعلين ذلك حقًّا؟"

قالت لي بكلّ تزمّتٍ ورصانة من جديد: "بالطبع، أنا وصيفتك، إنّه واجبي ويشرّفني أن أخدمك".

الفصل الثلاثون

في العـام 1991، أُجرِيَـت دراسـةٌ في اليابـان حـول ظـاهرة الاسـتجابة العصـبيّة للإجهاد النفسيّ المؤدّي إلى اعتلالٍ وظيفيٍّ في البطين الأيسر للقلب، وأُطلِق على هذه الحالة اعتلال عضلة القلب.

وهذا دليلٌ قاطعٌ على أن متلازمة القلب المفطور هي أمرٌ حقيقيّ.

كانت رحلة العودة إلى الوطن خاليةً من الأحداث، وحالما نزلتُ من الطائرة، قالت لي مضيفة الطيران: "أتمنّى لكِ يومًا سعيدًا"، كانت ابتسامتها مشرقةً وصافية، فهي تقول كلامًا معدًّا مسبقًا، وقد أجبتها: "شكرًا، ولكن لديّ خطط أخرى".

كنت متعبةً وحزينةً، بعد أن حطّمت مشاعر الألم الحقيرة آمالي وأضعفت قواي، وسأسعى جاهدة إلى أن أطفئها عند أوّل فرصةٍ متاحةٍ، ولكن لسوء الحظّ، كانت مشاعري مضطربة بشكلٍ هائل، ما جعلني بعد مشاهدة الأفلام التي عُرِضَت على الطائرة أبكي من دون توقّف، كما جعلني الزوجان العائدان من شهر العسل إلى منزلهما أنتحب، وعندما سألتني المضيفة إن كنت أريد السمك أم السلطة مع جبن الماعز والفجل المخلّل، انفجرتُ بالبكاء.

مشيت وحيدةً في المطار، بعد أن اعتدت على عبوس أكيو، وضجيج ماريكو، وإشارة السيد فوتشيجامي إلى المعالم التاريخيّة.. وقد تماشى ذلك مع شعوري بحرقة اندثار هذا كلّه وسقوطي أرضًا، ما دفعني إلى حظر كلّ الأرقام الدوليّة، والمكالمات الوحيدة التي كنتُ أتلقّاها كانت إمّا من أمّي أو من صديقاتي الرائعات.

نزلت على السلّم المتحرّك، والحقيبة المتدلّية من كتفي مثقلةً بكلّ مشاكلي العاطفيّة وجروحي العميقة، وقد وعدت نفسي بأنّني في المرّة المقبلة التي سأتوق

فيها إلى البحث عن أبي وأكتشف أنّني أميرةٌ، سأقوم بالأمر الصائب وسأقضي على هذا التوق فورًا. نعم، ذلك سيحدث في المرّة المقبلة.

كانت أمّي تنتظرني، فابتسمتُ للمرّة الأولى عندما رأيت أنها أحضرت تماغوشي، فالتقطتُه ورفعته إلى الأعلى فتذمّر وتلوّى، وما إن وضعته أرضًا حتّى اختبأ خلف أمّي.

قالت أمي: "احذري، إنّني متأكّدةٌ تمامًا من أنّه تناول بعض كريات لحم الغزلان هذا الصباح".

"هو فعلًا يحبّ الطعام الصينيّ"، ربتُّ على رأسه مرّةً أخيرةً فشمَّ يدي، ثم ألقيتُ بنفسي بين ذراعيّ أمّي، ووضعت رأسي على تلك المساحة الرقيقة في عنقها وبكيت، ففاحت منها رائحة البخور ومسحوق الغسيل.

وفجأةً بدا كلّ شيءٍ في العالم صحيحًا، أو على الأقلّ بدا أفضل بقليل.

ملّسَت شعري بيدها، ورفعَت ذقني إلى الأعلى، وقالت: "زوم زوم، ستخبرينني بكلّ شيءٍ في السيّارة، ودعينا الآن نحضر حقائبك".

ألقت كلّ منا بذراعها على كتف الأخرى، ومضينا في طريقنا باتّجاه منطقة استرداد الحقائب، فاستندت إليها وقد ظهر حزني بارتخاء جسدي على كتفها، ما خفّف عنّي بعض هذا الثقل.

كانت الأمتعة مجهّزة مسبقًا، فرحت أفتّش عن حقيبتي، وعندما وقعت عينيّ على لافتةٍ باللون الزهريّ الفاتح، مكتوبٌ عليها "أهلًا بعودتك من المستشفى! لقد زال الطفح الجلديّ!" رأيت ثلاث فتياتٍ يبتسمن ويلوحن بلهفةٍ، إنهنّ نورا وهانساني وغلوري.

قالت أمّي باستسلام: "كنّ مصرّاتٍ على القدوم"، وهي تعرف أنّه ليس من الحكمة أن تحاول إبعادنا عن بعضنا، فما جمعه الله فلن يدع أيّ رجلٍ (أو امرأةٍ) أن يفرّقه، ثم قالت: "سيكون عليك بالجلوس في الوسط بين صديقتيك، وسيكون المكان ضيّقًا".

لم أكترث لذلك، بل ركضتُ نحوهنّ وعانقتُ كلّ واحدةٍ منهنّ.

همست لي هانساني: "أخبرتهما بأنّ اللافتة مبالغٌ فيها"، لطالما كانت هانساني تشي بزملائها من دون خجل في المدرسة الابتدائية، بينما كانت تتّبع القوانين بكلّ فخر.

تراجعتُ إلى الخلف، وحدّقتُ في كلّ واحدةٍ منهنّ، وقلت: "أكرهكنّ"، ثمّ التفتُّ إلى هانساني وقلت: "باستثنائك أنتِ، فأنتِ رائعة"، ثمّ ضممتهنّ إلى صدري.

استغرقت رحلة العودة إلى المنزل خمس ساعاتٍ، وكنتُ خلالها المصدر الأساسيّ للتسلية، فأخبرتهنّ بكلّ تفاصيل قصّتي المؤلمة، مع أكيو التي بدأت بالعداء وانتهت بالفراق، وكيف تطوّرت علاقتي بأبي، ومحاولات التوأم الساطع تشويه سمعتي في كلّ مناسبةٍ أحضرها، وصولًا إلى نهايتها العظيمة المتمثّلة ببيع قصّة حبّي المحرّمة للصحف الشعبيّة.

سألَت أمي: "هل أخبرتِ والدك؟"

بقيتُ صامتةً، لأنّني أخبرته بالفعل، بعد حفل الزفاف، حين حاولت أن أشرح له ما تخطّطه ابنتا عمّي للإيقاع بي وقد تجاهل تآمرهما عليّ، وبماذا جعلني ذلك أشعر؟ بالتأكيد ليس شعورًا جيّدًا، ليس كذلك على الإطلاق، وبدلًا من ذلك قلت وأنا أتخيّل الوجهين الشيطانيّين الغبيّين للتوأم: "جعلتاني أشعر بالغضب الشديد".

نحن على وشك الوصول إلى جبل شاستا، وقد بدا ذلك جليًّا من تبدّل المنظر من الأدغالِ الكثيفة الأشجار إلى غابات الصنوبر المتناثرة. أمّا في السيّارة فتبعثرت أغلفة أطعمة الضيافة في أرضيّتها، إذ أحضرت الفتيات معهنّ مختلف أنواع الأطعمة اللذيذة، حتّى إنّ غلوري جلبت قطعة بسكويتٍ من مطعم الدبّ الأسود.

طمأنتني نورا قائلةً: "أنا متأكّدة من أنّك ستتغلّبين على كلّ ما واجهته".

ابتسمت أمّي وهي تنظر في مرآة الرؤية الخلفيّة، وقد جلست هانساني إلى جانبها في المقعد الأماميّ، وكانت رفيقة سائق مثاليّة، مبهجة ومشرقة كعادتها، وهي

تشير بيدها إلى المعالم السياحيّة المثيرة للاهتمام، أمّا أنا فكنت محشورة بين غلوري ونورا، ولا أمانع ذلك، بل على العكس تمامًا كان ذلك لطيفًا، وقد بدوت وكأنّني داخل شرنقة، ولا يمكن أن يمسّني أحد وأنا وسطهما، كما أستطيع أن أنسى لبرهة كلّ الأشياء التي تؤلمني.

"وعلى كلّ حال لن أهتمّ بما جرى بعد الآن"، في الواقع أنا أهتمّ ولكن هناك أمورًا كثيرة عليّ أن أركّز عليها، كقلبي المكسور.

"أكيو يكرهني، فقد دمّرت حياته"، لهذا السبب لم يقابلني ذلك اليوم، وكيف سيتمكّن من مقابلتي بعد ما ألحقته به من أذى؟ يمكن أن يجرحك الحبّ بالسهولة نفسها التي يمكنه أن يشفيك منه.

قالت غلوري بحذر: "ربما عليك أن تمنحيه بعض الوقت، وسيتراجع عن موقفه"، أعتقد أنّ غلوري تخفي مشاعرها الحقيقيّة بشأن الرومنسية، وأنا سعيدة لأنّ طلاق والديها لم ينهكها أكثر من اللازم، فلا يزال لديها أمل، وستنجح في العودة إلى العالم والاندماج فيه، أمّا أنا...

هل رحلت باكرًا جدًّا؟ هل استسلمت بسهولة؟ قلت: "لا"، فلم تكن غلوري هناك، ولم تنتظر على قارعة الطريق، تراقب الشمس وهي تتحرّك في السماء ببطء، وقلبها بين يديها، ولم تُعرَّ روحها وتُجلد: "هذا لا يهمّ على أيّ حال، لم أكن أبدًا واحدة منهم، ولن أنتمي إلى اليابان أبدًا".

ربّتت نورا على فخذي، فأسندت رأسي إلى الخلف وأغمضت عينيّ، وأنا أردّد: لا سعادة أبديّة، والحكايات الخياليّة ترّهات.

النهاية

الفصل الحادي والثلاثون

مرّ أسبوع كامل، وأنا اعتكف في غرفتي، وقد تابعت لفترة جرائد الصحافة الصفراء، التي لا يزال صحفيّوها يكتبون مقالات تتناول علاقتي اللاشرعيّة، وينهشون لحمنا على الرغم من أنّ أكيو اختفى من الساحة، وأنا انتقلت إلى قارّة أخرى، وحين عجزت عن التحمّل، انتقلت إلى مشاهدة البرامج التلفازيّة الرديئة، وبشكل عام تابعت البرامج الواقعيّة التي تنقل أخبار المشاركين في بثّ مباشر كلّ يوم، كما تابعت مسلسلًا يتناول حياة رجل لديه خمس زوجات، وكنت أشاهد الحلقة تلو الأخرى. نعم أعرف أنّ هذا سيّئ، فأنا أحرز تقدّمًا خارقًا باتّجاه شعوري بالأسف على نفسي، وتقدّمي الذي أقنع نفسي بأنّه إيجابيّ يستحقّ جائزةً، وإن كان عليّ أن أسعى إلى تحقيق أهدافي من دون توقّف.

كان الطقس دافئًا، ولا حاجة للتكييف، إلّا أنّ هذا لا يساعد في إزالة رائحتي الكريهة بعد أن قاطعت الاستحمام، وقد دعمت أمّي على مضض أسلوب الحياة الذي اخترته من جديد والذي يشبه إلى حدّ ما حياة راهبة، فهي تحضر لي الطعام والمشروبات وتتأكّد من فتح الستائر يوميًا، حتّى بعد أن أصدر هسيسًا بسبب انبعاث ضوء الشمس، وكأنّني بتُّ مصّاصة دماء. وقد مرّ بنا جونز اليوم، وأحضر معه تركيبة للقلوب المفطورة، وبعض العطور المعالجة برائحة النعناع لتحسين مزاجي واستعادة طاقتي.

وما إن حضرت نورا حتّى توجّهت إلى الغرفة ونظرت إلى بيجامتي، وقد ارتديت ملابس عيد الميلاد، وقالت: "هل نسي أحدهم أنّنا في وقت الظهيرة؟" كان شعرها لمّاعًا بشكل مفرط اليوم، وقد كرهته.

نظرت إليها بعيني من يشتهي الراحة الأبديّة التي يقدّمها الموت.

فشمّت الرائحة، وعلّقت: "حسنًا، على الأقلّ رائحة كهف العار أفضل بقليل هذا الصباح، فهل هذه رائحة النعناع؟"

انقلبت على ظهري لأجيبها: "لقد أحضر جونز العطر".

"هل خرجت من المنزل؟"

"فتحت أمّي النافذة هذا الصباح"، ولم أذكر أنّني لم أخرج طوال هذا الأسبوع، فلا سبب يدعوني إلى فعل ذلك فعلًا، فالعالم مكان موحش وغير ودود، وسيحلّ يوم التخرّج بعد عدّة أيّام، وعباءتي وقبعّتي معلقتان في الخزانة، وأعتقد أنّه عليّ أن أخرج، إذ يخطّط جونز للاحتفال بالمناسبة يتخلّله تناول العشاء، وأنا متأكّدة بنسبة ألفين في المئة بأنّ سبب ذلك يعود إلى رغبته في أن يمضي المزيد من الوقت مع أمّي، فأنا أراقب نظراته إليها، وأرى أنّ حبّه المبتور فاشل، وأنا حزينة من أجله، أنا كذلك فعلًا.

تتحدّث الزوجات عبر التلفاز بألم حول اضطهادهنّ بسبب معتقداتهنّ، فأبدت نورا امتعاضها وأطفأت التلفاز.

قلت بصوت خال من الحرارة: "لماذا؟ لقد كنت أشاهده".

جلست على السرير: "زوم زوم، هذا قانون جديد".

استدرت نحوها: "لا أستطيع، لا أستطيع وحسب، إنّه مؤلم جدًّا"، كلّ ما أستطيع التفكير فيه هو ما حصل معي، وما خسرته، وكم هُشمّت بشكل شنيع، وتابعت كلامي: "اعتقدت أنّ اليابان ستجيب عن كلّ أسئلتي، ولكنّني لا أزال أجهل نفسي، ولم يتغيّر شيء"، أغمضت عينيّ بقوّة، وتسرّبت الدموع من زواياها، يبدو أن الأيّام السبعة التي أمضيتها وأنا أشاهد البرامج الواقعيّة لم تجعلني أشعر بالتّحسن ولو قليلًا.

استلقت بجانبي واحتضنتني، فكاد أنفانا يتلامسان: "ولماذا تعتقدين أنّ هذا سيّئ جدًّا؟" كانت عيناها تعكسان القلق الشديد.

"ألا تشعرين أبدًا بأنّك لا تنتمين إلى أيّ مكان؟ بأنّ نصفيك المختلفين يعيشان في جسد واحد؟ أنا لست أمريكيّة بما يكفي ولست يابانيّة بما يكفي". أعتقد أنّني ظننت أنّ الانتقال إلى بلد آخر ومعرفة والدي سيجعلانني كاملة، ما سيمكّنني من رتق هذه الأجزاء الممزّقة.

مرّت عدة ثوانٍ ثمّ قالت: "فهمت، أنت تعانين من معضلة أنّك ولدت من عرق مختلف في أمريكا ذات الأغلبيّة العرقيّة البيضاء".

"هل هناك اسم لهذا؟"

"بالطبع".

"وما هو الترياق؟" امتلأ قلبي غبطةً وأنا في الرمق الأخير من الأمل.

"لست متأكّدة تمامًا من وجود علاج، هناك أمور يجب أن يشعر المرء بها وحسب".

"لا توجد إجابة سهلة لسؤالي إذا؟".

"أسفة ولكنّني لا أعتقد هذا، بل يتوجّب علينا جميعًا أن نكتشف من نحن وإلى أين ننتمي بأنفسنا".

"إلى أين أنتمي إذًا؟"

"قالت نورا: "حسنًا، لست واثقة، ولكنّني أعتقد أنّك تنتمين بشكل جيّد إلينا أنا وغلوري وهانساني، ولكنّك تنتمين إليّ أكثر من الباقيات لأنّني الأفضل"، كشرت لي وأضافت: "وهذا مهمّ، أليس كذلك؟"

مسحت أنفي بشرشفي: "هذا مهمّ جدًّا".

قالت نورا وهي تمسك يدي بيديها: "عودي إلى أرض الواقع، إن لم يكن هناك إجابة، فعلى الأقلّ نستطيع أن نكون معًا في حالتنا المضطربة الدائمة، فنحن نحتاجك"، ثمّ هزّت برأسها، وقالت: "بالإضافة إلى ذلك، عليك أن تنظّفي شراشفك، فلماذا رائحتك سيّئة جدًّا؟".

صحيح، سكبت بعض الحليب قبل بضعة أيّام، ثمّ فكّرت في كلام نورا المنطقيّ واللطيف، فهي محقّة، وهذا الانزلاق لا يمثّلني، فأفعالي الطبيعيّة إيجابيّة

جدًّا، وأحتاج إلى أن أقلع عن مشاهدة المسلسلات الواقعيّة، ويجب أن أفعل هذا من أجلي ومن أجل العالم، وقد حان الوقت لأن أعود إلى أرض الأحياء وإلى أن أكون فردًا مساهمًا في المجتمع، أو فردًا يعمل على الأقلّ ليكون فعّالًا فيه.

بدأنا بتجريد سريري من الشراشف وهذا يعدّ خطوة صغيرة في طريق التغيير، فسدّت نورا فتحتي أنفها عندما تناثر الفتات وأوراق تغليف الأطعمة وفاحت رائحتها النتنة، حتّى إنّها سألت أمّي إن كان لديها بدلة تقي من الموادّ الخطرة.

كنا نحشر الشراشف في الغسالة عندما سمعنا طرقًا على الباب، فسكبت كمّيّة وفيرة من منظّف الأقمشة في جرن الغسالة وأطبقت غطاءه، فمن المرجّح أن ينفع ذلك.

هناك طرقة أخرى، فقلت لنورا وقد سبقتها لفتح الباب: "إنّه جونز على الأغلب".

فقد وعدني البارحة بأن يجلب لي عسلًا طازجًا، فجنّ تماغوشي ولحق بي.

فُتح الباب وتدلّى فكّي، حتّى أنّني أطلقت شهقةً قصيرة.

وقفت نورا خلفي، وهمست إليّ: "إنّه هنا، جورج كلوني الآسيويّ هنا، بلحمه ودمه".

أنا عاجزة عن الكلام، وعن التنفّس، كسمكة رمتها الأمواج على الشاطئ، ها هو والدي يقف أمام الباب بكلّ تواضع، وليّ عهد اليابان يقف على عتبة بابي.

الفصل الثاني والثلاثون

كانت ابتسامته صادقة وحنونة: "إيزومي، لقد وجدتك".

"ماذا... ماذا تفعل هنا؟" شمّ تماغوشي حذاء والدي، وبدأ يشدّ أحد طرفي سرواله، فألتقطتّ عظمة عن الأرض، ورميتها إلى الصالة، فطاردها تماغوشي في الحال.

قال أبي ببساطة: "أنت دعوتني".

قالت نورا: "يا إلهي، سأجري مكالمة فيديو مع الفتيات".

أمال أبي رأسه ونظر إلى نورا من فوق كتفي: "مرحبًا، أنا هيرونوميا، واختصار اسمي هيرو"، ومدّ يده لمصافحتي.

أسرعت نورا إلى وضع هاتفها في جيبها ودفعتني بعيدًا عن طريقها، وكان هذا سهلًا بما أنّ قوّتي منهارة وأطرافي هشّة وضعيفة الآن، وأمسكت بيد والدي: "نورا فارزاد، ولا علاقة لنا بعائلة فارزاد التي تعمل بالتنظيف الجافّ".

"أنت صديقة إيزومي، لقد أخبرتني الكثير عنك"، ضحكت نورا ضحكة عالية فعلًا، من دون أن تفلت يد والدي، ولكن قد حان الوقت لأنهي هذه الحلم، فأبعدتهما عن بعضهما، وضربتها بوركي، قائلة: "اهدأي يا فتاة".

ثم خاطبت والدي قائلة: "لم أكن أتوقّع مجيئك"، لاحظت أنّ أزرار بيجامتي مشدودة في عرواتها بطريقة غير متساوية، كما لا أعتقد أنّ والدي قد رآني مرتدية ملابسي النوم من قبل، فكيف أبدو؟ هذا سؤال وجيه، والجواب الوحيد هو أنّني أبدو ككيس نفايات دافئ بعض الشيء.

"ألم تتوقّعي؟" يبدو حائرًا، ويتظاهر بأنّ شيئًا لم يحدث، وكأنّني لم أحرجه كفاية بعلاقتي الحارّة المزعومة، ثمّ رحلت من دون وداعه، حسنًا، سأجاريه.

"أعتقد أنّني قدمت أبكر قليلًا من موعد تخرّجك على كلّ حال"، ورفع يديه وهو يتابع كلامه: "أنا هنا على كلّ حال".

ليس لدي ما أقوله، فقد خذلتني الكلمات.

فلكزتني نورا وقالت بفم ملتوٍ: "إنّه هنا".

"لا يجب... لا يمكنك..." كلماتي كانت متعثّرة، فما الذي أحاول قوله؟ وتابعت: "لم أعتقد حقًّا أنّك ستأتي، بسبب جدولك"، فلا يمكنه أن يحصل على يوم إجازة واحد بكلّ بساطة: "أنت لا تنتمي إلى هنا"، فشعرت بالسوء لقول هذه الجملة بقدر بشاعتها نفسها، ولكنّني فصلت حياتي عن اليابان، ووضعت خطًّا أحمر في المنتصف على طرفيه اليابان وأميركا، ولن يلتقي الطرفان أبدًا.

قال وكأنّ كلامه أكثر كلامًا منطقيًّا في العالم: "بالطبع أنتمي إلى هنا، فأنت هنا".

خطوت إلى الخلف ووضعت يدي على مسكة الباب، وقد سوّلت لي نفسي أن أغلق الباب في وجهه، ولابدّ أنّه شعر بذلك لأنّه وضع قدمه على عتبة الباب، وقال: "إيزومي، لقد غادرت من دون وداع".

غضضتُ طرفي وقلت: "كان هذا أفضل، اعتقدت...".

"ماذا؟ أنّني سأكون غاضبًا، أنّني سأدير ظهري لك".

"نعم"، ستدير ظهرك لكلّ شيء يخصّني، فشعرت بيد نورا على ظهري: "قلت إنّنا بصفتنا أفرادًا من العائلة الملكيّة يجب أن نكون منزّهين عن الخطأ".

تجعّد حاجباه وهو يقول: "قلت هذا بالطبع، ولكنّنا كنّا نتحدّث عن تأثير الصحف الصفراء، إذ ترفع الصحافة من شأن العائلة الملكيّة حتّى توصلها إلى مستويات عالية، ولكن من المستحيل الوصول إليها، إذ لا يوجد أحد منزّه عن ارتكاب الأخطاء، ولن ألومك أبدًا لارتكاب الأخطاء، فهل هذا ما توقّعته؟"

"كنت خائفًا من فضيحة محتملة"، ثنيتُ ذراعيّ، ثمّ فردتهما مجدّدًا.

قال ببطء: "لا، كنت غاضبًا من أجلك، وقلقًا من أن تؤذيك الصحف الصفراء بتقاريرها الشريرة، وكنت أحاول حمايتك"، لا تزال قدمه عند عتبة الباب: "هذا

خطئي، هذا كلّه خطئي، أردتك أن تأتي إلى اليابان حتّى تتعرّفي إليّ وإلى أفراد عائلتك، ولكنّني حينها لم أمضِ ما يكفي من الوقت معك، ولم أقدّر تمامًا ما يعنيه أنّك كنت إلى جانبي، كما لم أقدّر الهدية التي مُنحتها، فكنت مهتمّا جدًّا في الحفاظ على جدول المواعيد، وما كان يجب أن يكون وقتنا معًا بهذا البرود"، ورفع يديه وابتسم: "فها أنا ذا الآن، فقد أمضيتِ أسابيع في اليابان تتعرّفين إلى أسلوب حياتي وعادات العائلة الملكيّة، والآن سأتعرّف إلى أسلوب حياتك وعاداتك المتمسّكة بها".

تجمّدت في مكاني، وزال الثقل الذي يرهق قلبي، وبدأ رأسي يدور... كان يحاول حمايتي... كان غاضبًا من أجلي...

لكزتني نورا بمرفقها مجدّدًا: "ما الذي تنتظرينه؟ اسمحي للرجل بالدخول يا زوم زوم"، فخاطبت نورا والدي قائلة: "إنّها متفاجئة"، فقد كان هدفها الرئيسيّ أن تحميني، فبعد سنوات من ممارسات الأهل ضدّنا هذا ما نفعله بشكل مباشر، وتابعت: "تحتاج فقط إلى عدّة دقائق لتتكيّف، ويمكننا أن نتنزه معًا، وسأكون سعيدةً بأن أعرّفك إلى جبل شاستا، وسآخذك إلى كلّ المحلّات المحلّيّة المثيرة للاهتمام، إن كنت مهتمًّا بمزارع الماعز...".

دخلت أمّي الغرفة: "زوم زوم، لقد عبّأت الغسالة أكثر من اللازم مجدّدًا...".

قال والدي: "هاناكو"، يا إلهي، هل أشرق وجهه لرؤيتها؟ وكأنّ ألف شمس قد أضاءت وجهه.

توقّفت أمّي وأمسكت بظهر كرسيّ، واختفى اللون عن وجهها: "هيرو".

حاول أن يتقدّم ولكنّني ونورا كنّا نعيق تقدّمه، فقال: "أنا آسف على التطفّل هكذا..."، توقّف قليلًا وهزّ برأسه وكأنّه يشعر بالدوار، وأكمل: "فسامحيني، كما يبدو أنّك لم تتغيّري أبدًا".

نظرت ونورا في اللحظة نفسها إلى أمّي لنقيّم حالتها، فكانت تهزّ برجلها وتمسّد رأسها بيدها، وهي تقول متلعثمة: "نعم... أنا... لم أرتدِ ملابسي بعد"، تبدو جميلةً جدًّا

بالنسبة إليّ، فهي ترتدي ملابس العطلة المعتادة، سروالًا من الجينز وقميصًا مكتوبًا عليه أحد تواقيعها المشجّعة للنساء (صدّقوا النساء)، وتابعت قائلة: "كنت أنظّف".

دفعنا أبي ودخل من بيننا: "تبدين لطيفة".

ضغطت نورا على يدي: "هل ترين ما أراه؟ إنّهما يتغازلان بأعينهما".

همستُ لها: "اصمتي، الكبار في الغرفة".

وقف أبي أمام أمّي، فلم أتمكّن من رؤية وجهها، فطول قامته جعلها تبدو قزمةً، وأعادت طرح سؤالي نفسه: "ما الذي تفعله هنا؟"

وكان كلّ ما قاله: "أنا هنا لأصوّب الأمور".

دوت صفّارات الإنذار في الخارج، واقترب الصوت أكثر فأكثر، وانعكست الأضواء الزرقاء والحمراء على زجاج نوافذنا، فقد كانت شرطة جبل شاستا جنبًا إلى جنبٍ مع بعض السيّارات القاتمة التي اصطفّت في مرآب السيّارات الخاصّ بنا وتوقّفت بعد أن نثرت وابلًا من الحصى، فابتعد أبي عن أمّي، وقال بخجلٍ: "ربما كان عليّ إعلامكِ أنّني لم أخبر أحدًا بقدومي إلى هنا، ويبدو أن الشرطة وصلت، وأعتقد أنه تمّ إلقاء القبض عليّ"، لا يبدو عليه الأسف أبدًا، فهو ليس آسفًا على الإطلاق، ثمّ فعل شيئًا لم أره يفعله من قبل أبدًا، أبدًا.

لقد ضحك.

أجبرتُ نورا على العودة إلى منزلها.

استغرقنا الأمر ساعتين كاملتين حتّى سوّينا الفوضى التي أحدثها أبي، بعد أن حضرت الشرطة، والسفير الياباني، حتّى إنّ الرئيس اتّصل ودعا أبي إلى تناول العشاء في البيت الأبيض. أمّا وكالة الأسرة المالكة فهي في طريقها إلى هنا بالإضافة إلى خدم أبي وحرّاسه الشخصيّين وهم جميعًا سيصلون بحلول صباح الغد، وحتّى ذلك الحين، سيكون هنالك أربع سيّارات شرطة والقليل من عملاء الخدمة السرّيّة المؤقّتين خارج منزلنا، وبما أنّ أيًّا من الفنادق المحلّيّة لم يتمّ التأكّد من أمنه، فليس أمامنا خيارٌ سوى استضافته في منزلنا.

بدا أبي في غاية السعادة، وغير مرتبكٍ أبدًا، وكانت أمّي شعثاء الشعر وتتذبذب بين النظر إلى أبي بعينين مشدوهتين وبين المرور بحالةٍ عصبيّةٍ حادّة، لم أرَها هكذا من قبل، فقد سكبَت كأسًا كاملًا من الماء بينما كانت تعدّ طاولة العشاء، وأحرقَت فطائر الجبن ثمّ اعتذرت بشدّة، ووضعت على الطاولة وعاء المعكرونة المتصدّع، والأطباق التي وضعتها على الطاولة غير متناسقة، إلى جانب أدوات تناول الطعام التي اشترتها من السوق الشعبيّة، كما أنها لبست إحدى ستراتها الصوفيّة المخصّصة للعمل فوق قميصٍ ذي أكمام قصيرة، وقالت وهي تنظر إلى الطاولة كلّها: "أنا واثقةٌ بأنّك غير معتادٍ على هذا...".

قال لها: "إنّه رائع"، وبدا سعيدًا بالفعل، وبحركةٍ رشيقةٍ فكّ أصفاده ورفع كمّيه، إنّه مجرّد رجلٍ يستعدّ للبدء بالأكل.

بالنسبة إليّ، ما زلت لا أعلم كيف تعاملت مع كلّ هذا، فقد اتّخذت الأمور منحى آخر ولكنّه كان ممتعًا، وسألَته أمّي: "أترغب في احتساء بعض الجعة؟ ما زلت تحبّها أليس كذلك؟" ثمّ قالت لي: "ليس لدينا أيّ منها، لكنّني واثقةٌ بأن جونز لديه، ألّا تذكرين مروره بكلّ مراحل التخمير تلك؟" مدهش، لقد لفظت الكلمة.

سأل أبي وهو يضع منديلًا ورقيًا في حضنه: "من يكون جونز؟" لم يسبق لي رؤية منديلٍ ورقيٍّ في القصر، بل كانت كلّها من القطن أو الكتّان، مضغوطةً ومطويّةً بأناقة، وكانت الأواني الفضّيّة إمّا مُدفّأةً أو مُبرّدةً متماشية مع الطبق الذي سنتناوله، بينما أوانينا كانت قد خرجت لتوّها من غسالة الصحون، مبقّعةً ومغبشة.

قلت: "إنه المتربّص بأمّي".

اختنق أبي وهو يرتشف المياه.

فوبّختني أمّي قائلةً: "زوم زوم، إنّه جارنا، وهو لطيفٌ للغاية".

"إنه مغرمٌ بأمّي".

"ربما هو مهتمّ بي قليلًا، وهذا ليس بالأمر المهمّ".

عبس أبي وهو ينظر إلى طبقه، ألـم تعجبه الخدوش التي رآها على الشوكة التي يتناول بها طعامه؟

ثم سأل: "هل مشاعره غير متبادلة؟"

قلت: "لا أدري، هو وأمّي تقرّبا جدًّا من بعضهما بينما كنتُ في اليابان، فكما تعلم الوحدة خلال ليالي الربيع قرب المدفأة...".

فوَّتَ أبي رؤية تلك النظرة المذهولة في عيني أمّي المتّسعتين، وكأنّهما تقولان ماذا تقولين بحقّ الجحيم؟ صدّقوني، إنّني أسدي لها معروفًا، ففي رواياتي الرومنسيّة، ينفع هذا الأسلوب دومًا، وكلّ ما تقرأونه في الكتب يعدّ نصفه صحيحًا على الأقلّ.

غسلت أمّي الأطباق بعد العشاء، وأنا أخذته في جولةٍ في أرجاء المنزل، وقد استغرق ذلك خمس دقائق، أمضينا معظمها في غرفتي، بينما لا يزال السرير مجرّدًا من الأغطية.

جاب المكان واضعًا يديه في جيبيه، لقد فعلتُ الشيء نفسه في غرفة أكيو، التجسّس عليه، ومعرفة كلّ شيءٍ عنه، ولكن عليّ التوقّف عن التفكير بأكيو، إنّه أمرٌ صعبٌ بما أنّني أستدير نحوه بشكلٍ تلقائيّ، وأتمنّى أن أثق به، وأن أتمكّن من أن أقول له: ظهر أبي، هل هو هنا من أجلي؟ أو من أجل أمّي؟ أو من أجلنا كلينا؟ ألم يحصل على التقرير بعد رحيلي؟ لقد غادرت الأميرة إيزومي.

توقّف أبي واستغرق في تأمّل ملصق (هيدويغ والبوصة الغاضبة) الذي قدّمته لي نورا، وكانت أضواء الزينة معلّقةً حوله، فعلّق أبي قائلًا: "إنّها مختلفةٌ تمامًا عن غرفتك في القصر".

التقطتُ مجموعة من الملابس الملقاة على السرير وحشرتها في خزانتي، ثمّ نفختُ شعري بعيدًا عن وجهي، فهل يتذكّر ردّي عندما سأل عن غرفتي في ليلتي الأولى في اليابان؟ قلت: "نعم، إنّني آسفة، ليست نظيفةً جدًّا، ولم يكن لديّ الوقت لترتيبها"، أو في الواقع لم تكن لديّ الرغبة في ترتيبها.

استأنف سيره، ثمّ توقّف عند الصور المؤطّرة الموضوعة على طاولة الزينة الخاصّة بي، وكانت كلّها تُظهِرني وغلوري ونورا وهانساني، أما أكثر صورتين مهينتين فقد كانت إحداهما صورة التقطتها لي نورا وأنا أضحك وفي الوقت نفسه كان تماغوشي يلعقني، فبدا الأمر وكأنّ لسانه في فمي، أمّا الصورة الثانية فكانت لمجموعتنا في الصفّ الخامس ونحن نرتدي أزياءً متماثلة، وقد قيل ما يكفي.

كنت أحاول قراءة تعابير أبي، فهل هو خائب الظنّ بعد الذي اكتشفه؟ انتقل تركيزه وهو يستكشف الصور إلى صورة أكثر إهانةً من الصورتين الأخريين، إنّها صورةٌ لفوريست، أو ما تبقّى من صورة فوريست، كنت قد عتّمتُ عينيه، ورسمتُ قرني الشيطان على رأسه، أعترف: لم تكن صورة أكيو الأولى التي أخربشها، فأنا فقط شاكرةٌ لعدم وجود أعضاءٍ ذكريّةٍ في هذه الصورة، إنها المرحلة التي سبقت اهتمامي بالأقراط التي تشبه القضيب، وهي مرحلة السنة الأولى التي كانت مرحلة الغضب والوحدة من حياتي.

قلت: "ذلك هو فوريست، صديقي السابق".

تأملَ الصورة ومن ثمّ تأمّلني، وقال: "لم نتحدّث من قبل عن الأصدقاء".

"لا يوجد الكثير للحديث عنه".

"الحارس الملكيّ...".

"لقد انتهى الأمر"، بالرغم من أنّني ما زلتُ عالقةً في دوّامة من الضياع بين أن أحبّه وألّا أحبّه، ويا له من تناقض!

تقدّم والدي نحوي، وقال: "ربما هذا أفضل".

سألته بإحباط: "لم تكن ستوافق على علاقتي به؟"

تجعّدت جبهته وهو يعبس، وقال: "موافقتي غير مهمّةٍ، بالرغم من أنّني أتمنّى أن تختاري شخصًا يحبّك مثلما أحبُّ..." أمّك، بالتأكيد كان سيقول أمّك، ثم تابع: "شخصًا أشجع بقليل، وإذا لم يكن هذا الحارس قادرًا على الصمود أمام عاصفة

الصحافة، فربما من الأفضل إنهاء الأمر الآن، إذ يتطلّب مواعدة فردٍ من أفراد العائلة المالكة نوعًا مميزًا من الأشخاص".

"كيف تعرف أنّني لم أتركه؟"

"هربتِ من اليابان، ولديّ بعض الخبرة فيما يتعلّق بالحبّ والهروب منه"، غمز لي وقال: "إذًا خمّنت أنّ القلب المفطور كان سبب مغادرتك".

هذا من بين أمورٍ أخرى، وقد لا يكون غاضبًا منّي لكنّ هذا لا يغيّر الكثير، فكيف في إمكاني التفسير؟ إنّ السبب هو أكيو، ولكن هناك أسباب أخرى متعلّقة بالصحافة أيضًا، وبالتوأم الساطع، وبالعائلة المالكة بأكملها، ففي إمكاني قضاء عمرٍ بأكمله في تعلّم العادات، والتنقّل بين الثقافات، ولكنّني لن أنتمي إليها أبدًا، إنّني ككعكة توينكي صفراء من الخارج وبيضاء من الداخل، على الرغم من أنّني أكره ذلك المصطلح، ولكن أيعني ذلك أنّني أكره نفسي؟ لا، أنا فقط أكره هذا الانقسام.

كرّرتُ وجهة نظر كيتاي: "حتّى لو أرادني فعلًا، فلن ينجح الأمر أبدًا برغم ذلك، أليس هذا صحيحًا؟ إنّه شخصٌ من عامّة الشعب وأنا أميرة؟".

"الحياة مليئةٌ بالاحتمالات يا إيزومي، لكنّ الأمور لا تحدث بشكلٍ سحريّ، والعلاقات عبارةٌ عن جهد مشترك بين الشريكين، فقد كنت خائفًا من ذلك عندما التقيت بأمّك، وكنت مركّزًا للغاية على نفسي وعلى دوري، ولو كنت مخطئًا وكانت علاقتك بهذا الحارس الملكيّ جدّيّة، فعندها..."

قاطعته بقولي: "ليس جدّيًا، أردته أن يكون كذلك، لكنّه لم يشعر بالمشاعر نفسها تجاهي، على ما أعتقد".

قال بينما كان يفكّر بشكلٍ أعمق: "كما توقّعت، أتريدين منّي نقله من المدينة؟ فعدد سكان طوكيو يبلغ تسعة ملايين ونصف، لذا ستكون احتمالات مصادفتك إيّاه ضئيلة، لكن في إمكاني فرض حظرٍ عليه".

ارتفعت زوايا فمي إلى أعلى وقلت: "أحقًّا في إمكانك فعل ذلك؟"

ابتسم قائلًا: "لا، أنا واثقٌ تمامًا من أن هذا انتهاكٌ لكافّة أنواع القوانين، لكنّني سأفعل كلّ ما في استطاعتي لتخفيف ألمك"، ثمّ ارتسمت ابتسامةٌ عريضةٌ على وجه أبي وقال: "عودي إلى اليابان.. إيزومي تشان".

صحوتُ على الفور من حلمي، وقلت: "لا، لا أستطيع"، حتّى عندما اعتقدتُ أنّني كدت أنجح، لم أكن كذلك فعلًا، فكلّ أولئك الأشخاص الذين أرادوا لي الفشل، شهدوا فشلي، وهنالك الكثير ممّا ينبغي لنا أن نعرفه، أكثر ممّا يمكننا معرفته ولو أمضينا عمرًا كاملًا، وما من فائدةٍ تُرجى من السير إلى الأمام عندما يحفر شخصٌ ما حفرةً أمامك مباشرةً.

نظر إلى ساعة يده الذهبيّة، وقال: "حسنًا، سيأتي الحرّاس غدًا، لكنّني سأوضح لهم أنّني سأبقى حتّى حفل تخرّجك، ويبدو أنّ أمامي ثلاثة أيّامٍ لإقناعك".

قلت: "لديك كلّ الحرّيّة في المحاولة"، وابتسمتُ لتخفيف وطأة الأمر، فقد تعلّمتُ درسي، فأنا وبلاد الشمس المشرقة لا ننسجم معًا.

وبرغم ذاك، أنا في غاية السرور لأنّ فردًا من سكّان اليابان برفقتي الآن.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الثالث والثلاثون

اليوم الأوّل:

حطَّتْ وكالة الأسرة المالكة على جبل شاستا، ووصل الحرّاس والسكرتيرات والطهاة والخدم الخاصّون بوليّ العهد، وعُقِد اجتماعٌ خاصٌّ في مطبخنا، وقد استُبعدتُ وأمّي، ونُفِينا إلى ممرّ السيّارات بين عملاء الخدمة السرّيّة والحرّاس الملكيّين والمركبات الدبلوماسيّة، وهي سيّاراتٌ خاصّةٌ مصمّمةٌ للزوّار الأجانب، فانسلّت أصواتٌ محتدّةٌ من النوافذ إلى الخارج، وأخيرًا صفق أبي الباب وهو خارج من المنزل.

قالت أمي: "هيرو؟"

أمسكتُ برباط تماغوشي بينما كان يحفر في الممرّ المفروش بالحصى.

هدأ تجهمُ أبي، قال: "لا بأس، كنا فقط نسوّي بعض التفاصيل، كان علينا إلغاء بعض الاجتماعات وتحديد موعدٍ آخر لها، وهنالك بعض الأخبار المؤسفة حيث يبدو أنّه لا يمكن تأمين الفندق...". قالها وهو يحكّ مؤخّرة رأسه.

إنّني متأكّدةٌ تمامًا أنّني سمعت أحد الحرّاس وهو يقول العكس، فقد تحسّنت لغتي اليابانيّة أكثر ممّا توقّعت.

قالت أمي: "حسنًا، أنت أكثر من مرحّبٍ بك للبقاء هنا، ولكن أخشى أنّني لا أملك غرفًا تكفي لجميع طاقمك، لكن ربما جونز..."

قال أبي وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة النصر: "شكرًا لكِ على عرضك استضافتي، وسينصب الحرّاس خيمًا إذا اقتضى الأمر"، يا له من تسلّل! تفرّق الحراس خارج المنزل، وهم يرتدون البدلات البحريّة السوداء، ويحملون

الحقائب وكلّ ما أحضروه معهم، وأردف قائلًا: "والآن، إنّني متحمسٌ للتعرّف إلى جبل شاستا"، ومدّ يده ففتح أحد الحرّاس أو على الأرجح أنّه السكرتير الخاصّ به إحدى الحقائب، وازنها بين يديه بشكلٍ لافت قبل أن يُخرج دليل زوّار جبل شاستا، وقال: "ماذا علينا فعله أوّلًا؟" قلّب الأوراق، وأكمل كلامه: "قيادة الدرّاجات؟ التنزّه سيرًا على الأقدام؟ استكشاف وسط المدينة؟".

ابتلعت والدتي لعابها وهي تقول: "أفترض أنّه في إمكاننا التنزّه حتّى بحيرة القلعة؟ وربما نتوقّف عند بيرفال للحصول على بعض حاجات النزهة؟"

برقت عينا أبي، وقال: "يبدو هذا جيّدًا بالنسبة إليّ".

سألت أمّي، وقد قوّست حاجبيها وكأنّها تتحدّاني: "هل أنت موافقةٌ على التنزّه؟".

قلتُ بكلِّ الحماسة التي لا أشعر بها: "بالطبع"، فنظرت أمّي إليّ نظرة شكٍّ، وبدت كأنّها كانت تحاول أن تكتشفني، على الرغم من أنّها تعرف تمامًا أنّ التنزّه ليس هوايتي المفضّلة، وربما لأنّني في آخر مرّةٍ اقترحت عليّ ذلك، قلتُ شيئًا على غرار: أفضّل إعطائي حقنة شرجيّة لغوريلا على التنزّه والسير على الأقدام.

قال أبي: "ممتاز، أريد أن أرى كلّ ما يهمّك"، كان أبي مسرورًا ومتحمّسًا، وفي الحقيقة كنت مثله نوعًا ما.

اليوم الثاني:

مازالت ساقاي تؤلمانني بسبب التنزّه البارحة، فقد ارتكبت خطأً فادحًا بإحضار تماغوشي الذي استسلم في منتصف الطريق، فاضطررت إلى حمله، ويا له من كلبٍ كسول!

حدّق أبي إلى قطعة بسكويت بحجم طبق العشاء موضوعة أمامه، وقال: "هل من المفترض أن نأكل كلّ هذا الشيء؟"

"نعم"، كان مطعم ذا بلاك بير فارغًا تمامًا، باستثناء مجموعة من الأصدقاء القدامى الذين كانوا يلعبون الداما في الخلف، وسائق شاحنةٍ يشرب القهوة ويأكل

فطيرةً وهو يجلس إلى طاولة البار، وكان طاقم النُدُل يرتدون حمّالاتٍ للسراويل وهم يمضون يومهم كالمعتاد، كما لو أنّه لم يكن هنالك عملاء خدمةٍ سرّيّةٍ أو حرسٌ ملكيّون في الحجرات المحيطة بنا وينتشرون في الخارج، وقد ظهر مصوّرو الفضائح لكنّهم تقريبًا كانوا ممنوعين من دخول كلّ المنشآت.

ربما ينفر جبل شاستا الأنظمة الملكيّة، لكن ما ينفر منه أكثر هو انتهاك الخصوصيّة، فالمدينة التي لم أعتقد أنّها أرادتني يومًا، تدعمني اليوم.

بدأ أبي بالتهام قطعة البسكويت بالشوكة والسكّين، فضحكت أمّي واضعةً يدها على فمها وابتسم هو وكأنّهما يتشاركان مزحةً خاصة.

غمّس لقمةً في الزبدة والمربّى الدافئ ثمّ أكلها، وقال: "إنها حلوةٌ جدًّا"، ثم صرَّح قائلًا: "لقد أعجبتني"، وطلب البسكويت للجميع، على حسابه.

بعد أن التهمنا البسكويت، والفطائر المحلّاة اللذيذة، والسجق المشبّع بالدهون، مسح أبي فمه، وسألني: "أهذا هو المكان الذي تأتين إليه برفقة أصدقائك؟"

أجبته وأنا ألهو بالقائمة المطبوعة: "نعم".

وقف أحد الحرّاس، وانحنى لأبي، فقال له وهو يغادر الطاولة: "المعذرة، دقيقةً واحدةً فقط".

داست أمي بقدمها على قدمي، وقالت لي بلهجة اتّهام: "أنت تتصرّفين بغرابةٍ".

أجبتها: "لا، لست كذلك، أنت التي تتصرّفين بغرابة، أعني أنّ القلوب تحلّق فوق رأسك حرفيًّا".

وضعت أمي منديلها المكوّر على الطاولة بحذر، وأمسكت رأسها بيديها، وقالت: "أنت محقّة، فيمَ أفكّر؟"

عجبًا، لقد اشتركت وصديقاتي بحساب عبر موقع تويتر يسمّى (هل أنا حقير؟)، حيث يكتب الناس نصوصًا يسألون من خلالها الرأي العام أسئلة مثل: هل أنا حقيرةٌ

لطلبي من إشبينتي أن تخسر عشرين باوندًا قبل حفل زفافي؟ هل أنا حقير لأنّني طلبت من زوجتي اختيار أبوّة؟ لست بحاجةٍ إلى هذا الآن، فأنا حقيرةٌ كليًّا، قلت: "أنا آسفة، أنتِ لا تتصرّفين وكأنّك حمقاء متيّمةٌ بالحبّ"، عبست في وجهي، غير مصدّقةٍ، فقلت: "حسنًا، أنتِ كذلك، نوعًا ما، لكنّه يبادلك الشعور أيضًا، إنّ تصرّفي يثير الاشمئزاز، وأنا أكره ذلك"، صحيح أنّني قلت هذا ولكن ما من حرارة في كلامي.

"بعد كلّ هذه السنوات... لم أعتقد أبدًا أنّه قد يكون هنالك فرصةٌ لنا، لكن إن لم تريدي..."

مددت يدي وربتُّ على يدها، فأمّي تبالغ في بعض الأحيان، قلت: "لا بأس، لديك موافقتي، ولكن كما تعلمين عليك أن تحاولي أن تقفلي الأبواب عند الحاجة، أو أن تعلّقي جوربًا على مقبض الباب".

قالت: "إيزومي"، استرجعت أمّي مزاجها الحسن، بينما كان أبي ينهي محادثته.

رفعتُ يديَّ وقلت: "أنا فقط لا أريد أن أواجه أيّ موقف قد يترك في داخلي جرحًا نازفًا مدى الحياة".

فزمَّت شفتيها، وقالت: "أعتقد أنّ علينا مناقشة عدم رغبتك في العودة معه".

خلال النزهة طلب أبي منّي العودة إلى اليابان من جديد، فتملّصتُ من السؤال، مشيرةً إلى شجرة عرعر مثيرةٍ للاهتمام.

قلت لها: "أنا متأكدةٌ من أنّني لا أعلم ماذا تعنين"، ووجدتُ على الجدار بقعة مياه جذبتني فجأة إليها.

انتظرَت حتى نظرتُ إليها، وقالت: "عزيزتي، عليك السماح له بالدخول إلى قلبك".

"هل نستطيع فقط أن نستمتع بتناول الغداء وبقضاء وقتنا معًا بينما هو برفقتنا؟"

تجهمَت، وقالت: "أهذا لأنّك تعتقدين أنّه لن يحبّ ما سيسمعه؟ لا ينحصر دورك في أن تبدين محبّبة".

عاد أبي، وسأل: "ما الذي فاتني؟" فاختفت ابتسامته بسبب التوتّر السائد بيننا.

طوت أمّي ذراعيها، وصبّت غضبها على أبي، وقالت: "قرونٌ من الضغط على النساء ليصبحن مقبولاتٍ ويمتثلن للتوقّعات العاطفيّة غير الواقعيّة".

عبس أبي قائلًا: "هذا ليس عدلًا".

تنهّدت أمي قائلةً: "أتقول لي ذلك؟"، استقرّ فكاها، وكنتُ متأكّدةٌ من أنّها كانت ترى أحلام يقظةٍ حول التمرّد، والإطاحة بالنظام الذكوريّ.

كما تعلمون، تلك الأمور الصغيرة.

أشرتُ إلى النادلة: الحساب لو سمحتِ.

اليوم الثالث:

في فترة بعد الظهيرة أتت كلٌّ من غلوري، وهانساني، ونورا لمقابلة أبي بشكلٍ رسميّ، ورغم كلّ ما قيل وحدث، سار التعارف على ما يرام، وبالرغم من انحناءات الاحترام التي قدّمتها هانساني، بدا منبهرًا عندما علم أن نورا سترتاد جامعة كولومبيا في العام المقبل، فبقيتُ صامتةً، إذ تبدو جامعة الولاية التي أرتادها أدنى وأقلّ سحرًا. وبعد ذلك، عرضت أمّي صندوق السماد على أبي، فوجّهت ملاحظةً لنفسي: أعطِ أمّكِ نصائح حول الرومانسيّة.

سألت نورا، مشيرةً بإصبعها إلى حافة النافذة: "أتعتقدين أنّنا لو قلنا إنّنا بحاجةٍ إلى بعض الخشب المقطّع، فسيفعل ذلك؟" نحن الآن نتجسّس عليهما، وقد حشرنا نحن الأربع أنفسنا معًا بين الستائر، فتبيّن أنّهما احتكّا ببعضهما ما لا يقلّ عن ثلاث مراتٍ، ثمّ أشارت إلى شيءٍ ما فأومأ هو برأسه.

علّقت غلوري: "ربما يريد خلع قميصه، فالجوّ في الخارج دافئٌ إلى حدٍّ كبير".

قلت لهنّ: "توقّفن عن النظر إلى أبي بهذه الطريقة السطحيّة"، وبقيت هانساني صامتةً كالمعتاد، لكنّها مذنبةٌ بالمشاركة معنا، ثمّ اقتربت أمّي وأبي من كومة السماد، وكان الذباب يئزّ حولها، فقلت: "لا تدخلي يدكِ فيها، لا تدخلي يدكِ فيها، رجاءً لا تدخلي يدكِ فيها".

قالت غلوري: "مقرف".

قالت هانساني: "أدخلت يدها بالكامل فيها".

نعم، قبضة أمّي مليئة بالسماد العضويّ وهي تعرضه على والدي، ومن حسن الحظّ، يبدو والدي مهتمًّا بذلك. كان يرتدي ملابس أقلّ رسمية اليوم، سروالًا قماشيًّا واسعًا وقميصًا من ماركة بولو، فرمت أمّي السماد إلى الكومة مجدّدًا ومسحت راحتي يديها بسروالها الجينز: "ستريه علبة الديدان بعدها، ولا أستطيع مشاهدة ذلك"، فغطّيت عينيّ وابتعدت عن النافذة.

وابتعدت بعدي نورا وهانساني، ولكنّ غلوري بقيت تراقب: "إنّها عند علبة الديدان، ألا تريدين أن تعلمي ما الذي تفعله الآن؟".

قالت لي نورا: "هل ما زلنا على اتّفاقنا بشأن ليلة حضور الفيلم؟"

"نعم". طلب والدي من أمّي الخروج معًا لتناول العشاء، وقد ظنّت أنّ تناول الطعام الهنديّ سيكون فكرة رائعة، ولكنّني وجّهتها بعيدًا عنها، إذ يمكنها أن تدفع ثمن الطعام الهنديّ لاحقًا، هل تعلمون ما أقصده؟ وحجزت لهما طاولةً لشخصين في المطعم الإيطاليّ المحلّيّ.

"أرادت هانساني مشاهدة فيلم (ذا بوديغارد) ولكنّني أخبرتها بأنّ مشاهدة الفيلم مبكرة جدًّا".

شعرت هانساني بالإهانة: "لم أرد ذلك".

ضحكت نورا بسخرية.

سقطتُ مجدّدًا على سريري، وقلت: "أرجوكم، لا أريد أفلامًا رومنسيّة، ولا أريد أفلامًا فيها أميرات أيضًا".

"ما رأيكم في مشاهدة حلقات متتالية من مسلسل ما؟ مسلسل (سكيتس كريك) مثلًا؟"

قلت: "إنّه سعيد أكثر من اللازم".

ابتعدت غلوري عن النافذة: "سنشاهد فيلم رعب".

قلت: "نعم، من المفضّل أن نشاهد شيئًا يُقتل فيه الشابّ اللطيف مبكرًا".

الفصل الرابع والثلاثون

جاء يوم التخرّج فجأة، ومرّ اليوم بطريقة ضبابيّة، أعدّ المسرح والكراسي في منتصف ملعب كرة القدم في مدرسة جبل ساشتا الثانويّة، ورفرفت العباءات الزرقاء بفعل النسيم اللطيف، وكانت نورا قد ألقت خطاب التفوّق، وعندما توجّهت إلى المنصّة لأتسلّم شهادتي، كانت الهتافات صاخبة أكثر وكانت معظمها من صديقاتي والحرّاس الملكيّين الذين طلب منهم والدي أن يرتدوا ملابس غير رسميّة من أجل هذه المناسبة، فاندمجوا تمامًا في جوّ الحفل رغم سراويلهم الرسمية وقمصانهم الموضوعة تحتها وسمّاعات آذانهم، ولكنّهم اندمجوا تمامًا!

بعدها، أقام جونز وليمة قدّم خلالها أطعمة غير معدّلة جينيًّا ونباتيّة تمامًا، فأُعدّت مائدة هائلة على طاولة خشبيّة تحت حبال الأضواء، وكانت الكراسي غير متناسقة وموزّعة حول الفناء بالإضافة إلى كنبة غريبة، وكانت الشمس تغرب والسماء مزيّنة باللونين الزهريّ والأحمر، والجوّ بهيج، وكانت نورا وهانساني وغلوري برفقة عائلاتهنّ، ولكنّهنّ سيأتين قريبًا، ولكنّ الصحبة كانت جيّدة، فمجموعة أصدقاء جونز وزملاء أمّي في العمل وأشخاص من وكالة العائلة المالكة والحرّاس بدوا جميعًا متآلفين، وقد انبعثت من مكبّر صوت خارجيّ أغنية (ذا غريتفول ديد).

جهّزت لنفسي طبقًا من الأرزّ البنّيّ والخضار وتجوّلت في الغابة، وأنا لا أزال أرتدي ثوب التخرّج الأزرق المثير للحكّة، فجلست على جذع شجرة مستمتعة بالهدوء لعدّة لحظات، وانا أفكّر في أن أبي سيغادر قريبًا.

سمعت صوت تكسّر الأغصان تحت أقدام شخص ما، وسأل جونز: "هل تمانعين أن أنضمّ إليك؟" كان يحمل صحنًا في يده ويرتدي بذلة بلون بنّيّ ذات

قماش مضلّع، ويضع ربطة عنق خمريّة، وينتعل حذاء من نوع بيركينستوكس، فكان يبدو مظهره مريعًا، مريعًا حقًّا.

تنحّيت جانبًا: "بالطبع".

تجسّست على أمّي وأبي من بين الأشجار، فكانا يقفان على الطرف الآخر من الفناء وهما يتحدّثان بحماسة وينحنيان باتّجاه بعضهما كأنّهما جزئي مغناطيس يتوقان إلى الاندماج - كم تصعب منافسة أمير!- ومن المؤكّد أنّه مكتئب، ويكاد يبكي وهو يحمل طبق الخضار الذي جهّزه.

"هل هذا هو سبب ارتدائك للبذلة الرسمية؟"

"نعم"، ووضع صحنه ونزع ربطة العنق وقال: "أكره هذه الأشياء اللعينة، فهي لا تمثّلني، وتشعرني بأنّني شخص آخر"، وانزلقت الربطة من حول عنقه، فرماها على الأرض، ثمّ فكّ أوّل زرين من قميصه: "عليك أن تستجمعي قواك، أتعلمين هذا؟ أنا سعيد لأنّني لم أحلق لحيتي"، ولمس فكّه براحة يده التي مرّرها على لحيته العظيمة.

ارتفع حاجباي: "أعتقد هذا".

"هل أحببت العشاء؟"

رفعت طبقي: "إنّه لذيذ"، وضعته على حجري وتمنّيت أن أكون وحيدة مجدّدًا: "شكرًا لك على تحضير هذه الوليمة".

ربّت على ظهري: "أنت طفلة جيّدة يا إيزي".

أنهى أبي وأمّي حديثهما في الفناء، فوقع نظرهما علينا، قال أبي وهو يمدّ يده: "مرحبًا يا سيّد جونز، شكرًا لك لاستضافتك كلّ هؤلاء الضيوف، وإن زرت اليابان يومًا، فنحن نرحّب بقدومك إلى القصر".

وقف جونز وأمسك بيد والدي وهزّها بقوّة محاولًا منافسته: "نادِني باسم جونز فقط، ولا تستخدم اسم العائلة، وشكرًا لك على دعوتك، ولكنّني أرفض بشدّة الدساتير الملكيّة، فهي تتعارض مع قيم المساواة الأساسيّة التي أتبنّاها".

فقال والدي بارتباك: "بالطبع، أحترم رأيك".

قال جونز لأمّي: "إن احتجت أيّ شيء يا هاناكو، فتعلمين أين تجدينني".

وكنت التالية، فانحنى جونز وعصر أنفي بين إبهامه وسبابته، وقال: "وداعًا".

فربّتّ على كتفه ليرحل، إنّه غريب ولكنّه ينتمي إلينا، ولا خيار لدينا سوى الاحتفاظ بصداقته على ما أعتقد.

ثمّ رحل وهو يدعس على أعواد الصنوبر، ويصرخ على أحد أصدقائه ليوقف قرع الطبول، ربما من الجيّد أن يرحل أبي، فها قد أوقف جونز الطبول بدايةً ومن ثمّ سيغيّر ملابسه.

قال أبي: "جارك مثير للاهتمام".

قالت أمّي: "يعتاد المرء عليه، فهو طيّب القلب ونيّته صافية".

قال بسلام: "يجب أن أرحل قريبًا يا إيزومي، ألا ترغبين في نزهة أخيرة؟" وكان الخدم يقتربون منّا مسبقًا، والحرّاس يتحدّثون وهم جاهزون ليتحرّكوا.

وقفت تاركةً طبقي بالقرب من ربطة عنق جونز: "بالطبع"، وتركتنا أمّي ولكنّها ظلّت قريبة.

مشيت أنا ووالدي حول الغابة بخطوات متعرّجة: "هل أنت جاهز للعودة إلى المنزل؟"

قال عابسًا: "أشتاق إلى سريري"، الفِراش الذي ينام عليه قديم ويغطّيه الغبار: "ولكن لا، أتمنّى لو أنّك كنت قادمة معي"، إنّه الاسترحام الأخير، والسؤال بادٍ في عينيه، هلّا أعدت التفكير.

رفرف ثوبي في الهواء، وتكوّرت يداي وأصبحت قبضتاي مشدودتين، وازداد ألم معدتي، وأنا أقول: "لا أستطيع"، فإمضاء الصيف مع صديقاتي والتسجيل في جامعة سيسكسوس هذا الخريف أمران مهمّان وحتميّا الحدوث.

"هل هناك من شيء لم تخبريني به؟ هل هناك من شيء قد حدث هناك؟ لا أفهم لماذا أنت عنيدة هكذا، هذا ليس من طباعك"، كان صوته حادًّا ويرهقه الإحباط.

انفجر شيء في داخلي، فتحطّمت السدود وتدفقّت السيول الجارفة التي فاضت في كلّ جوارحي، لا أستطيع أن أقاوم: "أنا..." صوتي يرتجف وأنا أقول: "أنت حتّى لا تعرفني"، وكانت نظراتي قاسية وحادّة وفيها تصميم وإصرار، ولا أعرف ما الذي أفعله وما الذي أقوله، ولكنّني تابعت: "لا أحافظ على غرفتي نظيفة، وأمّي تجبرني على أن أنظّف الملابس، ودرجاتي المدرسيّة متوسّطة في أفضل الأحوال، وإذا قدّمت أوراقي إلى الجامعة في كولومبيا أو هارفرد، فستسمع ضحك الناس ساخرين منّي في كلّ أنحاء العالم. أمّا أهدافي التي كانت تسيطر على عقلي السنة الماضية فهي أن آكل أشياء عليها المزيد من الإضافات الحلوة الملوّنة المرشوشة، وأقرأ في الغالب الروايات الرومنسيّة، وألحق بها روايات خياليّة كتلك التي يقرأها طلّاب المرحلة الإعداديّة. أحبّ أصدقائي ولكنّنا نفعل أشياء غبيّة كأن نرى ما إن كنّا نتّسع داخل الثلاجة، أو شراء حبّة عنب واحدة من عند البقّال، أو التظاهر بأنّ الأرض مغطّاة بكاملها بالحمم البركانيّة خلال يوم السبت".

رمشت عيناه: "حمم بركانيّة؟"

"عندما تتظاهر بأنّ الأرض هي حمم بركانيّة حارقة، وأنّك لا تستطيع لمسها وإلّا ذبت، إنّها لعبة غبيّة". ولكنّها ممتعة، فنظرت إليه وقلت: "ألم تلعبها أبدًا عندما كنت صغيرًا؟"

"لم يكن لديّ الكثير من الأصدقاء، فقد لعبت لعبة (غو) مع أخي"، صحيح، لعبة (غو) هي لعبة لوحيّة استراتيجيّة محضة.

قال بقوّة وحزم: "أنت ابنتي، وتنتمين إليّ"، ثمّ زفر ببطء وتأمّل الأشجار والطيور: "أريد أن أقول لك ألّا تقلقي بشأن ما يقوله أيّ شخص آخر، ولكنّ فعل هذا أصعب بكثير من قوله، ولأخبرك بالحقيقة، لن يهجرك القلق أبدًا، وستخفقين وستكتب الجرائد التقارير عن ذلك، ولن تشعري أنّ حياتك ملكك في بعض الأحيان، هذه هي الحياة بالنسبة إلى شخص ينتمي إلى العائلة الملكيّة، وهذا هو الحمل الذي سيتعيّن علينا حمله يا إيزومي شان"، ثمّ قال بصوت أرقّ وعيناه

تحدّقان إليّ: "عودي إلى اليابان، فلنواجه ذلك معًا، فلا شيء لا يمكن التغلّب عليه".

حاولت أن أقول نعم، ولكنّ هذه الكلمة كانت أشبه بجدار شاهق ولا أستطيع تسلّقه.

تنهّد وقال: "لن أضغط عليك بعد الآن"، يا إلهي، لم أشعر بشعور حقيقيّ كهذا في حياتي، الألم يعتصر معدتي ويقطّع جزءًا منها: "لقد دعوت والدتك إلى اليابان ورفضت أيضًا".

نقّلت ثقلي بين قدميّ، وحدّقت إلى وجهه: "نرحّب بمجيئك إلى هنا في أيّ وقت، وسنستضيفك بكلّ تأكيد، وأنا آسفة لذلك".

قال ببساطة: "لا تأسفي، هلّا وعدتني فقط ألّا تخرجيني من حياتك".

قلت: "أعدك"، ثمّ انتظرت لبرهة، ربما ليس كلّ شيء مثاليًّا، ولكنّ العلاقة بيني وبين أبي بخير، فنظّفت أنفي، وقلت برقّة: "هل تعتقد أنّ علينا أن نتعانق؟"

"أعتقد أنّه لو كانت هناك لحظة تناسب احتضان أحد الشخصين للآخر، فستكون هذه اللحظة". فتح ذراعيه، وانزلقت بينهما، وقال ووجهه مغطّى بخصلات شعري: "تحبّين قطع الحلوى الصغيرة المخصّصة للرشّ، أليس كذلك؟"

"نعم، إنّها تحسّن فعلًا من طعم كلّ ما تأكله، وتجعل كلّ شيء ممتعًا أكثر"، ثمّ ابتعدنا عن بعضنا.

قال والدي: "هذا منطقيّ بالنسبة إليّ". أومأ برأسه وأضاف: "يا ابنتي".

أومأت برأسي أنا الأخرى: "أبي".

الفصل الخامس والثلاثون

مشيت مع أمي لنوصل أبي إلى سيّارته، فبدا الأمر وكأنّ ثلاثتنا كنا نحاول إبطاء الوقت، فلا أريد لهذا أن ينتهي، ولطالما شعرت بأنّ وجودي وأمّي معًا يكفي، ولكنّ فكرة عودتنا إلى وجودنا كثنائيّ الآن تبعث في نفسي الألم والشعور بالوحدة القاتلة، وصلنا إلى نهاية ممرّ السيّارات بسرعة، وكان الحارس يفتح باب السيّارة السوداء.

فقال أبي: "سأراك في نهاية شهر آب إذًا، وهذا بعد أقلّ من تسعين يومًا".

قلت: إنّهم تسعون يومًا".

احتضنني وهمس لي: "أنا فخور بك"، فكدت أختنق.

ثمّ ركّز اهتمامه على أمّي، ولمس خدها وانحنى ليقبّله، فغضضت بصري عن اللحظة الحميمة: "أراكِ المرّة القادمة"، هناك نوع من الوعد في نبرة صوته.

نظر إلينا نظرة أخيرة، وأومأ برأسه إيماءة وحيدة، ثمّ استقلّ السيّارة، فصُفق الباب خلفه، وبدأت المحرّكات بالهدير، فراقبنا انطلاق موكبه حتى اختفت آثار الضوء الأحمر بعد اجتياز الطريق في آخر الشارع.

بحثت يدي عن يد أمي: "حسنًا، انتهى الأمر"، شيء يبدو عالقًا في حلقي، أهو الحزن أم الندم أم الارتباك؟ أنا أستوعب اللحظات العشرين الأخيرة ببطء، أستوعب كلّ كلماته، أنت تنتمين إليّ.

قالت أمي: "ها قد ذهب".

قلت لها: "سيعود قريبًا".

"نعم، سيعود قبل مضي وقت طويل"، لست واثقة من أنّها كانت تطمئنني أم تطمئن نفسها.

سألت بشكل عفويّ: "لماذا قد أذهب إلى اليابان؟".

قالت بندم: "من أجل الحبّ".

"ما الذي أريد إثباته؟"، وماذا إن لم يتقبّلوني أبدًا؟ أنا أتقبّل نفسي، والدموع على خدّيّ باردة، وأنا أبكي بحرقة، ولكنّني سعيدة وحزينة في الوقت نفسه، فالحقيقة حادّة كما الشفرات، وكلّ شيء شفّاف، أمامي متجلٍّ وواضح ومشرق كما شروق الشمس، فليس لدي نصف أميركيّ ولا نصف يابانيّ، أنا شخص كامل، ولا يحقّ لأحد أن يقول لي إنّني لست يابانيّة بما يكفي أو أنّني أميركيّة أكثر من اللازم.

صرخت: "أمّي؟".

"نعم يا عزيزتي؟" لا تزال تراقب الطريق وهي نادمة لضياع فرصتها الثانية والسماح لها بأن ترحل بعيدًا.

"أعتقد أنّني اتّخذت الخيار الخاطئ"، فجذب كلامي اهتمامها.

قالت: "أعتقد أنّني اتّخذت الخيار الخاطئ أيضًا".

ضحكت ثم عبست.

لم نحزم حقائبنا، وبالكاد كان لدينا الوقت الكافي لنعرف أين سنُبقي تماغوشي، فوافق جونز على الاهتمام به، ولكنّه رفض أن يضع له طوقًا، فأتت نورا خلال هذه الفوضى.

أمسكتها بقوّة قائلةً: "علينا أن نلحق بوالدي".

هزّت بمفاتيحها قائلةً: "أخيرًا، كنت أنتظر هذا القرار طيلة حياتي".

ثمّ أصبحنا في سيّارة نورا، فأسرعت في القيادة حتى نهاية الطريق، ثمّ دخلنا جادة جبل شاستا، وظلّت تنعطف يمينًا ويسارًا لتتجاوز السيّارات وسط ازدحام السير.

قالت أمّي: "ما الذي نفعله؟ هذا جنونيّ، يا إلهي يا نورا، لو عرفت أنّك مريعة في القيادة إلى هذه الدرجة لما سمحت لإيزومي بأن تركب السيّارة معك، الأنوار الأماميّة، أرجوك شغّلي الأنوار الأماميّة". الظلام يحلّ، فضحكت نورا،

وأضاءت المصابيح الأماميّة للسيّارة، فأطلقت إحدى السيّارات بوقها وهي تتجاوزها.

غبتُ عن الوعي نوعًا ما ولم أدرِ ما حصل بعد ذلك، فكنّا قفزنا من النقطة أ إلى النقطة ب إلى أن انتهى بنا الأمر إلى تخفيف نورا سرعتها فجأة، فقد لحقنا بالموكب الملكيّ، وقد بانت الأعلام اليابانيّة التي ترفرف على سيّارات الموكب، فتسارعت نبضات قلبي فأبي هنا، في السيّارة التي في الوسط.

مددت يدي إلى البوق وأطلقته، توووت، تووووت، فانعكست أضواء زرقاء وحمراء على مرآة الرؤية الخلفيّة.

قالت أمي: "توقّفي يا نورا، لن نكسر المزيد من القوانين".

قالت نورا وهي تناور السيّارة التي بجانبنا: "إنّهم قريبون جدًا"، نحن على بعد عدّة سيّارات عنهم فقط، لقد أبطأوا بسبب الضجيج المضطرب، فلم أنتظر حتّى تتوقّف نورا تمامًا، بل خرجت من السيّارة وبدأت بالركض، واليأس يدفع بخطواتي إلى الأمام، ويداي ممدودتان أمامي، وصرخت: "انتظروا"، فتشنّجت عضلات قدميّ وعجزت عن متابعة الركض، وأقسم إنّني إن استطعت الوصول إلى القصر، فسأبدأ بنظام تدرّب جديد على الركض، وتطاير روب التخرّج وطار شعري خلفي، وفجأة توقّف الموكب الملكيّ، ثمّ انفتح الباب، وخرج منه أبي: "إيزومي تشان".

وقفت أمامه، ووضعت يديّ على ركبتي، وقد مرّ بنا سيل من السيارات: "لا أستطيع التنفّس".

صاح باللغة اليابانيّة، فجُلب له قارورة ماء: "ما الذي يجري؟"، ساعدني على الوقوف: "هاناكو؟" وقد توجّه اهتمامه إلى أمّي التي كانت تتوجّه نحونا.

قالت وهي ترفع خصلة من شعرها إلى وراء أذنها: "هذا دراميّ أكثر بقليل ممّا تخيّلت".

أشرت بيدي إليّ وإلى أمي بطريقة مجنونة وقلت وأنا آخذ أنفاسًا عملاقة: "نحن... نريد أن نرافقك إلى اليابان".

"حقًّا؟" أصبح كلّ شيء يستحقّ هذه المعاناة، ويستحقّ خرق قوانين السرعة، ويستحقّ الازدحام الذي نسبّبه، كما يستحقّ أن أكون على وشك السقوط على مؤخّرتي بسبب الإرهاق، لأنّ رؤية وجه أبي يشرق فرحًا يستحقّ المرور بكلّ هذه المعاناة.

"هل هناك متّسع لشخصين إضافيين؟"، أمي خجلة بعض الشيء، لأنّنا أحدثنا جلبةً حقًّا، وكان الحرّاس الملكيّون يمنعون شرطة جبل شاستا من الاقتراب، وقد تجنّبنا بصعوبة مواجهة حادثة دوليّة.

لا يبدو أنّ أبي يكترث لهذا، قال: "دائمًا هناك متّسع، دائمًا".

قرّرنا العودة إلى المنزل لنحزم بعض الأمتعة، ولنقفل الأبواب ولنتأكّد من أنّ نورا لم تحصل على مخالفة أو عقوبة بالسجن، وقد عاد أبي معنا بعد أن أخّر رحلته.

استقللنا الطائرة من مطار ريدينغ، وهو مطار محلّيّ صغير قريب، وفي الداخل، كان هناك مقاعد جلديّة بيضاء وإضاءة تبعث جوًّا دافئًا وأغطية للطاولات عليها أزهار مشرقة منسّقة بعناية، وجلس حرّاس الأبواب في الأمام بينما جلس الحرّاس الملكيّون في الخلف وعائلتنا الصغيرة في الوسط.

قال أبي بينما طارت الطائرة: "كان في إمكانكما أن تتّصلا وحسب".

كانت أمّي تحدّق إلى خارج النافذة، وقد جلست إلى جانبه ولم تقل الكثير، وكانت في حالة من الصدمة على ما أعتقد، فليست واثقة ممّا يغوص في أعماقها، إنّها تخاطر بكلّ شيء من أجل الحبّ، وتخاطر بكلّ شيء سواء أنجح الأمر أم لا، وسنرى، فمن المؤكد أن قصّة حبّي لم تنجح، ولكنّني أحمل آمالًا كبيرة لهما، فأنا رومنسيّة جدًّا.

بمجرّد أن وصلنا إلى ارتفاع عشرة آلاف قدم، وتجاوزنا الارتفاع المطلوب اجتمع حرّاس الغرف، فهناك الكثير من اللغط حول الوضع الحاليّ، فتقرّر أن تدخل والدتي إلى القصر خلسة وأن تبقى زيارتها سرّيّة، فكان هذا ما تريده. وأنا

الشخص التالي في مخطّطهم، فما سيتّخذونه بشأني مهمّ جدًّا، فكيف سيلمّعون صورتي من جديد، ويعيدون تنظيم ما أحدثته من فوضى؟ فلا تزال الصحف الصفراء مستمرّة بكتابة مقالات تتناول قصّة علاقتي اللاشرعيّة، وفي ظلّ غياب الموادّ الجديدة، بدأوا يختلقون كلّ أنواع القصص المزيّفة، مثل: الأميرة إيزومي حبلى بثمرة حبّها من الحارس الشخصيّ، ووليّ العهد أرسل ابنته بعيدًا بسبب إخفائها الوشوم.

لدى الحرّاس الكثير من الأفكار، ومنها إجراء مؤتمر صحفيّ مع وليّ العهد؟ أو إغلاق مكاتب الصحافة كلّها؟ أو إنكار كلّ شيء والقيام بمعالجة أمر الصور.

"هلّا سمحتم لي بالحديث"، تنحنحت لأُسمع ما يخطّطون له، وقلبي يرفرف من الحماسة، وقاطعتهم قائلة: "سأقترح عليكم خطّة، وأودّ عرضها أمامكم".

تطلّب مني الأمر بعض الإقناع، وكان أبي أكبر مشجّع لي، فرُسمت الخطّة، وهذا كلّه بفضل إيزومي الجديدة، فتنفّست الصعداء وحدّقت إلى السماء الداكنة، فهذه القوّة التي امتلكتها خطرة بعض الشيء، ولكنّني كنت لا أزال أبتسم عندما هبطنا في مطار اليابان.

الفصل السادس والثلاثون

بقي قصر توغو تمامًا كما كان، وعادت ماريكو فشعرت وكأنّني لم أغادر أبدًا، هذا هو شعور أن تكون في المنزل، وأن يكون لديك صداقات، وأن يمكنك أن تغادر لبعض الوقت ولكن ستظلّ مرساتك دائمًا في مكانها، وستدفعك الأمواج إلى العودة. يا إلهي! أنا في نعمة كبيرة، لأنّ لديّ مكانين أسمّيهما موطني، جبل شاستا وطوكيو، وكلاهما أصبحا جزءًا منّي، ولم يعودا مجرّد قطعتين منفصلتين بعد الآن، بل قد أوثقا معًا بإحكام، فتشابكا واتّحدا معًا.

بعد ثمانٍ وأربعين ساعة من وصولنا، كنت أجلس في غرفة الجلوس بحضور أبي، أمّا أمي فكانت تقوم بنزهة، إذ لا نريد لزوّارنا أن يروها. وقد بدت الغرفة كخليّة النحل، ويرتدي الحرّاس أفضل بذلاتهم ولكنّهم يشعرون بدرجات مختلفة من القلق، ويدخل الموظّفون الملكيّون ويخرجون بسرعة وهم يقدّمون المقبّلات، وكان حارسي الجديد موجودًا أيضًا، وهو رجل بفكّ عريض ويميل إلى وضع النظّارة داخل المنزل، كما أنّه يبدو غاضبًا باستمرار، وهناك وفد من الصحافة أيضًا، والصحفيّة يوي ساتو ومصوّرها، ويوي هي المديرة التنفيذيّة لمجلّة (نساء الآن!)، فهي مجلّة نسائيّة ولها انتشار مقبول نسبيًّا، ولكنّها معروفة بأنّها تقدّميّة في قضايا المرأة، وهذه هي فكرتي، فهناك مثل يقول: انضمّ إلى ما لا يمكنك قهره، وأن تُجرى مقابلة مع أحد أفراد الأسرة الملكيّة من قبل صحفيّ خارج نخبة نادي الصحافة الملكيّة أمر غير مسبوق، فقد جاءني السيّد فوتشيجامي مع مجموعة مختارة من المجلّات المختصّة بالنساء لأختار من بينها، وقد وقع الاختيار على هذه المجلّة.

وضعت ماريكو اللمسة الأخيرة من مُورّد الخدّين على وجنتيّ، وعلى الرغم من أنّ المقابلة ستنشر مكتوبة ولكنها ستُرفق بالصور، فالتقط المصوّر عدّة صور تحضيريّة، وقد اتفقنا على أنّ كلّ الصور ستتمّ الموافقة عليها من قبل البلاط، وستوفّر لنا فرصة مراجعة المقال ولكن ليس من أجل قبوله أو رفضه، وأيًّا كان ما يطلبه القيّمون على مجلة (نساء الآن) فسينفّذ. قالت ماريكو وهي تعضّ على شفتها السفلى: "هل أنت واثقة من أنّ هذا ما تريدين ارتداءه؟"، هذه هي رابع مرّة تعلّق فيها على اختياري ملابسي.

مسّدت بيدي تنّورتي الزرقاء، وتحقّقت من أزرار اللؤلؤ على سترتي، التي أرتدي تحتها قميصًا كُتب عليه (ثُوري لا تصومي)، إلّا أنّه من الصعب رؤية الكتابة، فلا بأس، إذ يكفي أن أعرف أنّها مطبوعة على قميصي.

انحنت يوي: "شكرًا على هذا الشرف يا سيّدتي".

هززت برأسي، ومددت يدي لأصافحها، فمرّت لحظة قبل أن تمسك بها، فكانت قبضتها قويّة وتدلّ على ثقتها بنفسها، ما جعلني أشكّ في قدرتي، وبالطبع أشكّك في خياري، كما سأشكّك في صحّتي العقليّة، فما الذي أفعله؟ ما الذي ورّطت نفسي فيه؟ وبدلًا من أن أدفع خوفي بعيدًا، سمحت له بالتغلغل في أعماقي، وبالتجول فيها، ولكن تبدّدت كلّ مخاوفي وفاح ما في داخلي من عزم، وسأبرهن أنّ لا خطر عليّ ما دمت أقول الحقيقة.

جلست يوي على الكنبة، وناولتها المساعدة دفتر الملاحظات، ولم أكن قد رأيت أيًّا من الأسئلة مسبقًا، وكذلك السيّد فوتشيجامي، وقد ابتعدت ماريكو، إذ لن يكون هناك مقاطعة عندما نبدأ بالمقابلة، وهذا متّفق عليه مسبقًا أيضًا، وسأكون وحدي في النصف الأوّل منها، وسينضمّ إلينا أبي في النصف الثاني.

رفع المصوّر الكاميرا، فرسمت ابتسامة مصطنعة على وجهي، ولكن كانت ملامحي تبدي القوّة، فقد منحني الله ثقة شخص يُجري محادثة كاملة عبر مكبّرات الصوت على الملأ.

سألتني يوي: "أجاهزة؟"، وكانت عيناها متلهّفتين وتظهران الفطنة، ومن الواضح أنّها لن ترأف بي، ولا أريدها أن تفعل ذلك، فأنا مستعدّة للأمر، وجاهزة لأن أُرى الأمور بطريقتي الخاصّة، فأنا جئت من مرج جبل شاستا، وتجاوزت طريق الأميرات، وسرت في دربٍ حدّدت حدوده بنفسي، وسأشقّ طريقي بنفسي من الآن فصاعدًا، ولن يكون من السهل الموازنة بين المسؤوليّات الملكيّة والتقاليد والحفاظ على صدقي مع نفسي، ولكنّ ذلك يمكن أن يُنجز، وأريده أن يحصل ذلك.

مكتبة
t.me/t_pdf

أومأت برأسي: "فلنبدأ".

استغرقت المقابلة معظم الصباح، وسألتني يوي بعض الأسئلة الصعبة، وأعتقد أنّني أجبت كما يجب، وسنتأكّد من ذلك عندما تنشر المجلّة المقال بعد بضعة أيام.

لقد حلّ الصيف في طوكيو، وكان الجوّ حارًّا ودبقًا ولكنّه كان لطيفًا، فقرّرت الخروج في نزهة على الرغم من الحرارة المرتفعة، وأعتقد أنّني لا أمانع من استخدام قدميّ بعد كلّ شيء، وحقّ للفتاة أن تغيّر رأيها، فلا تحاول أن تضعني تحفة في إحدى الزوايا، في ظلّ تطوّر يشكّل جزءًا من الحياة.

يتناول أبي وأمّي الطعام في المدينة معًا، وقد أُغلق المطعم أبوابه من أجلهما، ووقّعت معاهدات السرّيّة، فهذا مهمّ جدًّا، وعلى الرغم من أنّني دعيت لمرافقتهما إلّا أنّني رفضت ذلك.

تمشّيت بدلًا من ذلك في حديقة القصر، والحارس الشخصيّ الجديد خلفي، وكنت قد تعمّقت في استكشافي عندما سمعت خطوات تطرق الأرض طرقًا من خلفي، فاقترب منّي التوأم اللامع، وكانتا ترتديان لباسين رياضيين متناسقين وكان شعراهما مربوطين على شكل ذيل حصان أنيق، وبشرتاهما لامعتين بسبب التعرّق، وخدّاهما ملوّنين بلون ورديّ جميل، ولا تزال وقفتهما معًا وكأنّهما شخص واحد مخيفة، ولن أعتاد عليها أبدًا.

قالت نوريكو: "مرحبًا يا ابنة عمي".

قالت أكيكو: "سمعت أنّهم أجروا معك مقابلة هذا الصباح".

أعرف ما هو قادم، إنّه الخطر، مرّرت نوريكو لسانها على أسنانها: "إن قلت أيّ شيء عن أمّنا..."

لقد خطت خطوات العداء العائليّ إلى الأمام: "نعم، نعم، ستدمّرينني، ويبدو لي أنّك فعلت أسوأ ما في إمكانك بالفعل".

نظرت إحداهما إلى الأخرى، ثمّ أعادتا التركيز عليّ، فسألت نوريكو: "ما الذي تقصدينه؟".

لا بدّ أنّها تظنّ أنّ لا فكرة لديّ عمّا فعلتاه: "أقصد التقاط صوري مع أكيو، وإرسالها إلى جريدة ثرثرة طوكيو فكان ذلك أكثر فعل وضيع قد يصدر عنكما".

ترهّل وجه أكيكو: "لا نرسل الصور إلى الصحافة الصفراء".

"صحيح"، وصوتي بدا ساخرًا منهما، فثنيت ذراعيّ أمامي، وكان حارسي يقف بجانبي، ويداه مطويّتان أمامه أيضًا، ولدى التوأم الساطع حارسان قريبان منهما، وأتساءل ما الذي سيفعلونه إن تشاجرنا.

قالت نوريكو: "هل أنت جادّة؟"

"أصدّقكما تمامًا"، أنا لا أصدّقهما أبدًا وهذا واضح من نبرة صوتي.

قالت أكيكو: "تبًا، أتعتقدين أنّنا سنتحدّث إلى الصحافة الصفراء، لقد كانوا رهيبين مع أمّنا ومعنا، ولن نعرّض أيّ أحد لخطر مواجهة انتقاداتها اللاذعة أبدًا".

نظرت إلى كلّ منهما، فبدتا مرتاحتين تمامًا، ومن المؤكّد أنّهما لا تراوغان، فإمّا أنّهما بارعتان في الكذب الذي يصل إلى درجة المرض الاجتماعيّ، أو أنّهما تقولان الحقيقة، وهذا منطقيّ... أتذكّر كم كانتا تحميان أمّهما في حفلة ذكرى مولد الإمبراطور، فبدتا كأنّهما لبوتان تحميان شبلًا، وربما تكرهان الصحافة الصفراء فعلًا.

قالت نوريكو بعد لحظة: "حتّى إنّنا شعرنا بالأسف عليك"، قالت ذلك وكأنّها تجد التصرّف بصفتها بشرية مزعجًا جدًّا.

قالت أكيكو: "نحن لم نشِ بك سواء أصدّقت هذا أم لا".

غادرتا بسرعة، فطارت خصلات شعريهما المبوطين بشكل ذيل الحصان وغطّتا وجهي، ثمّ تبعهما الحارسان الملكيّان.

ركضت خلفهما وأنا أمرّر يدي على رأسي: "إن لم تكونا أنتما فمن فعل هذا ومن سيكون؟".

استدارت نوريكو: "لا فكرة لديّ".

وكانت هذه الجملة كلّ المساعدة التي حصلت عليها منهما، فراقبتهما حتّى اختفتا، ثمّ أخرجت هاتفي وأرسلت رسالة إلى صديقاتي فورًا.

أنا: لقد قابلت التوأم اللامع صدفةً للتوّ، وتقولان إنّهما لم تشيا بي.

نورا: هل تصدقينهما؟

أنا: نعم، ظلّتا تقولان إنّ الأقارب أهمّ من الصحافة وأنّهما لن تفعلا مثل هذا أبدًا، وسألتاني إن رأيت ما فعلته الصحافة بأمّهما.

هانساني: أعتقد أنّ صياغتك خاطئة، ولا تنطبق بالضرورة على هذا الوضع.

غلوري: ماذا إن غيّرت مقولتها؟

هانساني: أعتقد أنّه علينا الاستمرار بالعمل على صياغتها.

أنا: ركزن على الموضوع.

قالت نورا: إن لم تكونا هما الفاعلتين فمن الذي فعلها إذًا؟

فكّرتُ في الأمر، فقد أشارت المقالات إلى شخصٍ من داخل القصر، بطبيعة الحال افترضتُ أنّهما التوأم اللامع، ولكن من الممكن أن يكون شخصًا آخر من العائلة... جفلتُ عند تفكيري في هذا، كان الأمر وكأنني تلقّيت لكمةً عنيفة في معدتي.

بعد مضيّ عشرين دقيقةٍ كنت في منزل عمّتي وعمّي، أجول في المكان، ويا لها من مفاجأة! وكان كيتاي يتشمّس في الفناء الأماميّ، وهو يحتسي مشروبًا سخيفًا في وسطه مظلّةٌ على الطاولة القريبة منه.

قلتُ لحارسي: "ابقَ هنا، أنتَ فلا ترغب في رؤية هذا"، وكانت رينا في الأرجاء أيضًا، فلوّحتُ لها بطريقةٍ متشنّجة، وابتسم كيتاي بينما كنت أقترب منه، فأمعنتُ النظر إليه، وكان صدره مغطّىً بنوعٍ ما من الزيت وأجرد تمامًا.

قال وهو يومئ إلى الكرسيّ المجاور له: "سمعتُ أنّكِ عدتِ، تعالي اجلسي، وتناولي مشروبًا".

"لا، شكرًا، لم تحلّ الظهيرة بعد".

تلاشت ابتسامته عند سماع صوتي القاسي.

قال: "أنتِ في مزاجٍ سيّئ".

سألته وأنا أكوّر قبضتيّ: "لم فعلت ذلك؟".

جلس مسترخيًا إلى الخلف على سرير الشاطئ رافعًا ذقنه باتّجاه الشمس، وقال: "لستُ واثقًا من أنّني أعرف عم تتحدّثين عنه".

سألتُه: "لم بعتَ تلك الصور للجرائد الشعبيّة؟" كان من المفترض أن أكون في أمانٍ معه.

قال بهدوء: "نعم، ذلك الأمر"، مرّ وقتٌ طويل، شعرتُ بحرارة الشمس تلهب رأسي، وقد فاحت من الهواء رائحة الصنوبر وزيت التسمير، فهزّ بكتفيه قائلًا: "لمَ قد يفعل أيّ شخصٍ شيئًا ما؟ من أجل المال، احتجتُ إلى الدخل الإضافيّ، إضافة إلى ما تقدّمه لي العائلة المالكة، تعلمين أنّني بصفتي أميرًا لا أملك أيًّا من المهارات التسويقيّة؟".

أطلقتُ زفيرًا طويلًا، فمن الجيّد أنّه لم ينكر الأمر، وهكذا لن أضطرّ إلى انتزاع الحقيقة منه، وقلت له: "اعتقدتُ أنّك صديقي"، كان الجرح واضحًا في انحناء كتفيّ، وفي ارتعاش صوتي، وفي عينيّ المغرورقتين بالدموع.

نهض كيتاي، ونزع نظّارته الشمسيّة، ونكس رأسه، وقال: "إنّني صديقك، أو على الأقلّ، كنت صديقك، ولم أخطّط لأن أحبّك بقدر ما فعلت، وكنت أتمنّى لو سارت الأمور بشكلٍ مختلف، لكن...". هزّ برأسه، وأكمل قائلًا: "أنت لا تعلمين

كيف هو الشعور بأن تكبري هنا، إنّه لعبء ثقيل أن يُملي عليك شخصٌ ما دومًا ما تفعلينه، وإلى أين تذهبين، إنّها ليست حياةً على الإطلاق..."، ووضع نظّارته الشمسيّة مجدّدًا، فقد أسكتني، وعاد كيتاي الخالي من الهموم. إنّ القناع الذي يضعه حيلةٌ رائعةٌ، اعتقدتُ أنّه غطاءٌ للرقّة التي في داخله، لكنّني عرفت الآن، أنّه مجرّد فتى حزينٍ تائهٍ مستعدٍّ لفعل أيّ شيء للحصول على ما يريده، ثمّ قال: "كما أنّني أسديتك خدمةً على أيّة حال، فأنتِ قلت إنّك أردت العودة إلى الوطن".

تصلبّت معدتي، وشعرتُ بالغثيان، فأنا مريضةٌ بالتأكيد، لقد جرحني، وجرح أكيو، ودمّر حياتنا من أجل سعيه إلى تحقيق مصلحته، حتّى يتمكّن من شراء... ماذا؟ شقّة؟ الحصول على طبّاخ خاصّ؟ قلت: "كان من حقّي اتّخاذ هذا القرار".

قال معترضًا: "إيزومي، ما حدث قد حدث، وخادمي يحزم أغراضي بينما نتحدّث الآن، فسأنتقل إلى شقّتي الجديدة حالما تُنظَّف وتؤثّث"، عقد حاجبيه، وقال: "أنا آسف على كلّ حال، ولو كانت الظروف مختلفةً..."

قلت: "حسنًا، أنا آسفةٌ أيضًا"، بالرغم من أن أسفي لأسبابٍ مختلفةٍ، آسفةٌ لأنّني وثقت به، آسفةٌ لكونه طفلًا مدلّلًا، وبدأتُ بالسير مبتعدةً عنه، فلن أدعه ينجو بفعلته، وسأحرّر نفسي من هذا المأزق، فهو الوحيد الذي يتوجّب عليه مسامحة نفسه، وضميري مرتاح، وأنا لا أريد أن أكون في أيّ مكانٍ بالقرب منه حاليًّا. ولكن هنالك سؤالًا يثير فضولي، فسألته: "الرسالة، هل سلّمتها؟".

عرفت الجواب قبل أن يقول شيئًا، هزّ كيتاي برأسه لمرّةٍ واحدةٍ، وقال: "لكنّني لم أبعها كذلك إلى الجرائد الشعبيّة، فكان من الممكن أن أجني الكثير لقاءها، أتريدين استعادتها؟".

ازدردت لعابي وأنا أشعر بالمساحات الفارغة في قلبي هناك حيث كنت أحتفظ بكيتاي، وقلت: "تخلّص منها". سُلِّمَت أم لم تُسلَّم، ربما لم يعد ذلك مهمًّا، فما الذي كان سيتغيّر لو حصل أكيو على الرسالة؟ لا شيء، لقد خسر وظيفته، إرثه فخر عائلته، وقد أذيته بشدّة، فأنا لا أزال أملك كلّ شيء، أمّا هو فقد خسر كلّ شيء.

أطبق كيتاي فكّيه، وصرخ: "رينا! أنا بحاجةٍ إليكِ، تعالي وضعي الكريم المرطّب على ظهري"، فتجهّمت رينا بضراوةٍ بينما كانت تتّجه نحونا، لقد رأت كلّ شيء، وربما عرفت مسبقًا بكلّ أسرار سيّدها الصغيرة القذرة، وكلّ الألاعيب التي مارسها، وأتساءل إن كانت تشعر بالاشمئزاز منه كما أشعر أنا، وأعتقد أنّها كذلك، كما أعتقد أيضًا أنّني أعرف طريقةً لمعاقبة كيتاي.

قلتُ بصوتٍ مرتفعٍ وواضحٍ: "رينا"، فحدّقت إليّ، فقلت لها: "هل فكّرتِ يومًا في العمل لدى أميرةٍ حققّت ذاتها بالكامل، وترتكب الكثير من الأخطاء، لكنّها تحافظ على المتعة في الحياة، ولن تتحرّش بكِ جنسيًّا أبدًا؟".

ازدردت رينا لعابها، ووضعت أنبوب المرطّب بكل عنايةٍ، وقالت: "آنسة أوهيمي، هل تعرضين عليّ عملًا؟".

رفعت ذقني وقلت: "فكّري في الأمر".

امسح الكود .. انضم إلى مكتبة

النساء الآن!

صاحبة السموّ الملكيّ الأميرة إيزومي، الفراشة الحديديّة

---

21 حزيران 2021

بعد ملاحقتها من قبل الجرائد الشعبيّة وفضح علاقتها الغراميّة مع الحارس الملكيّ، صاحبة السموّ الملكيّ الأميرة إيزومي هربت من طوكيو، وعادت الآن ولديها شيءٌ لتقوله، وفي مقابلةٍ حصريّة، جلست صاحبة السموّ الملكيّ الأميرة إيزومي مع رئيس التحرير التنفيذيّ يوي ساتو لمناقشة مرحلة طفولتها، وكيفيّة اكتشافها أنّها أميرة، واكتشاف ثقافتها وتعلّمها للغةٍ ثانيةٍ والوقوع في الحبّ، ومستقبلها المليء بالاحتمالات.

قالت صاحبة السموّ الملكيّ الأميرة إيزومي إنّ الأمر بدأ بكتابٍ عن أزهار الأوركيدا النادرة، ولم تتذكّر ما الذي كانت ترتديه في ذلك اليوم، قالت الأميرة وهي تحمرّ خجلًا: "ربما كانت ترتدي بنطالًا ضيّقًا". كانت جالسةً باعتدالٍ، وساقاها متقاطعتان عند الكاحلين، وكفّاها مشبوكتان في حضنها، فاتّخذت طابعًا ملكيًّا بالرغم من أنّها خلال نشأتها لم تكن كذلك، وهنالك آثارٌ لأصولها الغارقة في شمس كاليفورنيا، فالقليل من النمش على طول أنفها، وشعرها المشرق المائل إلى الحمرة، يمنحها دفئًا حقيقيًّا يشعّ من داخلها. علّقت بمرحٍ وحماسةٍ نوعًا ما، خصوصًا عندما وصفت والدتها ولا سيّما عند عودتها إلى المنزل، وصديقاتها المخلصات، ثمّ قالت: "كانت صديقتي هي التي عثرت على الإهداء في الكتاب"، كانت قصيدةً من والدها، وليّ عهد اليابان، كتبها منذ ثمانية عشر عامًا لوالدة الأميرة إيزومي، هاناكو تاناكا.

دارت الشائعات حول الحياة العاطفيّة لوليّ العهد لأكثر من عقدين من الزمن، فهو رجلٌ محبٌّ للهواء الطلق ويستمتع بالتزلّج وتسلّق الجبال، وقد حظي بحصّةٍ كبيرةٍ من العلاقات العاطفيّة الرفيعة المستوى، وكانت أحدثها مع هينا هيروتومو اليابانيّة المولودة في بريطانيا، التي يعود نسب عائلتها إلى لورداتٍ واسعي النفوذ

ونبلاءٍ عاشوا قبل نفي نبلاء اليابان، وكانت حياته العاطفيّة ولا تزال ذات أهمّيّةٍ كبيرةٍ في البلاط، وهنالك ضغطٌ على وليّ العهد تاكاهيتو لإنجاب وريثٍ شرعيٍّ ذكرٍ له، بالرغم من أن العائلة المالكة تعترف بأنّ الأميرة إيزومي فردٌ من العائلة، إلّا أنّها ليست ابنةً شرعيّةً وليست ذكرًا، وقد أُثيرَت تساؤلاتٌ حول تعاقب الحكم وتعديل القانون ليشمل الإناث، وكان لدى الأميرة إيزومي ردٌّ على ذلك، لكنّنا سنتطرّق إليه لاحقًا.

لقد عثرت على والدها، أو من اعتقدت أنّه والدها، فقالت: "صديقتي محقّقةٌ بارعةٌ ومن خلال مهارتها تمكّنَت من تعقّبه من خلال أمين السجلّات في جامعة هارفرد"، إنّ والدة الأميرة إيزومي هي إحدى خرّيجات جامعة هارفرد وأستاذةٌ جامعيّةٌ متميّزةٌ في علم الأحياء، إلّا أنّ الأميرة لم يكن لها نصيبٌ من ولع والدتها بالعلوم. وقد شاركتنا ذلك بحماسة قائلةً: "أخشى أن معدّلي كان بالكاد كافيًا".

وقالت: "كان الأمر واضحًا لي تمامًا حالما رأيت صور وليّ العهد، والدي... فقد قيل لي إنّني أشبهه"، وهي كذلك فعلًا، فقد كان ذلك واضحًا في أنفها، وفي عظام وجنتيها المرتفعتين، ثم تابعت: "أرسلت لي أمّي عنوان البريد الإلكترونيّ لصديقٍ مشتركٍ لهما من الجامعة، فكتبتُ رسالةً قصيرةً..."، وهزّت بكتفيها، وقالت: تتمّة القصّة معروفة. وبعد أسبوعٍ من ذلك تحدّثت الصحافة عن القصّة وكانت الأميرة إيزومي في طريقها إلى اليابان، وما حدث بعد ذلك كان سلسلةً من الحماقات.

قالت الأميرة من دون خجل: "لم يكن انتقالي إلى اليابان سلسًا، بل أبعد ما يمكن عن ذلك"، بالرغم من أنّها كانت تتوق إلى إعادة الاتّصال مع اليابان - حيث كان لديها ولعٌ خاصٌّ بشطيرة الدوراياكي - إلّا أنّ الأميرة واجهت العديد من العقبات، وكانت أكبرها تربيتها الأميركيّة بلا شكّ، قالت: "شعرت وكأنّني عائدةٌ إلى المنزل لكنّني لم أشعر بذلك في الوقت نفسه، ولم تكن نشأتي كيابانيّةٍ في الولايات المتّحدة أمرًا سهلًا، فقد تصارعت مع هويّتي كوني عشت في مدينةٍ معظم سكّانها من البيض، لذا عند قدومي إلى اليابان كانت توقّعاتي كبيرةً وغير منطقيّةٍ تمامًا، وقد لا أتمكّن من الحصول على المعرفة والإدراك الثقافيّ كأيّ شخصٍ ولد هنا (في اليابان)، فأنا أجنبيّة، لكنّني كذلك لست أجنبيّة، إنّ الأمر متناقضٌ بعض الشيء"، فقد أُضيف إلى الصعوبات التي واجهتها حاجز اختلاف اللغة، إلّا إن لغة الأميرة إيزومي اليابانيّة تتحسّن باستمرار، ولكن عند وصولها للمرّة الأولى لم يكن لديها أدنى معرفة في اللغة على الإطلاق، وتابعت قائلةً: "بعد

الحرب العالميّة الثانية (حرب المحيط الهادئ) توقّف جداي عن التحدث باللغة اليابانيّة، إذ أرادا الاندماج كليًّا في أميركا، وقد توفّيا قبل أن أولد، لذا فقدت الكثير من تاريخي".

كانت الجرائد الشعبيّة عديمة الرحمة لقيامها بفضح الهفوات الثقافيّة للأميرة، فقالت: "كان من المؤلم سماع ذلك، لكنّه كان مفيدًا أيضًا، فأنا أتعلّم باستمرار، وهذا يعني أنّني سأرتكب المزيد من الأخطاء، وكلّ ما أطلبه هو أن يكون الناس صبورين معي، وأنا سأعمل بجدٍّ لأكون جديرةً بهذه المؤسّسة وفي الوقت نفسه سأبقى صادقةً مع نفسي، على الرغم من أنّ التوازن دقيق، إلا أنّني ابنة أمّي وأبي معًا".

كانت علاقتها مع الحارس الملكيّ أكيو كوباياشي هي خطيئتها الكبرى، فقد تسرّبت صورٌ التُقطت لهما وهما يتعانقان ويقبّلان بعضهما قبلة حارّة، وقد انتهكا فيها اثنتين من العادات الاجتماعيّة، وهما إظهار العاطفة علنًا ومواعدة أحد أفراد العائلة المالكة لشخصٍ أدنى بكثيرٍ من مكانته، فعلّقت على ذلك: "من وجهة النظر التقنيّة، كانت الصور مأخوذةً للحظةٍ خاصّة، ولا أنكر حدوث ذلك، لكنّني أيضًا لن أدخل في أيّ تفاصيل". حسنًا هل الحارس والأميرة لا يزالان معًا؟ قالت: "في حين أنّني أقرّ بأنّ معظم حياتي علنيّةٌ وتتلاعب بها وسائل الإعلام، إلا أنّني ملتزمةٌ بالاحتفاظ ببعض اللحظات لنفسي، وبالأخصّ تلك المتعلّقة بحياتي العاطفيّة، على الأقلّ حتّى أصبح مستعدّةً لمشاركتها، ولكنّني أودّ الاعتذار للسيّد كوباياشي ولعائلته، فلم يكن في نيّتي مطلقًا أن تعرف الصحافة بذلك، وأنا آسفةٌ لأيّ أذى ألحقته به، بالإضافة إلى ذلك، أرغب في إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح، فقد صوّرت الجرائد الشعبيّة السيّد كوباياشي بصورةٍ سيّئةٍ للغاية، ولكن العلاقة التي جمعتنا تطوّرت بشكلٍ متساوٍ بين كلا الطرفين، فلم يكن يستغلّني، بل أسعدنا بعضنا لفترةٍ من الوقت"، وكانت نبرة صوتها حزينة ويائسة كنبرة صوت من أحبّ وخسر من يحبّه.

وكان الشخص الوحيد الذي لم تتحدّث عنه الأميرة كثيرًا هو والدتها، هاناكو تاناكا، حيث قالت: "والدتي شأن خاصٌّ للغاية، لكنّني سأقول إنّها والدةٌ رائعةٌ وحنون ولطيفةٌ ومعطاءةٌ"، أمّا بالنسبة إلى المصالحة المحتملة بين وليّ العهد ووالدتها، فبقيت الأميرة صامتةً، ووجّهت المحادثة نحو الموضوع المتعلّق بلقائها الأوّل مع الإمبراطور والإمبراطورة، واعترفت قائلةً: "كنت متوتّرةً للغاية،

وفي الوقت نفسه كان شرفًا لي لقاؤهما، وقد أجرينا حوارًا صغيرًا في البداية، وأعتقد أنّ تلك كانت طريقتهما لجعلي أشعر بالراحة".

عندما سُئِلَت عمّا إذا كان الإمبراطور والإمبراطورة معترضين على علاقة ابنهما العاطفيّة بوالدتها أو بابنته، فإنّ تيري نيومان كاتب السير الذاتيّة الملكيّ والفائز بجائزة أوساراجي جيرو عن كتابه (الإمبراطور فوساميتو: الرجل وشعبه) قال: "من المعروف عن الإمبراطورة رغبتها في أن تكون تقدّميّةً في قضايا المرأة، ومن ضمنها قضيّة الأطفال المولودين خارج نطاق الزوجيّة، وهو أمرٌ تمّ السكوت عنه حتّى العقود الثلاثة الماضية، كما أنّها منفتحةٌ للغاية، كونها نشأت في وضعٍ مشابهٍ لوضع حفيدتها الجديدة، فقد ولدت الإمبراطورة في بلدةٍ فقيرةٍ ولم تكن تعرف أيّ شيءٍ عن الحياة في البلاط الملكيّ حتّى التقت صدفةً بوليّ العهد آنذاك في الجامعة، في أثناء حضور بعثة ما. كما كان للإمبراطور والإمبراطورة تماسك أسري أكثر من أيّ شيءٍ آخر، وقد تصدّرت أخبارهما العناوين الرئيسيّة في الصحف عندما قرّرا خرق التقاليد وتربية أبنائهما في منزلهما الخاصّ. وممّا لا يمكن إنكاره، فإنّ درجة المخاطرة في حالة الأميرة منخفضةٌ أكثر، لأنّها لو وُلِدَت ذكرًا، عندها سيكون هنالك المزيد من القلق فيما إذا كان سيتمكّن من أن يرث العرش بصفته ابنًا غير شرعيّ.

وماذا عن الأميرة إيزومي؟ كان هنالك نقاشاتٌ في الماضي حول أنثى ورثت عرش الأقحوان، أتستطيع أن تتخيّل نفسها إمبراطورة؟ قالت بكلّ صراحةٍ: "لا أدري، في الوقت الراهن أنا فقط أحاول أن أعتاد على كوني أميرة".

بغضّ النظر عمّا يحمله المستقبل لصاحبة السموّ الملكيّ الأميرة إيزومي، فهنالك أمرٌ واحدٌ مؤكّد، وهو قبول والدها، لكنّ الأكثر أهمّيّةً يبدو أنّ هذه الأميرة تقبّلت نفسها، وهذا ما نستطيع الثناء عليه.

للحصول على الجزء الثاني من المقال تابعوا عدد الجريدة
الأسبوع المقبل، حيث سينضمّ صاحب السموّ الملكيّ
وليّ العهد الأمير تاكاهيتو إلى الحوار.

الفصل السابع والثلاثون

تبيَّنَ أن طوكيو هي مدينة الرومنسيّة، والتسامح، والرقّة، فمنذ أن نُشِر مقال صحيفة النساء، بدأت الدببة المحشوّة، والمصابيح والأوريغامي، وأطباق شطائر الدوراياكي، والرسائل، توضع خارج البوّابات. وقد حملها الحرّاس على أذرعهم وأدخلوها بعد فحصها للتأكّد من عدم وجود مخاطر أمنيّة - كدمية كاواي التي تطلق أشعّة الليزر من عينيها - وقد أحضروها إليّ، وكانت أغلبها من فتياتٍ في سنّ المراهقة، ورسائلهنّ على شكل قلوبٍ، وتعبّر عن دعمهنّ الأبديّ لهذه العلاقة غير المستمرّة مع أكيو، ثم كان هنالك المزيد، فاليابانيّون المولودون في خارج اليابان تعاطفوا مع قصّتي وأرادوا مشاركتي قصصهم، وكانت الاستجابة ساحقةً. لم أعتقد مطلقًا أنّني سأشعل مثل هذا اللهب، وأنا الآن ملزمةٌ بالردّ على كلّ شخصٍ ترك لي عنوانه، ولم يحبّ السيد فوتشيجامي هذا، لكنّه ترك لي بعض الوقت في جدول مواعيدي لأتمكّن من الردّ على الرسائل.

قالت ماريكو، وهي تحمل بطاقةً عليها كتابةٌ أنيقةٌ: "إنّها دعوة إلى حفل زفاف أحدٍ ما"، فقد استعنتُ بمساعدة وصيفتي لفرز أكوام الرسائل.

قلت: "ضعيها في كومة المتفرّقات".

"ماذا عن هذه؟"، رفعت ماريكو ملاحظة معلّقة بباقة أزهار: "إنّه طلب زواج رسميّ منك"، فتحتَها: "قال إنّ دخله يزيد عن مليون ين في السنة، عجبًا، وقد ترك صورة له، ولا يبدو بشعًا جداً"، عرضت الصورة عليّ، فكان يبلغ عمره ضعف عمري، وله شعر داكن طويل ويحتاج إلى قصّه.

قلت وأنا أفرك صدغي: "ضعيها في كومة المتفرّقات"، ربما حمّلت نفسي أكثر ممّا أحتمل، وقد عرضت عليّ أمّي أن تبقى لتساعدني، ولكنّني عرفت أنّها تتوق إلى العودة إلى الولايات المتّحدة، فقد سبّبت لها كلّ هذه الصحافة المحيطة بي حالة حادّة من الزهد، والرغبة الشديدة في الابتعاد والاختباء في المنزل وإغلاق كلّ الستائر والانعزال ولو اضطرّت إلى شرب ماء الحمّام غير المصفّى. سيزورها أبي قريبًا، وسأرافقه في رحلته، بعد أن أعادا تعريف مصطلح السير في العلاقة بخطوات قصيرة، ولكنّهما بالغا في تقصيرها.

علّقت ماريكو: "لا تنفكّ الأمور تزداد غرابةً". فتحت صندوقًا صغيرًا، وكانت بقايا الغلاف الورقيّ الذهبيّ متعلّقة به، فقد فتحه الحرّاس الملكيّون أوّلًا على الأغلب.

"ما الأمر؟"، استمررت بالعمل على الرسالة التي أكتبها: "المزيد من حلوى شطائر الدوراياكي، يجب أن نتبرّع بها، فلا يوجد لدينا مساحة لتخزينها كلّها".

"علّاقة مفاتيح عليها اسمك".

رفعت رأسي ببطء، ونظرت إلى الغرض المتدلّي من أصابع ماريكو الدقيقة.

بحثت أكثر في الصندوق: "ورسالة".

نهضت من كرسيي، "دعيني أرَ"، أخذت علّاقة المفاتيح وقصاصة الورق منها، ووضعت يدي على فمي مذهولة، إنّها خشبيّة وقد رُسم عليها قوس قزح، وحُفر اسمي عليها أيضًا، ومن الواضح أنّها يدويّة الصنع، وتحمل في طيّاتها معاني عميقة، فقد أخبرت أكيو عنها في كيوتو تلك الليلة التي تجوّلنا فيها وتبادلنا قبلتنا الأولى، وماذا قال حينها؟ أتمنّى لو كان في إمكاني أخذ ألمك ودفنه عميقًا، فأدرت الورقة في يدي وقرأت القصيدة:

مكتبة
t.me/t_pdf

أفهم الآن...

كلّ شيء واضح أمامي...

على الرغم من جمال الرياح والمطر والثلج

توقّفت عن الإيمان بالحبّ...

حتّى رأيت أوراق الخريف تتساقط...

إنّها منه، أنا متأكّدة من ذلك كما أنا متأكّدة من دوران الأرض حول الشمس، وأعرف أنّ يديّ أكيو لمستها. فخفق قلبي بسرعة، وتدفّق الدم في عروقي: "متى جُلبت هذه؟"، لم أنتظر أن تجبني، وكنت قد نهضت مسبقًا، وانتعلت حذائي وغادرت الغرفة من الباب الأماميّ، فكانت رينا هناك، بعد أن قبلت بعرضي وأصبحت حارستي الشخصيّة الجديدة، وهي التي كانت تجلب لي صناديق الرسائل الموضوعة أمام بوّابة القصر كلّ ساعة.

انحنت لي في الخارج وقالت: "سيّدتي".

لم أتوقّف، فلا أستطيع أن أتوقّف، هناك نار تخز كعبيّ قدميّ، فأسرعت إلى البوّابة، ورينا خلفي، ثمّ أصبحت بجانبي، فأنتم تعلمون أنّني أركض ببطء.

قالت: "أنت لا ترتدين ملابس مناسبة للركض".

كنت أرتدي بنطالًا فضفاضًا وقميصًا حريريًّا، بعد أن أقنعت ماريكو أخيرًا بنعمة البناطيل، لأنّ معظمها لديها جيوب وهي مريحة وتمنح القدرة على الخروج من السيّارة بسهولة، وقد ازداد عدد الحرّاس أمامي، وكلّما اقتربت من البوّابة أكثر ازدادت كثافة الحماية الأمنيّة، والعلّاقة لا تزال بيدي، وإسراعي إلى البوّابة يبدو جنونًا وتصرّفًا غبيًّا، إذ أنا متأكّدة من أنّني سأعود من هذا الطريق وأنا أشعر بخيبة الأمل، وأنّ أكيو ليس منتظرًا، ولكنّه قد يكون منتظرًا، فتشوّش عقلي واضطربت مشاعري واعتصرت الحيرة قلبي الذي لا يزال يحتلّ مساحة فيه، وسيكون مكانه محفوظًا فيه دائمًا.

أبطأت عندما صارت البوّابة في مرمى نظري، ولكن كان المساء قد حل وتفرّق الحشد الواقف أمام البوّابة، وليس لدى الحرّاس خيار سوى فتحها خشية أن أصطدم بها.

قالت رينا: "لا... لا... لا".

صحت: "أنا آسفة، لا تغضبي منّي، فهذا من أجل الحبّ".

صرت في الشارع فجأةً، وقد لاحظ من بقي من الناس وجودي، ولكنّ ذهولهم الآنيّ أصابهم بالجمود، فتسمّروا في مكانهم ولم يتجمّعوا معًا، أمّا الحراس الملكيّون فقد شكّلوا حاجزًا حولي، ولكنّ الوقت بدا ساكنًا وبطيئًا، فمشيت بمحاذاة البوّابة، وابتسمت، وأومأت برأسي إلى الناس، متظاهرة بأنّ ما أقوم به جزء من خطّة، وشددت على علّاقة المفاتيح في راحة يدي، وبحثت عن حارس سابق أسود الشعر ذي عينين عاطفيّتين.

قالت رينا: "لم يحاول الأمير الهروب منّي أبدًا، وهذه سابقة خطيرة"، إنّها مسكينة، وعدتها بأن أعوض عليها ما عانته مع كيتاي.

بحثت عيناي عنه بين الناس، وبين الأشجار، وحتّى بين الشجيرات فلاحظت وجود شخص يبعد عنّي عشرين قدمًا، شخص طويل داكن البشرة ولا يرتدي ملابسه الرسميّة، فخفق قلبي بقوّة، إن أكيو هناك، ويحيط الظلام بجسده، بعد أن غربت الشمس من خلفه، وظللت أقترب ببطء، وأنا أشعر بأنّني أطفو، فمن يعرف ربما أنا أطفو فعلًا، إنّه يراني أيضًا، وعيناه الحنونان تحدّقان إليّ، فسمعت تمتمة بين الناس بعد تعرّفهم إليه، والتقطت لنا صورة.

"مرحبًا". قلت عندما اقتربت بما يكفي منه ليسمعني.

"مرحبًا"، وانحنى بفرح.

لقد انقطعت أنفاسي بعض الشيء: "هل تركت لي هذه؟"، فتحت يدي وأريته علّاقة المفاتيح.

قال: "لقد فعلت"، وكان صوته رقيقًا ودافئًا وقد غمرني بالسعادة.

"شكرًا لك"، إنّها أفضل هدية تلقّيتها في حياتي.

"على الرحب والسعة". ووقفنا وحدّقنا إلى بعضنا ببلاهة.

فقاطعتنا رينا: "الجميع مستمتعون باجتماعكما بقدر ما أنا مستمتعة به".

تأرجح أكيو على كعبي قدميه، وقد أصبح شعره أكثر طولًا، وقد رفعه عن عينيه.

أشرت إلى القصر: "هل تودّ الدخول؟ هذا إن لم تكن مشغولًا".

قال: "لست مشغولًا على الإطلاق، في الحقيقة، لقد فرّغت الأيام القليلة القادمة، للانتظار أمام مدخل قصر، كنت أخطّط للبقاء أمام بوّابته مهما طال الوقت لأرى أميرته".

"حسنًا، إذًا..." ابتسمت بغباء.

مشينا نحو البوّابة جنبًا إلى جنب، وأومأ أكيو برأسه مشيرًا إلى رينا: "هل هي حارسك الجديد".

كانت رينا تهمس في جهاز الأذن، فقلت: "سرقتها من كيتاي".

ابتسمت عيناه: "أراهن على أنّه كره هذا"، لا يعرف بعد أنّ ابن عمي كيتاي كان المسؤول عن تسريب القصّة. سأخبره لاحقًا، فهناك أمور أهمّ لنركّز عليها الآن.

قلت: "تعرف كيف تدقّ عنق أيّ شخص باستخدام ثقل جسدها فقط، وستعلّمني كيف أفعل هذا لاحقًا".

خاطب أكيو رينا: "أرجوك ألّا تعلّميها ذلك".

قالت رينا وهي تنظر إلى الأمام مباشرةً: "سبق لي أن أخبرتها بأنّني لن أفعل".

كانت يدي قريبة جدًّا من يده، ويمكنني إمساكها، ولكنّني بدلًا من هذا لففتها وحوّلتها إلى قبضة، فهناك الكثير من الشهود، واقتربنا من البوّابة، فتباطأ تقدّمنا بسبب الحشد الذي تجمّع أمامها، وهو ينادي باسمي، والتُقطت لي الصور، ولكنّنا بدونا وكأنّنا في فقاعتنا الخاصّة وأنا خفيفة كالهواء، ثمّ ارتجفت أطرافي، فأكيو هنا إلى جانبي، وقد جاء من أجلي.

تجاوزنا المجسّم الذي يظهر القصر وهناك سهم أحمر مكتوب عليه: (جينزايتشي)، أنت هنا، ثمّ فُتحت البوّابة، وعبرناها، وتابعنا المسير في ممرّ السيّارات حتّى استدار الدرب وغبنا عن الأنظار، وابتعد الحرّاس أيضًا، وبقيت رينا فقط، وهي تحافظ على مسافة مقبولة.

قال أكيو: "لقد قرأت مقال الجريدة".

"هل فعلت ذلك حقًّا؟". وتلاقت أعيننا، وقلت له: "ما رأيك؟" لم أنتظر منه أن يجيب، فتابعت: "أنا آسفة جدًّا يا أكيو، لم أقصد أبدًا أن تُجرح أنت أو عائلتك".

هزّ برأسه: "يجب أن أعتذر أنا لك، فقد تركت اليابان بسبب مقال ثرثرة طوكيو... بسببي".

قلت: "لقد طُردت".

عبس وقال: "لم أُطرد".

تجمّدت أفكاري، وتباطأ الزمن: "قال السيّد فوتشيجامي..." إنّه رحل، إنّه لم يكن في استطاعته البقاء، هذا ما قاله السيّد فوتشيجامي: "اعتقدت أنّك طُردت".

"ماذا؟ لا لقد استقلت، سلّمت استقالتي حالما انتشرت القصّة، فلم تبدُ استقالتي بالأمر الهامّ، وكنت سأغادر على كلّ حال"، قال كلّ شيء بلا مبالاة، فارتفع حاجباي تعجّبًا، فأسرع إلى التفسير: "كنت أخطّط لأن أستقيل من الحرس، وكنت سأخبرك في مأدبة العشاء ولكنّنا بدأنا بالرقص و..." احمرّ خجلًا، يقصد أنّنا تبادلنا قبلة بعدها، قبلة حميميّة جدًّا.

شعرت بنفسي أحمرّ خجلًا أيضًا: "لا أفهم، ماذا عن والديك؟ ماذا عن الإعلام...".

أومأ برأسه وقال: "كان الأمر قاسيًا في البداية، فمن المؤكّد أنّني لم أكن أريد أن أخبر والدي بهذه الطريقة ولكنّه يتفهّم، أو يحاول التفهّم على الأقلّ، وتساعده في ذلك فكرة أنّه يحبّك كثيرًا".

عبست بشدّة: "ظننت أنّني دمّرت حياتك".

قال: "وأنا أيضًا ظننت أنّني دمّرت حياتك، لهذا لم أتراجع، واعتقدت أنّك لا تريدين رؤيتي، ولكن عندما قرأت المقال، ولمّحت كاتبة المقال إلى أنّك ربما لا تزالين تكنّين لي المشاعر، هل... هل كانت مخطئة؟ هل هناك أمل لنا؟"، توقّف واستدار نحوي بالكامل، وأكمل: "أعرف أنّني لست الرجل الذي تحتاجينه أنت أو

عائلتك، ولكنّني في طريقي إلى أن أصبح الرجل المنشود، وأعدك بذلك إن منحتني هذه الفرصة، كما أعدك بأنّني سأمضي حياتي محاولًا أن أكون جديرًا بك، لقد التحقت بقوّات الدفاع الجويّة، وسأصبح ضابطًا بعد عدّة سنوات، ويمكن أن أجني دخلًا جيّدًا، وسيكون الأمر صعبًا ولكن...".

قاطعته بشفتيّ، فلا مزيد من التحدّث، بل التقبيل فقط، ووضع يديه على جانبي عنقي وإبهاماه تربّتان على فكّي، ثمّ ابتعدنا عن بعضنا قليلًا، فمسح دمعةً من تحت عيني وقال: "لا تبكي يا فجلة".

قلت: "إنّها دموع السعادة"، فلن أذرف سوى دموع السعادة من الآن فصاعدًا، وتسلّل الضوء البرتقاليّ من بين الأشجار، لون الشمس الغاربة، فأدارت رينا ظهرها، وقبّلنا بعضنا بلطف مجدّدًا، وماطلنا في التقبيل، وهمست له: "لم أعتقد في حياتي أنّني سأشعر بأنّني أنتمي إلى مكان ما".

ربّت على فكّي بإبهاميه مجدّدًا: "إيزومي، أنت عالم كامل بحدّ ذاتك، ابنة مُدنك الخاصّة، ابنة عالمك الاستثنائيّ"، هذا ما أفكّر فيه بالضبط.

قبلة أخرى، عميقة وطويلة، وعينا أكيو كقطعتي شوكولاتة ذائبتين مغلّفتين بحلقة فضّيّة، مغمورتين بضوء القمر، ورقصنا على الرغم من عدم وجود موسيقى، وتمايلنا جيئةً وذهابًا، ثمّ رميت بوجنتي على صدره، ربما لوّثت قميصه الأبيض بمستحضرات التجميل، ولكن لا يمكننا أن نتحمّل الابتعاد عن بعضنا، فلم نبتعد، بل بقينا متلاصقين وماطلنا بعناقنا، بانتظار رحيل الليل.

ما الذي سيحدث بعد ذلك؟ إلى أين سنذهب من هنا؟ هل هذه هي السعادة الأبديّة؟ لا أعرف، وجلّ ما أعرفه هو أنّ هذه اللحظة ضرب من ضروب الخيال، وكلّ ما أعرفه هو أنّها جديرة بأن تكون عرضًا ناريًّا رائعًا.

وشقّت الألعاب الناريّة عنان السماء.

مكتبة
t.me/t_pdf

مكتبة

telegram @t_pdf

فتاة مراهقة أميركية من أصل ياباني ابنة لأم عزباء لا ترى ضيراً في تحرر والدتها الجنسي، ولكن المفاجأة تقع عندما تكتشف أنها ابنة ولي عهد إمبراطور اليابان، تراسل صديق والدها من أيام الجامعة وتتفاجأ عندما تعود إلى منزلها بوجود ثلاثة رجال يابانيين ينتظرونها في المنزل. هل يريد ولي العهد التنصل من صلته بهذه الابنة المزعومة، أما أنه يريد إعلان أبوته لها؟

تسافر الفتاة إلى اليابان، وتقابل ولي العهد، ويبدأ الاختلاف الثقافي والبغض الأسري بين أبناء العم في الأسرة المالكة، وتزيد الصحف الصفراء من لهيب الصراع. في النهاية تجد الفتاة الحب وتخسره، ولكن نار الحب تحي المشاعر الباردة ليس للفتاة وحبيبها بل لولي العهد وحبيبته السابقة أيضاً.

عندما لا تكتب إميكو جين، فهي تقرأ. قبل أن تصبح كاتبة، كانت عالمة حشرات، وصانعة شموع، وبائعة زهور، وعملت مؤخراً معلمة. تعيش في واشنطن مع زوجها وطفليها (توأم جامح). وهي أيضاً مؤلفة كتاب «لن نفترق أبداً».

ISBN: 978-614-01-3184-2
9 786140 131842

Produced by
Alloy Entertainment, LLC.

alloy entertainment

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

جميع كتبنا متوفرة في موقع نيل وفرات.كوم www.neelwafurat.com - www.nwf.com